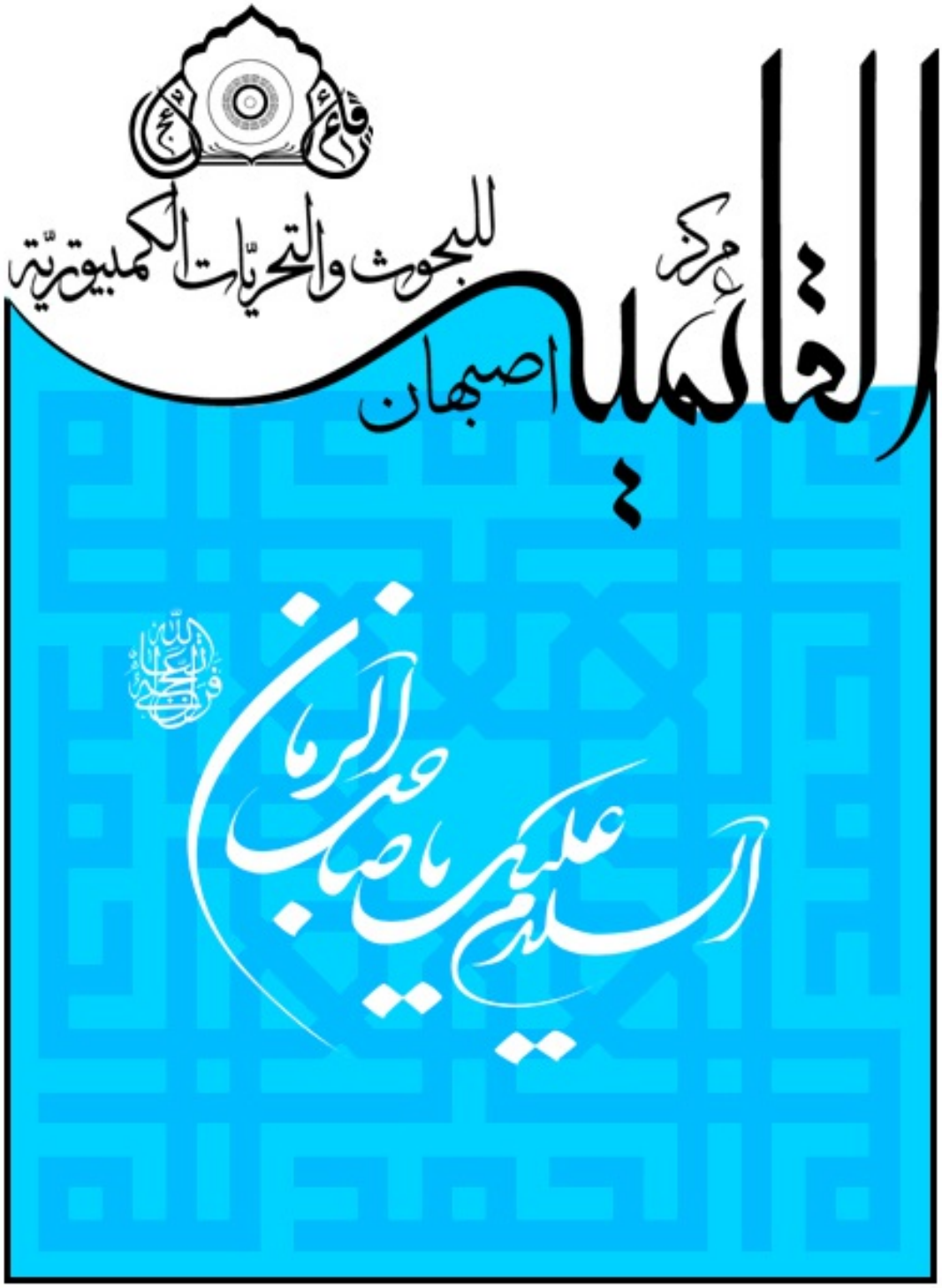

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الامام الحسن بن علی عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام الحسن بن على عليهما السلام

كاتب:

مجله حوزه

نشرت فى الطباعة:

مجله حوزه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام الحسن بن على عليهما السلام ----- ۸
اشارة ----- ۸
اهداء ----- ۸
تقديم ----- ۸
فى رحاب النبى ----- ۱۳
مولد الحسن ----- ۱۳
نسب الحسن ----- ۱۴
كنيته و القابه و صفاته ----- ۱۶
بنوة الحسن للنبى ----- ۱۷
نشاة الامام الحسن ----- ۱۷
مكانة الحسن عند النبى ----- ۱۹
الامام الحسن و الخلفاء و الراشدون ----- ۲۱
الامام الحسن و الصديق ----- ۲۱
الامام الحسن و الفاروق ----- ۲۳
الامام الحسن و ذوالنورين ----- ۲۴
الامام الحسن فى خلافة ابيه الامام على ----- ۲۵
الامام الحسن خامس الراشدين ----- ۲۷
توليته الخلافة ----- ۲۷
الامام الحسن خامس الراشدين ----- ۳۰
سياسة الامام الحسن ----- ۳۲
المراسلات بين الامام الحسن و معاوية ----- ۳۳
خروج الامام الحسن للحرب ----- ۳۷

صلح الامام الحسن ----- ۴۱
معاویة یطلب الصلح ----- ۴۱
اسباب الصلح ----- ۴۲
شروط الصلح ----- ۴۶
مکان الصلح و زمانه ----- ۴۸
دخول معاویة الکوفة ----- ۴۹
موقف آل البیت و انصار الامام من الصلح ----- ۵۱
عام الجماعة ----- ۵۴
اجتهادات معاویة و شروط الصلح ----- ۵۶
اشاره ----- ۵۶
بیعة یزید ----- ۵۷
سب الامام علی ----- ۶۳
خراج دار ابجرد ----- ۷۱
الامان العام لشیعة علی و آل البیت ----- ۷۲
سم الامام الحسن ----- ۷۸
فی رحاب الامام الحسن ----- ۸۳
تواضعه و عفوه ----- ۸۳
کرمه و جوده ----- ۸۴
جرأته و شجاعته الادبیة ----- ۸۶
هیبته و وقاره ----- ۹۵
زهده و ورعه ----- ۹۸
مکانته العلمیة ----- ۹۹
اسرة الامام الحسن ----- ۱۰۲
وفاة الامام الحسن ----- ۱۰۳

مناقب الامام الحسن ----- ۱۰۶
اشاره ----- ۱۰۶
فضائل الامام الحسن ----- ۱۰۶
فضائل الامامین الحسن و الحسین ----- ۱۱۰
پاورقی ----- ۱۱۵
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۱۶

الامام الحسن بن على عليهما السلام

اشارة

المولف:مجله حوزه

الناشر:مجله حوزه

اهداء

اليک يا ابن رسول الله

اليک يا سيد شباب أهل الجنة

اليک يا من وصفه رسول الله بالسيادة

اليک يا ابن فارس الاسلام

اليک يا ابن سيدة نساء أهل الجنة

اليک يا خامس الراشدين

اليک يا سيدى الامام الحسن بن على

أشراف باهداء هذه الدراسة

و كلى أمل من ربى - جل جلاله - أن يتقبلها

[صفحه ۹]

تقديم

سيدنا الامام الحسن هو: أبومحمد الحسن بن على بن أبىطالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمه السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا و مولانا رسول الله، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، ولده عبدالمطلب مرتين، كما ولد هاشم أباه عليا مرتين، فكان له ذلک الشرف العظيم الذى يتيه به على الأجيال.

و كان امامنا العظيم أول مولود ذكر فى أشرف بيت عربى، عريق فى النسب و العزة، فألقته الزهراء البتول - عليهماالسلام - الى الحياة، فى منتصف رمضان، ثلاث انقضت من الهجرة، فأشرقت الوجوه استبشارا، و انطلقت الحناجر حمدا و شكر لله تعالى.

و كان جده المصطفى صلى الله و عليه و سلم قد بشر به قبل ولادته، أخرج البغوى فى معجمه، و ابن الأثير فى أسد الغابة، و ابن‌عساكر فى تاريخه، و الامام أحمد فى مسنده عن جابر، أن أمالفضل امرأة العباس بن عبدالمطلب قالت: يا رسول الله، كأن عضوا من أعضائک فى بيتى، فقال صلى الله و عليه و سلم: «خير رأيتيه، تلد فاطمة غلاما فترضعيه بلبن قثم، فولدت فاطمة الحسن، فأرضعته بلبن قثم».

هذا وقد عق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن حفيده الحسن بن على، بنفسه فذبح كبشا، أخرج الامام أحمد عن عبدالله بن بريدة قال: سمعت أبى يقول:

[صفحه ۱۰]

ان رسول الله صلى الله عليه و سلم عق عن الحسن والحسين»، و عن الامان جعفر الصادق – شيخ علماء الأمة – قال: عق رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الحسن بيده، و قال: بسم الله عقيقة عن الحسن، و قال: «اللهم اجعلها وفاء لمحمد و آل محمد»، و فى رواية: عق عنه بكبشين أملحين، و أعطى القابلة فخذا و دينارا، و قال: يا فاطمة احلقى رأسه، و تصدقى بزنة شعره فضة، و أجرى صلى الله عليه و سلم له الختان فى اليوم السابع من ولادته.

و لا ريب فى أن نسب سيدنا الامام الحسن، انما هو أعظم نسب فى الدنيا، و كفى الامام الحسن – و شقيقه الامام الحسين – فخرا، أن جدهما سيد ولد آدم، محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن أباهما أميرالمؤمنين، الامام على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الجنة، و أن أمهما سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء، بضعة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أن جدتهما السيدة خديجة بنت خويلد، صديقة النساء، و من أقرأها جبريل السلام من ربها، و أن عمهما جعفر الطيار، و عم أبيهما حمزة بن عبدالمطلب، أسد الله و أسد رسول الله، و سيدالشهداء، وجدهما أبوطالب ناصر رسول الله صلى الله عليه و سلم و المدافع عنه، و المتحمل الأذى فى سبيله، وجد أبيهما عبدالمطلب شيبة الحمد، جد النبى صلى الله عليه و سلم و سيد البطحاء، وجد جدهما هاشم، معطم الحجيج، و هاشم الثريد، و سيد قريش.

أخرج عبدالرازق فى مصنفه، و الطبرانى فى معجمه، و ابن‌عساكر فى تاريخه، و الحاكم فى مستدركه عن ابن‌عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة العصر، فلما كان فى الركعة الرابعة، أقبل الحسن و الحسين، حتى ركبا على ظهره، فلما سلم وضعهما بين يديه، و أقبل على الحسن فحمله على عاتقه الأيمن، و الحسين على عاتقه الأيسر، ثم قال: «أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جدا وجدة، ألا أخبركم بخير الناس عما و عمة، ألا أخبركم بخير الناس خالا و خالة، ألا أخبركم بخير الناس أبا و أما، الحسن و الحسين، جدهما رسول الله، وجدتهما خديجه بنت خويلد، و أمهما فاطمة بنت رسول الله، و أبوهما على بن أبى‌طالب، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و عمتهما أم‌هانىء بنت أبى‌طالب

[صفحه ۱۱]

و خالهما القاسم بن رسول الله، و خالاتهما، زينب و رقية و أم‌كلثوم، بنات رسول الله، وجدهما فى الجنة، و أبوهما فى الجنة، و أمهما فى الجنة، و عمهما فى الجنة، و عمتهما فى الجنة، و خالاتهما فى الجنة، و هما فى الجنة، و من أحبهما فى الجنة».

و يعلق الشيخ ابن‌طلحة هذا الحديث الشريف بأن الله شرف الحسن و الحسين بما لم يشرف به أحد غيرهما، فهما سبطا النبى صلى الله عليه و سلم و ريحانتاه، و سيدا شباب أهل الجنة، جدهما سيد الأنبياء و المرسلين محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أبوهما الامام على، و أمهما الطاهرة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هكذا كان نسبهما تتضاءل عنده الأنساب، فالحسن و الحسين، عليهماالسلام، دوحة الفضل و النبوة التى طالبت فرعا أو أصلا، و شعبة الرسالة التى سمت رفعة و نبلا، قد اكتنفها العز و الشرف، ولازمهما السؤدد، فماله عنهما منصرف.

هذا و قد نشأ الامام الحسن فى بيت الوحى، و تربى فى مدرسة النبوة، و شاهد جده المصطفى صلى الله عليه و سلم الذى هو أكمل انسان ضمه هذا الوجود، جمع الناس على كلمة التوحيد، و توحيد الكلمة، فتأثر الحسن السبط بذلك كله، و انطلق يسلك خطى جده النبى صلى الله عليه و سلم، و يهتدى بهديه.

و بـدهى أن امامنا الحسن بن على، انما قـد تأثر كـذلك بأمه السـيدة فاطمـة الزهراء، فلقـد كانت سـيدة النساء أهل الجنـة، تعنى كثيرا بولديها، الحسن و الحسـين، لأنها كانت تخاف عليهما من مسـتقبل جائر، يصـفه جدهما صـلى الله عليه و سلم، و هو الذى لا ينطق عن الهوى، كما كانت شديدة التعلق بهما، حتى أنها كثيرا ما كانت تضطرب، اذا ما فارقاها، أو انصرفا عن البيت الى جدهما صلى الله عليه و سـلم أو أبيهما، فهى كانت تلازمهما لتنشـىء فيهما المعرفة و الآداب النبوية، و لتحليهما بالعادات و التقاليد التى تنفق و مكانة سبطى رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، كما هو معروف، فان التربيـة الحقـة انما تبـدأ فى عهد الأمومة، حيث يمارس الولد المحبة و الطاعة و المحافظـة على الواجبـات و الحقوق، و من ثم فقـد بـدأت الزهراء، عليهاالسـلام، تغرس تعـاليم بيت النبوة فى ولـديها، لتجعلهما صافى النفس، و لتصرفهما بكليتيهما الى

[صفحه ۱۲]

السماء، فينشأ الواحد منهما مجبولا على طبائعها، فضلا عما أوتيه من شبه بها و بجده النبى صلى الله عليه و سلم و بأبيه الامام على، كرم الله وجه فى الجنة،

و هكـذا عملت الزهراء على تنشأتهما النشأة الصالحـة، كسـبطين لرسول الله صـلى و الله و آله و سـلم، و ولدين للامام على المرتضـى، سلام عليهم أجمعين، و هكذا رغم قصـر الفترة التى عاشها الامامان الحسن و الحسين فى حضانة الزهراء، فقد جعلتهما متمرسين بفكرة الله والدين، و لا عجب من أن يكون الحسنان كذلك، فقد ربيا و نشآ فى ظل رجلين و امرأة، هم أعظم من أظلت السماء.

و ما أن ينتقل النبى و الزهراء الى الرفيق الأعلى، حتى أصـبحا الحسـنان فى كنف الامام على، فكان لهما نعم الأب، و نعم الموجه، كما كـان فى نفس الوقت نعم القـدوة الحسـنة، كـان دائم السـهر على راحتيهما، يشـملهما برعايته، و يتعهـدهما بحبه، و يشـرح لهما الأمور بفصـاحته، و يزودهمـا بمعارفه، و يطلعهما على ما طوى صـدره من علم و حكمـة، و يهتم بهما أشـد الاهتمام، خاصـة و هو يرى حوله أوضاعا مزعزعة، و أحقادا مستعرة

و تمر الأيـام و يكبر الامام الحسن، و يصـبح هو - و أخوه الامام الحسـين - عينى أبيهما الامام على، و يشاركه الرأى، و يكون معه فى يوم الجمل، فى ميمنة الجيش، و أخوه فى الميسـرة، و الراية بيد الأخ الثالث - محمد بن الحنفية - و كان الامام على يقذف بمحمد، و يكف عن الحسن و الحسـين، فقيل لمحمـد: لم يغرر بك أبوك فى الحرب، و لا يغرر بأخويك؟ فأجاب: انهما عيناه، و أنا يمينه، فهو يـدفع عن عينيه بيمينه، و هكـذا كـان الحسن من أركـان الحرب عنـد أبيه، و من أمراء جيشه، و هـو منه ساعـد قـوى، و معـوان عظيم، فالامام يزحف و أولاده من حوله، يشـدون أزره، و يسـندون ظهره، و كلهم ليث قاصم الضـربة، و هكذا أصـبح الامام الحسن شـريك أبيه فى أمره، يدعو و يثبط، و ينقض و يبرم، و كعبه على كعبه، الى الجمل فصفين فالخوارج فالنهروان، لأنه موضع ثقة أبيه.

و تمضـى الأيـام، و ينتقـل الامـام على، كرم الله وجهه فى الجنـة، الى الرفيق الأـعلى، و يختار الناس ولـده الامام الحسن أميرا للمؤمنين بعده، و سواء أكان

[صفحه ۱۳]

ذلك بوصـية من الامام على، فيما ترى الشيعة، أو باختيار الناس، فيما يرى أهل السنة، فان البيعة - كما يقول ابن العربى فى العواصم و القواصم - للامام الحسن منعقدة، و هو أحق من معاوية بن أبىسـفيان و من كثير غيره، و كان خروجه لمثل ما خرج اليه أبوه من دعاء الفتنة الى الانقياد للحق، و الدخول فيه.

و تروى المصادر أن الامام الحسن قد خطب بعد وفاة أبيه أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب، فقال: «لقد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجهه برايته، فيكتنفه جبريل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، و لقد توفى فى الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم، و توفى فيها يوشع بن نون، وصى موسى، و ما خلف صفراء و لا- بيضاء، الا- سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله»، ثم حنقه العبرات فبكى و بكى الناس، ثم قال: «أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن البشير النذير، و أنا ابن الداعى الى الله عزوجل باذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم «قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى، و من يقترف حسنه نزد له فيها حسنا»، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت».

و هكذا تضمن خطاب الامام الحسن دعوة الناس الى مبايعته، و قد كانت دعوة رائعة، بكل ما للروعة من معنى، فهو قد عرف الناس - و هم يعرفون - أنه ابن النبى، و ابن الداعى الى الله، و ابن السراج المنير، و أنه الان رأس البيت الذى أذهب الله عنه الرجس و الأباطيل، و من ثم فهو أحق الناس بالخلافة بعد أبيه، فبايعة الناس، و كان أول من بايع قيس بن سعد الأنصارى.

و هكذا أصبح الامام الحسن خامس الراشدين، رغم أن كتب التاريخ انما اعتادت على أن تقدم لنا الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز، على أنه خامس

[صفحه ۱۴]

الراشدين، و نحن - مع تقديرنا العظيم للخليفة الزاهد و الحاكم و العادل، المحب لآل البيت [۱] - نرى أن ذلك خطأ تاريخى و دينى، فلقد تحققت بالامام الحسن و عليه معجزة جده سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قوله الشريف «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا عضوضا»، و صدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و صدقت معجزته، فكان للامام الحسن منها قرابة ستة أشهر تتميما لها، أو سبعة أشهر واحد عشر يوما، فيما يروى ابن‌عساكر، و من ثم فالامام الحسن هو خامس الراشدين، حيث كملت الثلاثون بخلافته، فلقد نزل عن الخلافة لمعاوية بن سفيان فى ربيع الأول سنة احدى و أربعين، و ذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فانه توفى فى ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة، و هذا من دلائل النبوة، و معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم، و من ثم فقد كانت آخر ولاية الحسن - كما يقول ابن خلكان - تمام ثلاثين سنة من أول خلافة أبى‌بكر الصديق.

ثم هناك معجزة أخرى للنبى صلى الله عليه و سلم تحققت بحفيده الحسن و عليه، ذلك أن من أبرز مناقب الامام الحسن ظهورا، و أبعدها أثرا فى حياته، و فى حياة أمة الاسلام بأسرها فى ذلك الحين، هو زهده فى الامارة، و كراهيته للعلو فى الدنيا، شأنه فى ذلك شأن أبيه العظيم الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، لم

[صفحه ۱۵]

يكن له أى هوى فى تحمل أمر المسلمين، فقد بايعه الناس - كما بايعوا أباه من قبل - على غير رغبة منه و رضى، و من ثم فقد سعت اليه الخلافة، و هو الجدير بها، و لم يسع اليها، و اضطر الى قبولها حتى لا يصير أمر الناس الى فوضى، و تظهر عظمة ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أوجها، و تبرز من أعماق نفسه القوة الكامنة فى أروع صورها، حين دانت له العراق و ماوراءها من خراسان، و اجتمعت له الكتائب أمثال الجبال، كما يروى البخارى، و مع ذلك لم تغلبه نفسه، و لم تفتنه الامارة، و لم تخدعه الدنيا باقبالها و

سلطانها، فتنازل عنها لمعاويـة، زهدا فيها، و كراهية المنازعة عليها، و ما قد يجره ذلك من سـفك الدماء، و تفرق الكلمة، و ما أصدقه حين يقول: «أيها الناس ان الأمر الذى اختلفت فيه، أنا و معاويه، انما هو حق أتركه لاصلاح الأمة، و حقن دمائها.»

و ليس هناك من ريب فى أن الحديث الشـريف الذى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى‌بكرة، قال: سمعت النبى صلى الله عليه و سلم على المنـبر، و الحسن الى جـانبه، ينظر الى النـاس مرة، و اليه مرة، و يقـول: «ان ابنى هـذا سـيد، و لعـل الله أن يصـلح به بين فئـتين من المسـلمين»، انما قد وقع من نفس الامام الحسن موقعا عظيما، و قد ذكره حين ثارت الفتنة، و قد اجتهد فى مواطن و أوقات متعددة أن يصـلح بين هاتين الفئتين من المسـلمين، فيحقق نبوة جده المصـطفى صلى الله عليه و سلم، و من ثم فقد كان هذا الحديث بالذات من أهم الأسـباب التى دفعت الامام الحسن الى قبول الصلح مع معاوية، و بذلك فقد تحققت فيه و به معجزة أخرى لجده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و أصلح الله به بين فئتين من المسلمين.

و هذا و سيدنا الامام الحسن - كواحد من أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم - انما قد أكرمه الله تعالى، بكل ما أكرم به أهل بيت، و بالتالى فهو واحـد من هؤلاء الطاهرين و المطهرين الذين جاءت فى حقهم آيتا الاحزاب (۵۶، ۳۳) و آية الشورى (۲۳) و غيرها، فضلا عن الأحـاديث الشـريفة التى جاءت فى فضائل أهل البيت، تحض المسـلمين على مودتهم و موالاتهم، و تنفر من بغضـهم و كراهيتهم، بل و تعلن أن حب آل النبى من حب النبى صلى الله عليه و سلم، و أن بغضهم من

[صفحه ۱۶]

بعضه، و أنه لا أمل لمن يكره آل النبى فى رضائه صلى الله عليه و سلم فى الدنيا، و فى شفاعته فى الآخرة.

و كـان سـيدنا رسول الله صـلى الله عليه و سـلم يحب الحسن كثيرا، روى البخـارى فى صـحيحه عن البراء بن عـازب، قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سـلم و الحسن بن على، على عـاتقه يقول: «اللهم انى أحبه فـأحبه»، و روى الامـام أحمـد و الرويـانى و ابن‌عسـاكر عن أبى‌بكرة قال: كان رسول الله صـلى الله عليه و سـلم يصـلى بالناس، فاذا سـجد وثب الحسن على ظهره أو على عنقه، فرفع رأسه فيضـعه وضـعا رقيقا لئلا يصـرع، فعل ذلك غير مرة، فلما قضـى صـلاته ضـمه اليه، و جعل يقبله، فقالوا: يا رسول الله انك لتفعل بهـذا شـيئا ما رأيناك تفعله بأحد، فقال: «ان ابنى هذا ريحانتى فى الدنيا، و ان ابنى هذا سيد، و سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين».

و أخرج الحافظ ابن‌كثير و الترمذى بسـنده عن ابن‌عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو حامل الحسن على عاتقه فقال له رجل: يا غلام نعم المركب ركبت، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «و نعم الراكب هو».

و بعد: فالله أسأل أن يكون فى هذه الدراسة بعض النفع، ولله العزة و لرسوله و للمؤمنين، «و ما توفيقى الا بالله عليه توكلت و اليه أنيب».

و صـلى الله على سـيدنا و مولانـا و جـدنا محمـد رسول الله، و على آله الطيبين الطـاهرين، و الحمـدلله حمـدا يليق بجلاله، و يقربنا الى مرضاته سـبحانه، ليتفضل علينا - بمنه و كرمه - فيقبلنا عنده فى أمة سـيدنا محمد صـلى الله عليه و سلم، عبادا لله قانتين، و تابعين للنبى الأمى الكريم، و بأخلاقه مقتدين، انه سميع قريب مجيب الدعوات، رب العالمين.

مكة المكرمة فى ۱۲ ربيع الأول عام ۱۴۰۷ ه.

۱۴ نوفمبر عام ۱۹۸۶ م.

دكتور محمد بيومى مهران

الاستاد بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية و كلية الشريعة - جامعة أم القرى بمكة المكرمة

[صفحه ۱۷]

فى رحاب النبى

مولد الحسن

تتفق المصادر، أو تكاد، على أن الامام الحسن انما ولد فى الخامس عشر من رمضان من العام الهجرى الثالث (۱۵ فبراير ۶۲۴ م) فى المدينة المنورة، و امامنا الحسن هو فلذة كبد سيد البشر مولانا محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ريحانة قلب المصطفى، و شبيه جده الرسول المجتبى، و قرة عين الزهراء سيدة نساء العالمين، و ابن الامام على، و هو أميرالمؤمنين، سبط رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيد شباب أهل الجنة، أبومحمد الحسن بن على بن أبى‌طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو أكبر أولادها، أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم بولادته قبل أن يولد، فلقد أخرج البغوى فى معجمه، و ابن‌الأثير فى أسد الغابة، و ابن‌عساكر فى تاريخه، و الامام أحمد فى مسنده، عن جابر، أن أم‌الفضل امرأة العباس بن عبدالمطلب قالت: يا رسول الله كأن عضوا من أعضائك فى بيتى، فقال صلى الله عليه و سلم: «خير رأيتيه، تلد فاطمة غلاما فترضعيه بلبن قثم، فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم». هذا وقد اختلفت الروايات فى سبب تسمية الحسن و الحسين باسميهما، فلقد روى أبونعيم الأصفهانى فى «حلية الأولياء» عن سودة بنت سرج قالت: كنت ممن حضر فاطمة حين ضربها المخاض فأتانا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: كيف هى؟ كيف هى؟ ابنتى فديتها، قلنا انها لتجهد، قال: فاذا وضعت فلا تحدثى شيئا حتى

[صفحه ۱۸]

تؤذنينى، قالت: فلما وضعته سررته و لففته فى خرقة صفراء، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ما فعلت ابنتى فديتها؟ و حالها؟ و كيف هى؟ قلت يا رسول الله، قد وضعت غلاما، و أخبرته بما صنعت، فقال: لقد عصيتنى، قلت: أعوذ بالله، من معصية الله و رسوله، سررته يا رسول الله، و لم أجد من ذلك بدا، فقال: ائتنى به، فأتيته به، فألقى عنه الخرقة الصفراء، و لفه فى خرقة بيضاء، و تفل فى فيه، و أرضعه بريقه، ثم قال: ادعى لى عليا فدعوته فقال: ما سميته يا على، فقال سميته جعفرا، قال: لا، لكنه حسن، و بعده حسين، و أنت يا على أبوالحسن و الحسين، و فى لفظ: و أنت أبوالحسن الخير.

وفى رواية للطبرانى و الامام أحمد، و ابن أبى‌شيبة و ابن جرير و ابن‌حبان و الحاكم و الدولابى فى كتابه «الذرية الطاهرة» أنه صلى الله عليه و سلم سمى الأول حسنا، فلما ولد الثانى سماه حسينا، فلما ولد الثالث سماه محسنا، و قال: انى سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر و شبير و مشبر.

و أخرج الطيالسى فى مسنده و الامام أحمد فى مسنده، و ابن عبدالبر فى الاستيعاب، والهيثمى فى مجمع الزوائد و البزار و الطبرانى، عن هانىء بن هانىء عن على، قال: لما ولد الحسن سميته حربا، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قال قلت: حربا، قال: بل هو حسن، فلما ولد الحسين سميته حربا، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قالت قلت: حربا، قال بل هو حسين، فلما ولد الثالث سميته حربا، فجاء النبى صلى الله عليه و سلم فقال: أرونى ابنى ما سميتموه؟ قلت: حربا، قال: بل هو محسن، ثم قال: سميتهم بأسماء ولد هارون: شبر شبير و مشبر.

و أخرج الامام أحمد و الهيثمى و أبويعلى و البزار و الطبرانى عن محمد بن على عن على قال: لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه بعمه جعفر، قال: فدعانى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: انى أمرت أن أغير اسم هذين، فقلت: الله و رسوله أعلم،

فسماهما: حسنا و حسينا.

و روى أن النبى صلى الله عليه و سلم ما أن علم أن الزهراء قد وضعت وليدها المبارك حتى

[صفحه ۱۹]

أسرع الى بيتها و نادى: يا أسماء هاتينى ابنى، فاسرعت اسماء و دفعته اليه فى خرقة صفراء، فقال: ألم أعهد اليكم ألا تلفوا المولود فى خرقة صفراء، و أذن صلى الله عليه و سلم فى أذنه اليمنى، و أقام فى اليسرى، و كان أول صوت سمعه المولود الجديد هو صوت جده صلى الله عليه و سلم، و كانت أنشودة هذا الصوت «الله اكبر، لا اله الا الله» ثم التفت رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الامام على، الذى تاه فرحا، اذ صار لرسول الله صلى الله عليه و سلم ذرية منه يفخر بنسبتها اليه على كافة الناس، و قال صلى الله عليه و سلم لعلى: هل سميت الوليد المبارك، فقال الامام: ما كنت لأسبقك يا رسول الله، و ما هى الا لحظات، و اذا بالوحى يناجى الرسول صلى الله عليه و سلم و يحمل له التسمية من الحق تعالى، يقول له جبريل: سمه حسنا، و هو اسم لم يعرف فى الجاهلية، و قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء: أخرج ابن‌سعد «الحسن و الحسين اسمان من أسماء الجنة، ما سمت العرب بهما فى الجاهلية»، و جاء فيه كذلك: «أن الله حجب اسم الحسن و الحسين حتى سمى بهما النبى صلى الله عليه و سلم ابنيه».

و روى ابن‌عقيل عن على بن الحسين رضى الله عنه قال: لما ولدت فاطمة حسنا قالت: يا رسول الله، ألا أعق عن ابنى بدنة، قال: لا، ولكن احلقى رأسه و تصدقى بوزن شعره فضة على المساكين، ففعلت، ثم انه صلى الله عليه و سلم عق عنه و ذبح كبشا، تولى ذلك بنفسه الشريفة، أخرج الامام أحمد عن عبدالله بن بريدة قال: سمعت أبى يقول: «ان رسول الله صلى الله عليه و سلم عق عن الحسن و الحسين»، و عن جعفر الصادق قال: عق رسول الله عن الحسن بيده، و قال: بسم الله عقيقه عن الحسن، و قال: «اللهم اجعلها وفاء لمحمد و آل محمد»، وفى رواية: عق عنه بكبشين أملحين و أعطى القابلة و فخذا و دينارا و قال يا فاطمة احلقى رأسه و تصدقى بزنة شعره فضة، و أجرى صلى الله عليه و سلم الختان فى اليوم السابع من ولادته، و عنه صلى الله عليه و سلم «طهروا أولادكم يوم السابع، فانه أطيب و أطهر و أسرع لنبات اللحم و أن الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين يوما».

نسب الحسن

هو الحسن بن على بن أبى‌طالب بن عبدالمطلب بن هاشم، و أمه فاطمة

[صفحه ۲۰]

بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، و هذا اعظم نسب عرفته الدنيا، و كفى الامام الحسن و الامام الحسين أن جدهما سيد ولد آدم محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أباهما أميرالمؤمنين الامام على المرتضى، و أمهما فاطمة الزهراء، سيدة النساء، و بضعة رسول الله صلى الله عليه و سلم وجدتهما خديجة بنت خويلد، و عمهما جعفر الطيار، و عم أبيهما حمزة أسد الله و أسد رسول الله و سيدالشهداء، وجدهما أبوطالب ناصر الرسول صلى الله عليه و سلم و المدافع عنه و المتحمل الأذى فى سبيله، وجد أبيهما عبدالمطلب شيبة الحمد و سيد البطحاء، وجد وجدهما هاشم مطعم الحجيج و هاشم الثريد و سيد قريش، أخرج الترمذى و الطبرانى فى المعجم الكبير و ابن‌مردويه و أبونعيم و البيهقى معا فى الدلائل عن ابن‌عباس أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ان الله قسم الخلق قسمين: فجعلنى فى خيرهما قسما، فذلك قوله: (و أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين، و أصحاب

الشمال ما أصحاب الشمال)، و أنا من أصحاب اليمين، و أنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثا، فجعلنى فى خيرها ثلثا، فذلك قوله: «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، و السابقون)، فأنا من السابقين و أنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلنى فى خيرها قبيلة، و ذلك قوله (و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا أن أكرمكم عندالله أتقاكم)، و أنا أتقى ولد آدم و أكرمهم على الله تعالى و لا فخر، ثم جعل القبائل بيوتا، فجعلنى فى خيرها بيتا، فذلك قوله: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)، فأنا و أهل بيتى مطهرون من الذنوب».

و أخرج عبدالرزاق فى مصنفه، و الطبرانى فى معجمه، و ابن‌عساكر فى تاريخه، و الحاكم فى مستدركه عن ابن‌عباس قال: صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة العصر، فلما كان فى الركعة الرابعة، أقبل الحسن و الحسين حتى ركبا على ظهره، فلما سلم وضعهما بين يديه، و أقبل على الحسن فحمله على عاتقه الأيمن، و الحسين على عاتقه الأيسر، ثم قال: «أيها الناس، ألا أخبركم بخير الناس جدا وجدة، ألا أخبركم بخير الناس عما و عمة، ألا أخبركم بخير الناس خالا و خالة، ألا أخبركم

[صفحه ۲۱]

بخير الناس أبا و أما؟ الحسن و الحسين، جدهما رسول الله، وجدتهما خديجة بنت خويلد، و أمهما فاطمة بنت رسول الله، و أبوهما على بن أبى‌طالب، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و عمتهما أم هانىء بنت أبى‌طالب، و خالهما القاسم بن رسول الله و خالاتهما زينب و رقية و أم‌كلثوم بنات رسول الله، وجدهما فى الجنة، و أبوهما فى الجنة، و أمهما فى الجنة، و عمهما فى الجنة، و عمتهما فى الجنة، و خالاتاهما فى الجنة؛ و هما فى الجنة، و من أحبهما فى الجنة» و يعلق بعض العلماء على هذا الحديث الشريف بأن الله شرف الحسن و الحسين بما لم يشرف به أحد غيرهما، فهما سبطا رسول الله صلى الله عليه و سلم و ريحانتاه، و سيدا شباب أهل الجنة، جدهما رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبوهما الامام على، و أمهما الطاهرة البتول فاطمة بنت الرسول الله صلى الله عليه و سلم، و هكذا كان نسبهما تتضاءل عنده الأنساب، فالحسن و الحسين، عليهماالسلام، دوحة الفضل و النبوة التى طابت فرعا و أصلا، شعبة الرسالة التى سمت و رفعة و نبلا، قد اكتنفهما العز و الشرف، و لازمهما السؤدد، فما له عنهما منصرف.

و روى الحاكم فى المستدرك، و الهيثمى فى فضائل أهل بيت، أن الامام الحسن نفسه انما يقول، معبرا عن هذا الشرف: «ايها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و من لم يعرفنى، فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن الوصى، و أنا ابن البشير، و أنا ابن النذير، و أنا ابن الداعى الى الله باذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذى أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا»، و زاد أبوالفرج فى «مقاتل الطالبيين»، و «و الذين افترض الله مودتهم فى كتابه اذ يقول (و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا)، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت».

و أخرج ابن‌عساكر فى تاريخه، و الحافظ ابن‌كثير، بسندهما عن المدايني، قال: كان عمرو بن العاص، و جملة من الأشراف، من أكرم الناس، فقال معاوية: من أكرم أبا و أما، وجدا وجدة، و خالا و خالة. و عما و عمة، فقام النعمان بن العجلان، فأخذ بيد الحسن، فقال هذا، أبوه على، و أمه بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، وجده رسول الله صلى الله عليه و سلم وجدته خديجة، و عمه جعفر، و عمته أم هانىء بنت أبى‌طالب، و خاله القاسم، و خالته زينب، فقال عمرو بن العاص: أحب بنى

[صفحه ۲۲]

هاشم دعاك الى ما عملت؟، فقال ابن‌العجلان: يا ابن‌العاص: ما عملت؟ أنه من التمس رضاء مخلوق بسخط الخالق، حرمه الله أمنيته،

و ختم له بالشفاء فى آخر عمره، بنوهاشم أنضر قريش عودا، و أقعدها سلما، و أفضلها أحلاما».

كنيته و القابه و صفاته

كنى الامام الحسن بأبى‌محمد، كناه بذلك جده رسول الله صلى الله عليه و سلم و أما ألقابه فكثيرة، منها التقى و الزكى و الطيب و الوفى و الولى و السبط، و السيد و أميرالمؤمنين و الحجة و الزاهد و المجتبى، و أشهرها السبط، و أعلاها رتبة و أولاها به، ما لقبه به جده سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم «السيد»، كما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن أبى‌بكرة، فقد روى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى‌موسى عن الحسن عن أبى‌بكرة رضى الله عنه: أخرج النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال: «ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» (۲۴۹:۴ ط الشعب).

و أخرج الامام أحمد عن الحسن بن الحسن، قال: حدثنا أبوبكرة، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى بالناس، و كان الحسن بن على يثب على ظهره اذا سجد، ففعل ذلك غير مرة، فقالوا له: و الله انك لتفعل لهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد، قال المبارك، فذكر شيئا ثم قال: ان ابنى هذا سيد، و سيصلح الله تبارك و تعالى به بين فئتين من المسلمين، فقال الحسن: «فوالله و الله بعد أن ولى و لم يهرق فى خلافته ملء محجمة من دم»، و ما أجمل قول ابن عبدالبر فى الاستيعاب عن هذا بأن الآثار الصحاح و قد تواترت عن النبى صلى الله عليه و سلم بأنه قال للحسن «ان ابنى هذا سيد»، و لا أسود ممن سماه رسول الله صلى الله عليه و سلم «سيدا».

و أما صفته فقد كان، كما ذكر و اصفوه، أبيض مشربا بحمرة، أدعج العينين،سهل الخدين، كث اللحية، ذا وفرة كأن عنقه ابريق فضة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل و لا بالقصير جعد الشعر، حسن البدن، و يخضب بالسواد، مليحا من أحسن الناس وجها، غير أن أهم

[صفحه ۲۳]

صفات الحسن انما كان شبهه الكبير بسيدنا و مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلقد كانت ملامح الحسن تحاكى جده العظيم صلى الله عليه و سلم و من ثم فقد وصفه و اصفوه فقالوا «لم يكن أحد أشبه رسول الله صلى الله عليه و سلم من الحسن بن على، عليه‌السلام، خلقا و خلقا و هيأة و هديا و سؤددا»، و قد أخرج البخارى عن أنس أنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبى صلى الله عليه و سلم من الحسن بن على، و أخرج الترمذى و الامام أحمد عن أبى‌جحيفة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أبيض قد شاب، و كان الحسن بن على يشبه»، و عن الامام الغزالى فى الاحياء، و أن النبى صلى الله عليه و سلم قال للحسن، رضى الله عنه، «أشبهت خلقى و خلقى»، و أخرج الامام الترمذى و ابن‌حنبل فى المسند و الفضائل عن هانىء بن هانىء عن على قال: «الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين الصدر الى رأس، و الحسين أشبه بالنبى ما كان أسفل ذلك».

و أخرج الامام أحمد فى مسنده عن أنس بن مالك قال: «لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم من الحسن بن على و فاطمة، صلوات الله عليهم أجمعين»، و عن أنس كذلك: «كان الحسن بن على أشبههم وجها برسول الله صلى الله عليه و سلم»، و أخرج أبوداود الطياسلى و الامام أحمد عن ابن أبى‌مليكة قال: كانت فاطمة تنقز الحسن بن على، و تقول: بأبى شبيه النبى ليس شبيها بعلى، و روى ابن‌حجر فى الاصابة عن البهى مولى الزبير، قال: تذاكرنا من أشبه النبى صلى الله عليه و سلم من أهله، فدخل علينا عبدالله بن الزبير فقال أنا أحدثكم بأشبه أهله به و أحبهم اليه، الحسن بن على»، و أخرج البخارى عن ابن أبى‌مليكة عن عقبة بن الحارث، قال: صلى ابوبكر رضى الله عنه العصر، ثم خرج يمشى فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه و قال: «بأبى شبيه بالنبى صلى الله عليه و سلم لا شبيه بعلى، و على يضحك».

بنوة الحسن للنبى

شرف رسول الله صلى الله عليه و سلم الامام الحسن، كما شرف أخاه الامام الحسين، بأن نسبهما اليه بالنبوة، و ان كانا من صلب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة،

[صفحه ۲۴]

روى الترمذى بسنده عن أسامة بن زيد قال: طرقت النبى صلى الله عليه و سلم فى بعض الحاجة فقال: «هذان ابناى و ابنا ابنتى، اللهم انى أحبهما فأحبهما و أحب من يحبهما»، و أخرج ابن‌عساكر و الحاكم فى المستدرك، على شرط البخارى و مسلم، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «الحسن و الحسين ابناى، من أحبهما أحبنى، و من أحبنى أحبه الله، و من أحبه الله أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضنى، و من أبغضنى أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله النار»، و روى الحافظ العراقى عن جابر أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم للحسن: «ان ابنى هذا سيد، يصلح الله به بين فئتين من المسلمين»، و أخرج ابن‌عساكر و الحاكم فى المستدرك بسنده عن أبى‌رافع عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أنها أتت بابنيها، الحسن و الحسين رضى الله عنهما، الى رسول الله فى شكواه الذى توفى فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك فورثهما شيئا، قال: أما الحسن فقد نحلته حلمى و هيئتى و أما الحسين فقد نحلته نجدتى وجودى»، و أخرج ابن‌عساكر و ابن أبى‌خيثمة عن عائشة، رضى الله عنها، قالت: ان النبى صلى الله عليه و سلم كان يأخذ حسنا ثم يضمه اليه ثم يقول: «اللهم ان هذا ابنى و أنا أحبه، فأحبه و أحب من يحبه»، و روى أنس بن مالك قال: «دخل الحسن على النبى صلى الله عليه و سلم فأردت أن أميطه عنه فقال صلى الله عليه و سلم: ويحك يا أنس، ابنى و ثمرة فؤادى، فان من آذى هذا فقد آذانى، و من آذانى فقد آذى الله.

و من أجل كل هذا فقد كان يقال لكل من السبطين، و الحسن والحسين، «يا ابن‌المصطفى»، و قد قال الامام الحسن نفسه عن نفسه «أنا الحسن بن محمد صلى الله عليه و سلم، أنا ابن‌البشير، و أنا ابن‌النذير، أنا ابن الداعى الى الله عزوجل باذنه، و أنا ابن‌السراج المنير»، كما كان الحسن و الحسين يعتزان بأبوته صلى الله عليه و سلم و يهتفان به، فيقول كل منهما للنبى صلى الله عليه و سلم «يأ أبت»، فاذا هتف الحسن بأبيه على، قال له «يا أباالحسين»، و اذا هتف الحسين بأبيه قال له «يا أباالحسن»، فلما انتقل جدهما صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما الامام على «يا أبت»، و لعل مما تجدر الاشارة اليه ان البنوة التى شرف بها سيدنا و مولانا رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن فى قوله الشريف «ان ابنى هذا سيد»، و قوله الشريف «انما هما ابناى

[صفحه ۲۵]

و ابنا ابنتى» أيدها القرآن الكريم فى آية المباهلة (آية ۶۱ آل عمران)، ففى العام العاشر من الهجرة وفد الى النبى صلى الله عليه و سلم سادة نصارى نجران، فدعاهم الى الاسلام، و لما أصروا على المكابرة و العناد دعاهم صلى الله عليه و سلم الى المباهلة، فوافق القوم، فلما خرج اليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه فاطمة و على و الحسن و الحسين، عليهم‌السلام، و قال: «ان أنا دعوت فأمنوا، غير أن القوم تراجعوا و قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها»، و هكذا عدل نصارى نجران عن المباهلة و صالحوا النبى صلى الله عليه و سلم على الجزية، خشية أن يصيبهم عذاب الله.

نشأة الامام الحسن

نشأ الحسن فى بيت الوحى و تربى فى مدرسة التوحيد، و شاهد جده صلى الله عليه و سلم الذى هو أكمل انسان ضمه هذا الوجود، جمع الناس على كلمة التوحيد و توحيد الكلمة، فتأثر الحسن السبط بذلك كله، و انطلق يسلك خطى جده صلى الله عليه و سلم فى نصح الناس و ارشادهم، يروى أنه اجتاز، مع أخيه الحسين السبط، و هما فى دور الطفولة على شيخ لا يحسن الوضوء، فلم يدعهما سمو النفس و حسن الخلق و حب الخير للناس أن يتركا الشيخ على حاله، فأحدثا نزاعا صوريا أمامه، و جعل كل منهما يقول للآخر: «أنت لا تحسن الوضوء، ثم طلبا من الشيخ أن يحكم بينهما، قائلين له: يا شيخ كل واحد منا يتوضأ أمامك، و انظر أى الوضوئين أحسن»، فتوضآ أمامه، و جعل الشيخ يمعن فى ذلك فتنبه الى قصوره، و قال لهما: «كلاكما يا سيدى تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذى لا يحسن، و قد تعلم الآن منكما وثاب على يديكما»، و تدل هذه الواقعة، فيما يرى الأستاذ أبوعلم، على اتجاه الرسول صلى الله عليه و سلم الى الهداية بالطرق السلمية و الأخلاق الرفيعة، و قد انطبعت فى ذهن الامام الحسن عليه‌السلام، و هو فى دور الصبا حتى صارت من خصائصه و من طبائعه، مما يدل على تأثيره بالبيئة الصالحة التى تكونت من أسرته و من صلحاء المسلمين.

هذا و قد تحدث الرواة عن نبوغ الامام الحسن المبكر، فقد ملك

[صفحه ۲۶]

بمقتضى ميراثه من الذكاء، و سمو الادراك ما لا يملكه غيره، فكان لا يمر عليه شىء الا حفظه، و كان يحضر مجلس جده صلى الله عليه و سلم فيحفظ الوحى فينطلق الى أمه فيلقيه عليها، فتحدث به الامام عليا فيتعجب و يقول: من أين لك هذا، فتقول «من ولدك الحسن»، و قد روى عن جده عدة أحاديث شريفة، سنشير اليها فى مكانها من هذه الدراسة.

هذا و قد تأثر الامام الحسن كذلك بأمه السيدة فاطمة الزهراء، فلقد كانت سيدة نساء العالمين، تعنى بولديها الحسن و الحسين كثيرا، لأنها كانت تخاف عليهما من مستقبل جائر يصفه جدهما صلى الله عليه و سلم، و هو الذى لا ينطق عن الهوى، و كانت شديدة التعلق بهما، حتى أنها كانت تضطرب اذا ما فارقاها أو انصرفا عن البيت الى غير جدهما صلى الله عليه و سلم أو أبيهما، فهى تلازمهما لتنشىء فيهما المعرفة و الآداب النبوية، و لتحليهما بالعادات التى تتفق و مكانة سبطى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كما هو معروف فان التربية الحقة انما تبدأ فى عهد الأمومة، حيث يمارس الولد المحبة و الطاعة و المحافظة على الواجبات و الحقوق، و من ثم فقد بدأت الزهراء، عليهاالسلام، تغرس تعاليم بيت النبوة فى ولديها لتجعلهما صافى النفس، و لتصرفهما بكليتيهما الى السماء، فينشأ الواحد منهما مجبولا على طبائعها، فضلا عما أويته من شبه بها و بالنبى صلى الله عليه و سلم، و هكذا عملت الزهراء على تنشأتهما النشأة الصالحة كسبطين لرسول الله صلى الله عليه و سلم و ولدين للامام على المرتضى، سلام الله عليهم أجمعين، و هكذا رغم قصر الفترة التى عاشها الامامان الحسن و الحسين فى حضانة الزهراء فقد جعلتهما متمرسين بفكرة الله والدين، و لا عجب فى أن يكون الحسنان كذلك، فقد ربيا و نشأ فى ظل رجلين و امرأة هم أعظم من أظلت السماء.

غير أن ارادة الله شاءت، و لا راد لمشيئته، أن تحرم الحسنان من جدهما و أمهما، و هما طفلان، لم يتجاوز الحسن، و هو الأكبر، الثامنة من عمره، حيث فقدا جدهما المصطفى صلى الله عليه و سلم أولا، ثم ما أن تمضى بضعة أشهر حتى يفقدا أمهما، فلقد خرج الحسن و الحسين من بيتهما يوما ما، ثم عادا فوجدا أمهما قد

[صفحه ۲۷]

فارقت الحياة، و هكذا فقدا أنبل و أشرف أم، و أصبحا يتيمين من جدهما النبى صلى الله عليه و سلم و من أمهما فاطمة البتول، و

محرومين الا من رحمة الله و أبيهما، و ليستظلا ببيت ليس فيه جد رحيم، و لا أم رؤوم، ولكن أباهما لم يجعل لليأس الى قلبيهما سبيلا، بل انتشلهما من ذل اليتم و جعلهما فى كنف وارف، و ظل ظليل، فى كنف الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، فكان لهما نعم الأب، و نعم الموجه، كما كان فى نفس الوقت نعم القدوة الحسنة.

كان الامام على دائم السهر على ولده، يشمله برعايته، و يتعهده بحبه، و يشرح له الأمور بفصاحته المشهورة، يزوده بمعارفه، و يطلعه على ما طوى صدره من علم و حكمة، قال له مرة «يا بنى احفظ عنى أربعا و أربعا، لا يضرك ما عملت معهن، ان أغنى الغنى العقل، و أكبر الفقر الحمق، و أوحش الوحشة العجب، و أكرم الحسب حسن الخلق، يا بنى اياك و مصادقة الأحمق، فانه يريد أن ينفعك فيضرك، و اياك و مصادقة البخيل فانه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه، و اياك و مصادقه الفاجر فانه يبيعك بالتافه، و اياك و مصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد، و يبعد عنك القريب»، و كان الحسن يسأل أباه كثيرا عما خفى عنه من الأمر، فلقد سأله يوم النهروان: يا أميرالمؤمنين، أكان رسول الله تقدم اليك فى أمر هؤلاء بشىء؟ فأجابه، أن رسول الله أمرنى بكل حق، و من الحق أن أقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، هكذا كما نهل الحسن من بحر جده صلى الله عليه و سلم رحيقا صافيا، فانه نهل من معين والده فراتا عذابا سائغا، حتى نشأ، و هو بين أحضان جده صلى الله عليه و سلم يكرع و ينهل، و بين يدى والده يرتشف و يرتوى، حتى أصبح و كأنه يلهم عن وحى، و يغترف من بحر.

و كان الامام على، رضى الله عنه، و كرم الله وجهه فى الجنة، حريصا، الحرص كل الحرص، على حياة الحسن و الحسين، لأن فى بقائهما حفظ لذرية النبى صلى الله عليه و سلم، يروى أنه فى واقعة الجمل، كان الحسن فى ميمنة الجيش، و الحسين فى الميسرة، و الراية بيد الأخ الثالث محمد بن الحنفية، وكان الوالد الامام يقذف بمحمد، و يكف الحسن و الحسين، فقيل لمحمد: لم يغرر بك

[صفحه ۲۸]

أبوك فى الحرب، و لا يغرر بأخويك؟ فأجاب: «انهما عيناه و أنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه»، فالحسن عند أبيه ساعد قوى، و الامام على يزحف و أولاده من حوله، يشدون أزره و يسندون ظهره، و قد كان الحسن يدفع بأبيه الى السيوف، دون أن ينسى موعظة نفسه، و دون أن يدرأ عنها الخطر به، فقد كان مع أخيه الحسين يبذلان النفس رخيصة بين يدى المبدأ عندما رأيا المكروه يحدق بأبيهما فراحا يستأذناه و يرتميان فى المهالك غضبا لله،، وذبا عن الامام و حزبه، الى أن ألجأه أن يقول لأصحابه «املكوا عنى هذين الغلامين فانى أنفس بهما عن القتل، والله انى لسخى بنفسى عن الدنيا، طيب النفس بالموت، و لقد هممت بالاقدام على القوم فنظرت الى هذين قد ابتدرانى، يعنى الحسن و الحسين، و نظرت الى هذين قد استقدمانى، يعنى عبدالله بن جعفر و محمد بن الحنفية، فعلمت أن هذين (الحسن و الحسين) ان قتلا انقطع نسل رسول الله صلى الله عليه و سلم من هذه الأمة، و كرهت ذا، و أشفقت على هذين أن يهلكا».

مكانة الحسن عند النبى

أحاط النبى صلى الله عليه و سلم الحسن و الحسين بمزيد من رعايته، و أفاض عليهما من شفقته و عطفه، أخرج أبوداود و النسائى و الترمذى و الامام أحمد فى المسند عن عبدالله بن بريدة، قال: «سمعت أبى‌بريدة يقول كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطبنا فجاء الحسن و الحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله (انما أموالكم و أولادكم فتنة) نظرت الى هذين الصبيين، يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى و رفعتهما»، و أخرج مسلم عن أبى‌هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال للحسن: اللهم انى أحبه، فأحبه و أحب من يحبه»، و روى

كذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم كثيرا ما كان يركب الحسن و الحسين معه بغلته الشهباء، هذا قدامه، و هذا خلفه، حتى يدخل بهما حجرته»، و أخرج الترمذى عن اياس بن سلمة عند أبيه قال: لقد قدت نبى الله صلى الله عليه و سلم و الحسن و الحسين على بغلته الشهباء حتى أدخلته حجرة النبى صلى الله عليه و سلم، هذا قدامه، و هذا خلفه.

[صفحه ۲۹]

هذا وقد بلغ من حنان النبى صلى الله عليه و سلم على الحسن و الحسين، وحدبه عليهما، ما رآه المسلمون رأى العين، حينما كان صلى الله عليه و سلم يصلى العشاء فاذا سجد وثب الحسن و الحسين، رضى الله عنهما، على ظهره، فاذا رفع رأسه، أخذهما أخذا رقيقا فيضعهما على الأرض، فاذا عاد عادا، حتى اذا قضى الصلاة أقعدهما على فخذيه، أخرج الامام أحمد و الهيثمى و البزار عن أبى‌هريرة قال: «كنا نصلى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم العشاء، فاذا سجد وثب الحسن و الحسين على ظهره، فاذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رقيقا و يضعهما على الأرض، فاذا عاد عادا، حتى قضى صلاته، أقعدهما على فخذيه، قال: فقمت اليه فقلت يا رسول الله، أردهما، فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما، قال: فمكث ضؤها (يعنى البرقة) حتى دخلا»، و أخرج النسائى بسنده عن عبدالله بن شداد عن أبيه قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم لصلاة العشاء، و هو حامل الحسن، رضى الله عنه، فتقدم النبى صلى الله عليه و سلم للصلاة فوضعه ثم كبر وصلى فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة فأطالها، قال: فرفعت رأسى، فذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ساجد، فرجعت الى سجودى، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاته، قال الناس: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، و أنه يوحى اليك، فقال صلى الله عليه و سلم كل ذلك لم يكن، ولكن ارتحلنى الحسن فكرهت أن أعجله حتى ينزل» (روى مثله أبويعلى عن أنس، و البزار و أبويعلى عن عبدالله بن مسعود، و الطبرانى عن البراء بن عازب).

هذا وقد بين النبى صلى الله عليه و سلم أن مكانة الحسن و الحسين منه، و سيادتهما بين الناس، لا تقف عند حد الدنيا، و لا تقتصر على قومهما، بل تمتد الى الدار الآخرة، و تشمل الناس جميعا فى كل زمان و مكان، فيقول «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، و بدهى أن النبى صلى الله عليه و سلم لم يكن فى كل ذلك مدفوعا بحبه لحفيديه العظيمين، و انما كان مأمورا بوحى من الله، كى يعلم المسلمون ما يجب عليهم نحو أهل البيت عامة، و الحسن و الحسين خاصة، من صدق

[صفحه ۳۰]

المحبة، و خفض الجناح، و معرفة حقهم، و استشعار كل الاجلال و التقدير لأهل هذا البيت الذى أذهب عنه الرجس و طهره تطهيرا، و فى نفس الوقت فلقد حرص رسول الله صلى الله عليه و سلم على التحذير من مغبة معاداتهم و مشاقتهم، لأنهما معاداة و مشاقة لله و رسوله، و صدق الله حيث يقول «و من يشاقق الله و رسوله فان الله شديد العقاب»، و تاكيدا لهذا المعنى، و زيادة فى ايضاحه يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم للحسن و الحسين «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم»، كما بلغ من تكريم النبى صلى الله عليه و سلم للحسنين أنه لم يبايع صغيرا الا هما و ابن‌عباس و ابن‌جعفر روى الطبرانى بسنده أن النبى صلى الله عليه و سلم بايع الحسن و الحسين و عبدالله بن عباس و عبدالله بن جعفر، و هم صغار، قال ابن‌عباس «و لم يبايع صغيرا الا منا».

[صفحه ۳۱]

الامام الحسن و الخلفاء و الراشدون

الامام الحسن و الصديق

كان انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى حدثا مهولا مذهلا، دارت منه رؤوس الملأ الذين عاشوا فى صحبته صلى الله عليه و سلم و فزعت له أفئدتهم، و انفطرت منه قلوبهم، فما بالك بآل البيت، السيدة فاطمة و الامام على و الحسن و الحسين، فقد كانوا أكثر الناس مصيبة، كان الامام الحسن ينظر عقب وفاة جده العظيم صلى الله عليه و سلم الى الحزن البهيم الذى حل بأمه الزهراء، فيتصدع من هول الفادحة قلبه، و يذرف من الدموع ما ساعدته الجفون، ثم سرعان ما تجد أمور تزيد من حيرة الصبى، فمن المعروف أن أباه الامام على كان يرشح لخلافة جده النبى الرسول، و كانت وجهة نظره، فيما يرى بعض العلماء، أنه مادام الرسول صلى الله عليه و سلم لم يعهد بالخلافة الى أحد بذاته، فان البيت الذى اختارته السماء ليكون منه النبى المصطفى، هو البيت يختار منه المسلمون خليفتهم، مادام فى رجال هذا البيت من يتمتع بالكفاية الكاملة لشغل منصب الخلافة، و بدهى أننا هنا لسنا بصدد مناقشة رأى الامام فى خلافة الصديق، فذلك أمر ناقشناه بالتفصيل فى كتابنا عن الامام على، و ان كان لا يفوتنا هنا أن نقرر عن يقين، لا يشوبه شائبة من ريب، أن الامام على فى موقفه هذا، لم يكن مدفوعا برغبته الشخصية فى منصب الخلافة، كما أنه لم يكن ينفس على أبى‌بكر الصديق هذا المنصب،

[صفحه ۳۲]

و انما كان يدافع عن رأى رآه و اعتقده، و لم يكن لديه موضع شك أو ريب فيه.
و كانت الزهراء، عليهاالسلام، على نفس الرأى، كانت ترى أن زوجها الامام على أحق الناس بالخلافة، فهو ربيب النبى صلى الله عليه و سلم و ابن عمه، و زوج ابنته، و أبوسبطيه الحسن و الحسين، و أول الناس اسلاما، و أطولهم فى الجهاد باعا، و هو فتى قريش علما و فضلا و شجاعة، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يحبه أشد الحب و يؤثره أعظم الايثار، استخلفه حين هاجر من مكة الى المدينة على ما كان عنده من الودائع حتى ردها الى أصحابها، و أمره فنام فى مضجعه ليلة ائتمرت قريش بقتله، فكان أول من شرى نفسه فى سبيل الله، ثم هاجر حتى لحق بالنبى صلى الله عليه و سلم فى المدينة، فآخى النبى بينه و بين نفسه،ثم شهد مع النبى صلى الله عليه و سلم مشاهده كلها، و كان صاحب رايته فى أيام البأس، و قال النبى صلى الله عليه و سلم يوم خيبر «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله»، فلما أصبح دفع الراية الى على، و قال النبى صلى الله عليه و سلم يوم استخلفه على المدينة و على أهله عندما سار الى غزوة تبوك «أنت منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبى بعدى»، و أعطاه سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم، فلما قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها الى أبى‌بكر، قال: «لا يؤد عنى الا رجل من أهل بيتى»، و قال النبى صلى الله عليه و سلم للمسلمين فى طريقه الى المدينة من حجة الوداع «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه»، و من ثم فان الزهراء ما أن علمت بما حدث فى اجتماع سقيفة بنى‌ساعدة، و اختيار المجتمعين للصديق خليفة للمسلمين، و أبوها سيد الأنبياء و المرسلين لم يقبر بعد، حتى بكت بكاء حارا، فلما جاءها بعض الصحابة معزين، و فيهم أبوبكر و عمر و أبوعبيدة، قالت: «تركتم رسول الله صلى الله عليه و سلم جنازة بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم و لم تستأمرونا»، فبكى الصديق حتى علا نشيجه، و بكى من كان فى الدار من المهاجرين ممن كانوا يساعدون الامام عليا فى تجهيز سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و فيهم الزبير و سلمان و أبوذر و المقداد

و عمار بن ياسر.

و لا ريب فى أن ما استقر فى نفس الامام على، و فاطمة الزهراء، و آل

[صفحه ۳۳]

البيت، من الاستياء من صرف الخلافة عن الامام على، رغم قرابته القريبة من النبى صلى الله عليه و سلم لأنه فرع النبوة، بل ان آل البيت انما هم شجرة النبوة، و محط الرسالة، لا شك أن ذلك انما قد استقر فى نفس الامام الحسن، فجعله لا يرضى عن من احتل مركز أبيه النبى صلى الله عليه و سلم، روى ابن أبى‌الحديد فى شرح النهج، و ابن‌حجر الهيثمى فى الصواعق، أن الحسن دخل المسجد، و كان الصديق يخطب على المنبر، فقال له: «انزل عن منبر أبى و اذهب الى منبر أبيك، فأجابه أبوبكر: صدقت، والله انه لمنبر أبيك، لا منبر أبى»، ثم حدثت بعد ذلك أمور، ربما أقلقت الصبى كثيرا أو قليلا، منها اختلاف رأى أهل البيت عن رأى الصديق فى سهم ذى القربى من غنائم المسلمين، و الذى تحدثت عنه الآية ۴۱ من سورة الأنفال، ثم هناك قضية ميراث الزهراء من أبيها النبى صلى الله عليه و سلم، و كل تلك أمور قد ناقشناها بالتفصيل فى كتابنا عن الامام على، و فى كتابنا عن الزهراء من قبل.

و على أى حال، فما أن تمضى بضعة شهور على انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، حتى تلحق الزهراء بأبيها النبى الرسول، و يفقد الحسن أمه، كما فقد جده صلى الله عليه و سلم من قبل، و بذا غدا يتيم الأم و الجد، و أى أم وأى جد، انهما سيد ولد آدم، و سيدة نساء العالمين، ولكن رحمة الله و رعاية الأب، لم تجعل لليأس الى قلب الحسن سبيلا، ولكن الحسن سرعان ما بدأ يحس، و هو بين ظهرانى مجتمع جديد، مجتمع غير الذى ألفه على أيام جده صلى الله عليه و سلم، و مكانة غير التى كانت له على أيام النبى المصطفى صلى الله عليه و سلم، و زاد من حيرة الصبى ظهور حروب الردة، فبدأ يرى أوضاعا متقلبة، و حروبا دائمة، و أمة خاصمة مخصومة، و وسطا لا عهد له به فيه اجلاب ما تعود سماعه من قبل، فيجمع احساساته المشتتة، و بدأت تتحرك فى نفسه يقظة تختلف عن لا مبالاة الطفولة الهادئة، انه الآن لا يرى جده العظيم صلى الله عليه و سلم الذى أفاض تعاليمه على الدنيا لتملأها حبا و عدلا و سلاما، ثم لا يرى أمه البتول التى كان يركن اليها كثيرا فتشمله بعطفها و حبها و رعايتها، و من ثم فقد قضى حينا من الدهر لا يجد ايناسا الا

[صفحه ۳۴]

بجوار قبر الجد النبى، و الأم الزهراء البتول.

على أن الذى لا شك فيه أن المسلمين، و قد شاهدوا جميعا مبلغ حب النبى صلى الله عليه و سلم لابنيه، الحسن و الحسين، و مبلغ حرصه عليهما و رعايته لهما، لا شك فى أنهم كانوا يجلون الحسن و الحسين أعظم الاجلال، و يكرمونهما كل الاكرام، لمقامهما من جدهما النبى صلى الله عليه و سلم، و لما يسطع فيهما من أنوار النبوة، و لما يرونه فيهما من مخايل النجابة، و مميزات الرجولة، و لا شك كذلك فى أن الخليفة الأول أبابكر الصديق رضى الله عنه انما كان على رأس المسلمين الذين أحبوا الامام الحسن و أنزلوه المنزلة اللائقة به كسبط للنبى صلى الله عليه و سلم، فكان الصديق على يقين من فضل الحسن، يعرف منزلته و يحدب عليه و يقلد النبى صلى الله عليه و سلم فى الحنين اليه، حتى أنه كان يخطب الناس و يحضهم على احترامه و احترام ذويه من آل محمد صلى الله عليه و سلم، روى البخارى بسنده عن أبى‌بكر الصديق أنه قال «أرقبوا محمدا صلى الله عليه و سلم فى أهل بيته و الذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب الى من قرابتى»، و روى البخارى و مسلم و أبوداود و الترمذى و النسائى عن عائشة، رضى

الله عنهـا، عن أبى‌بكر الصـديق أنه قال «و الـذى نفسـى بيـده لقرابـة رسول الله صـلى الله عليه و سـلم أحب الى أن أصل من قرابتى»، و هكـذا كان لقرابة رسول الله صـلى الله عليه و سـلم عند الخليفة الأول من التعظيم و الاكبار و ما لم يكن لأحد غيرهم، فالصديق يقسـم بالله، و هو صادق، أن قرابة رسول الله صـلى الله عليه و سـلم أحب اليه من قرابته، و أنه يحب أن يصـلهم أكثر مما يصل قرابته، و بدهى أن الحسن و الحسين كانا على رأس قرابة النبى صلى الله عليه و سلم.

و يحدثنا رواة الحديث أن الصديق خرج يوما، مع الامام على، بعد صـلاة العصـر، و بعد انتقال الرسول صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأـعلى، فيلقى الحسن يلعب مع الغلمـان فيحمله على عنقه، ثم يقول له: بـأبى شبيه بالنبى، ليس شبيها بعلى، و الامام على ينظر اليهما و يضـحك، و أخرج البخارى بسـنده عن علقمـة بن الحارث قال: صـلى أبوبكر، رضـى الله عنه، العصـر، ثم خرج يمشـى، فرأى الحسـن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه و قال: «بأبى شبيه بالنبى، لا شبيه بعلى، و على يضحك».

[صفحه ۳۵]

الامام الحسن و الفاروق

كان الفاروق عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، يؤثر الحسن و الحسين خاصة، و بنى‌هاشم عامة، على جميع المسلمين، و ذلك لقرابتهم من سـيدنا رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، تلك القرابـة التى كان الفاروق دائما يرعى لها حرمتها، بل و جعلها مدخلا للسـبق فى كل حال و مقام، فلما أراد أن ينشىء الديوان الذى يحدد للناس فيه أعطياتهم من بيت المال، أشار اليه بعض الصحابة أن يبدأ بنفسه، فقال: «بل أبـدأ بقرابـة رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، فبـدأ بالعباس، عم النبى صـلى الله عليه و سـلم ثم نساء النبى، ثم الامام على، ابن عم النبى، ثم الأقرب فالأقرب الى رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، ثم أهل بدر، و ألحق بأهل بدر أربعة من غيرهم، هم الحسن و الحسين و أبوذر و سـلمان، ثم جعـل النـاس طبقـات، وفق مـا لهم من فضل و سابقـة فى الاسـلام، و وفق حاجتهم، فقال: «لكل و سابقته لكل و عمله و بلاؤه، لكل و حاجته»، ففضل السابقين من المهاجرين و الأنصار، ثم من أسـلم قبل فتح مكة، ثم من أسلم بعده، ثم المجاهدين حتى آخر معركة»، ثم فرض للحسن و الحسـين خمسة آلاف كأهل بدر، كما أشرنا آنفا، بل لقد كان الفاروق يقدم الحسن و الحسين على ولـده، و لقـد قسم يوما فأعطى الحسن و الحسـين كل واحـد منهما عشـرة آلاف درهم، و أعطى ولـده عبدالله ألف درهم، فعاتبه ولده قائلا: لقد علمت سـبقى فى الاسلام و هجرتى، و أنت تفضل على هذين الغلامين، فقال عمر: ويحك يا عبدالله جدهما رسول الله صلى الله عليـه و سـلم و أبوهمـا على، و أمهمـا فاطمـة، وجـدتهما خديجـة، و خالهمـا ابراهيـم ابـن رسـول الله صـلى الله عليه و سـلم و خالاتاهمـا زينب و رقيـة و أم‌كلثوم، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و عمتهما أم‌هانىء بنت أبى‌طالب، وقـد نسـبهما و انتسب فما ساوى واحـدا بواحـد، و أقنع الفاروق ولـده عبـدالله ببساطـة و منطق سـيال، حتى أصـبح بعد ذلك يعترف بحقهما و يذب عنهما، حتى اتهمه البعض بمغالاته فى الهاشميين جميعا.

هذا و قد بلغ من تعظيم الفاروق للحسن و الحسـين، و تقديره لمكانتهما عندالله و رسوله، ما رواه المحب الطبرى فى «الرياض النضرة»، أنه عرض له

[صفحه ۳۶]

ذات يوم من البكاء ما كان يعرض له بين حين و آخر، حين يتذكر مسؤوليته عن أمة الاسـلام، و يشـفق من تقصيره فى القيام بها، فقال

له الامام على، كرم الله وجهه فى الجنـة، «والله انك لتعـدل فى كـذا و كـذا، و تعـدل فى كذا و كذا، ولكن الفاروق استمر فى بكائه، فتكلم الحسن، عليه‌السـلام، بما شاء الله، فذكر من ولايته و عدله ما ذكر، ثم تكلم الحسين، عليه‌السلام، بمثل كلام أخيه، و عنئذ انقطع بكـاء الفاروق، و قال لهما: أتشـهدان بـذلك بنى أخى، فنظرا الى أبيهما، فقال على، كرم الله وجهه فى الجنـة، «اشـهدا و أنا معكما من الشاهدين».

و روى ابن‌عساكر فى التاريـخ الكبير أنه قـدم على عمر رضـى الله عنه حلل من اليمن، فكسا الناس، فراحوا فى الحلل، و هو بين القبر و المنبر جالس، و الناس يسـلمون عليه، فخرج الحسن و الحسين من بيت فاطمة فى جوف المسجد، و ليس عليهم شىء من تلك الحلل، فقـال عمر: و الله مـا هنـأنى مـا كسوتكم، قـالوا: لم يـا أميرالمؤمنين، قـال: «من أجل هـذين الغلامين، يتخطيان الناس، ليس عليهما مما كسوت النـاس شـىء»، ثم كتب لصـاحب اليمن: أن ابعث الى بحلتين لحسن و حسـين، و عجـل، فلمـا كساهمـا عمر، قال: «الآن طابت نفسى» و روى أن الفاروق قال لقومه من بنى عدى «و الله ما أدركنا الفضل فى الدنيا الا بمحمد، و لا نرجو ما نرجو من الآخرة و ثوابها الا بمحمد صـلى الله عليه و سـلم، فهو شرفنا، و قومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب»، و قال مرة فى قرابة رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ان عيادة بنى‌هاشم فريضة، و زيارتهم نافلة».

و روى الدراقطنى عن الفاروق أنه قال: «تحببوا الى الأشـراف و تودودوا، و اتقوا على أعراضكم من السفلة، و اعلموا أنه لا يتم شرف الا بولاية على بن أبى‌طالب»، و فى رواية أنه قال: «أيها الناس ان الشـرف و المنزلة، و الولاية لرسول الله صـلى الله عليه و سـلم و ذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل»، و روى أنه كان ينتظر الامام الحسين فى بعض الأيام، فذهب اليه الحسين، فوجد عبدالله بن عمر، و عرف منه أنه استأذن على الخليفـة فلم يؤذن له، فرجع الحسـين، ثم لقيه عمر معاتبـا، و قـال: «و مـا منعـك يا حسـين أن تأتينى، فأخبره الحسـين بما حدث، فعز ذلك على عمر،

[صفحه ۳۷]

و قال: «و أنت عندى مثله، و أنت عندى مثله، و هل أنبت الشعر على الرأس غيركم.»

و فى عـام الرمادة (عام ۱۷ ه)، أجـدب الناس و حبس المطر عن جزيرة العرب، فاستسـقى الناس فلم يسـقوا فقال عمر: لأستسـقين غدا بمن يسـقى الله به، و لما أصبحوا غدا عند العباس، عم النبى صلى الله عليه و سلم و قال: أخرج بنا حتى نستسبقى بك، فقال العباس: يا عمر اقعـد فى بيتى ثم أرسـل الى بنى‌هـاشم أن يتطهروا و يلبسوا من صالـح ثيابهم، فأتوه، فأخرج طيبا فطيبهم، ثم خرج العباس، و على أمامه و الحسن عن يمينه و الحسـين عن شـماله، و بنوهاشم خلف ظهره، و دعا العباس الله فسـقى بهم، و هكـذا صدقت فراسة عمر فى الاستسقاء بآل رسول الله صلى الله عليه و سلم، فاستجاب الله للمسلمين وغاثهم الغيث.

الامام الحسن و ذوالنورين

كـان الامام الحسن على أيام الخليفـة الراشـد ذى النورين، عثمان بن عفان رضـى الله عنه شابا يافعا قـد نيف على العشـرين، و هو عمر يسـمح لصاحبه أن يخوض معترك الحياة، و أن يقوم بدور فيها، و هكذا كان الامام الحسن شابا يقظا تجلله نورانية الايمان، بما هذب منه جده رسول الله صلى الله عليه و سلم و صقل منه أبوه الامام على، و أرهفت منه فاطمة الزهراء، و فى هذا الدور دخل الحسن ميدان الجهاد فى سبيل الله، فانضم الى المجاهـدين حيث اتجهت ألويتهم الفاتحـة الى الشـمال الافريقى، حيث كان هو و أخوه الحسـين، من بين رجـال الجيش الـذى بعثه الخليفـة عثمـان من المدينـة الى المغرب الأقصـى، و كـان يضم، كمـا يقول صـاحب «الاسـتقصا لأخبار المغرب الأقصـى» جماعة من كبار الصـحابة، منهم الحسن و الحسين و عبدالله بن عباس و عبدالله بن عمر و عبدالله بن الزبير، فسار الى

افريقية مددا لأمير مصر عبدالله بن أبى‌سرح عام ۲۷ ه، فهزموا الروم فى طرابلس، ثم هزموهم مرة أخرى على مبعدة مسيرة يوم و ليلة من سبيطلة، و قتلوا مليكهم «جرجير» ثم تابعوا زحفهم الى المغرب الأقصى، و كان الحسنان فيمن

[صفحه ۳۸]

دخلوه من الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين.

و يروى الطبرى و ابن‌كثير أن الامامين الحسن و الحسين قد اشتركا عام ۳۰ ه فى الجيش الذى غزا طبرستان، بامرة سعيد بن العاص أمير الكوفة، فساروا الى جرجان فصالحهم أهلها على مائتى ألف، ثم أتوا «طميسة» فى تخوم جرجان، فقاتلهم أهلها، حتى صلوا صلاة الخوف، و هم يقتتلون، ثم حاصرهم المسلمون حتى طلبوا الأمان فأعطاهم سعيد بن العاص عهدا أن لا يقتل منهم رجلا واحدا، ففتحوا الحصن مستسلمين، فقتلهم الا رجلا واحدا.

هذا و قد شارك الامامان الحسن و الحسين فى الدفاع عن الخليفة الشهيد عثمان بن عفان، بأمر أبيهما الامام على، حيث أمرهما أن «اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحدا يصل اليه بمكروه»، و فعلا ما أمر به الامام، مع جماعة من أبناء كبار الصحابة، و لما بدأ الثوار يرمون بيت الخليفة بالسهام من كل جانب، أصيب الامام الحسن بسهم فخضبه الدم، و شج قنبر مولى الامام على، و خاف الثوار أن تغضب بنوهاشم للحسن، و من ثم كفوا عن رمى السهام، ولكنهم اقتحموا دار الخليفة من الدور التى حوله، و فعلوا فعلتهم النكراء، و فوجىء الحسن و الحسين بمن يصرخ «قتل أميرالمؤمنين»، فدخلا الدار، فوجدوا الخليفة الشهيد قتيلا، و ما أن بلغ الخبر الامام عليا حتى أتى الى دار الخليفة ثائرا غاضبا، و رغم أنه رأى ولديه مخضبين بالدم، فانه لم يتمالك نفسه غضبا، فصاح بهما «كيف يقتل أميرالمؤمنين و أنتما على الباب»، ثم رفع يده فلطم الحسين، و ضرب صدر الحسن، و خرج غضبان أسفا.

هذا و رغم أن الشيعة يرون أن الامام الحسن كان من جملة الناقدين للخليفة، لأنه رأى ما لاقاه حزب أبيه من التحطيم و التعذيب و الارهاب من الأمويين، و شاهد ما لاقاه أبوه الامام على من الاستهانة بحقه، غير أن الدكتور محمد الصادقى انما يذهب فى كتابه «على و الحاكمون» الى أنه لما عظم تفاقم الخطر على من فى دار الخليفة المحاصر، تخلى عنه حتى أبناء عائلته الأمويين الذين كانوا هم السبب الرئيسى فيما صار اليه أمره و أمر المسلمين، فآثروا أن

[صفحه ۳۹]

يهربوا خفية الى الشام، حيث ينتظرهم هناك معاوية عامل الخليفة عليها، و بقى الحسن و الحسين على رأس القوم الذين يلازمون أبواب دار الخليفة لعلهم يمنعون عنه الأذى، و هكذا كان الامام الحسن، كما يقول الدكتور طه حسين، رجل صدق، قد كره الفرقة و آثر اجتماع الكلمة و خاض غمرات الفتنة على كره منه فى أكبر الظن، قاوم الفتنه ما وسعته مقاومتها أيام عثمان فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها، و لم يشارك المعارضة حين عظم الشر، و كان من الذين أسرعوا الى دار عثمان فقاموا دون الخليفة يريدون حمايته، ولكن الخليفة قتل على الرغم من ذلك، لأن خصمه تسوروا عليه الدار، الأمر الذى ناقشناه فى كتابنا عن «امام على».

الامام الحسن فى خلافة ابيه الامام على

كان الامام الحسن متعلقا بأبيه أشد التعلق، يكاد لا يفارقه، بخاصة بعد انتقال جده صلى الله عليه و سلم و أمه الى الرفيق الأعلى، يتعهده بالتربية، و يعطيه من خبرته و علمه الكثير، حتى اذا ما اكتملت مداركه بدأ يشاركه الرأى، و تذهب الروايات الى أن الامام الحسن لم

يكن يرى أن يشترك أبوه فى شىء من أمر الفتنة من قرب أو من بعد، و انما أشار عليه أن يعتزل الناس و أن يترك المدينة فيقيم فى ماله بينبع، فلم يسمع الامام له، و انما رأى أن مكانه فى المدينة حيث يستطيع أن يأمر بمعروف أو ينهى عن المنكر أو يصلح بين الناس، فلما قتل الخليفة عثمان لم ير الحسن لأبيه أن يقيم فى المدينة و لا أن يتعرض للبيعة، و لا أن يقبلها، و ان عرضت عليه، و لو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالا، كما فعلت تلك المعتزلة من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم، ولكنه عرف لأبيه حقه عليه، فأقام معه و شهد مشاهده كلها، على غير حب لذلك أو رغبة منه فيه، ثم لم يكن الحسن يرى لأبيه أن يترك مهاجره فى المدينه، و أن يرحل الى العراق للقاء طلحة و الزبير و السيدة عائشة، و انما كان يؤثر له أن يبقى فى مهاجره مجاورا للنبى صلى الله عليه و سلم، و يكره له أن يذهب الى دار غربة و يتعرض للموت بمضيعة، و كان أبوه يعصيه فى كل ما كان يشير عليه من ذلك.

[صفحه ۴۰]

و يروى المؤرخون أن ذلك كان فى «الربذة»، و أن الامام عليا انما رد على ولده الحسن، فقال، فيما يروى الطبرى، أى بنى، أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا، كما أحيط به، و أما قولك لا تبايع حتى تأتيك بيعة الأمصار، فان الأمر أمر أهل المدينة، و كرهنا أن يضيع هذا الأمر، و أما قولك حين خرج طلحة و الزبير، فان ذلك كان وهنا على أهل الاسلام، و الله مازلت مقهورا مذ وليت، منقوصا لا أصل الى شىء مما ينبغى، و أما قولك اجلس فى بيتك، فكيف لى بما قد لزمنى أو من تريدنى، أتريد أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها، و يقال دباب دباب، ليست هنا حتى يحل عرقوبها ثم تخرج، و اذا لم أنظر فيما يلزمنى من هذا الأمر و يعنينى، فمن ننظر فيه، فكف عنى أى بنى»، و قد ناقشنا هذا الأمر بالتفصيل فى كتابنا عن «الامام على».

و على أى حال، فلقد أرسل الامام على من الربذة ثلاث سفارات الى أبى موسى الأشعرى، و اليه على الكوفة، ولكن أباموسى لم يستجب لدعوة الامام، رغم أنه بايع الامام، و أخذ له البيعة من أهل الكوفة، و هذه البيعة بداهة تفرض عليه نصرة الامام بنفسه و بأهل الكوفة، فاذا تحرج من ذلك، استقال الامام و ترك عمله، انضم الى أولئك المعتزلين، فاجتنب من الفتنة ما يجتنبون، فاما أن يكون قد بايع الامام عليا، و قبل أن يكون له واليا، ثم يأبى بعد ذلك أن ينفر مع أهل مصره، حين استنفرهم الامام، فشىء لا يكاد يستقيم، و أيا ما كان الأمر، فلقد اضطر الامام الى أن يرسل له سفارة رابعة من كبار الصحابة، الامام الحسن و عبدالله بن عباس و عمار بن ياسر و قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، و لما خرج اليهم أبوموسى، قال له الامام الحسن: «لم تثبط الناس عنا، فوالله ما أردنا الا الاصلاح، و لا مثل أميرالمؤمنين يخاف على شىء» فأجاب أبوموسى: صدقت بأبى أنت و أمى، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «انها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، و القائم خير من الماشى، و الماشى خير من الراكب، و قد جعلنا الله اخوانا و حرم علينا دماءنا

[صفحه ۴۱]

و أموالنا» فرد عليه عمار بن ياسر، و قال: أيها الناس: انما قال له وحده، أنت فيها قاعدا خير منك قائما».

و قام الامام الحسن فقال: أيها الناس، أنا جئنا ندعوكم الى الله و الى كتابه و الى سنة رسوله، و الى أفقه من تفقه من المسلمين، و أعدل من تعدلون، و أفضل من تفضلون، و أوفى من تبايعون، و من لم يعبه القرآن و لم تجهله السنة، و لم تقعد به السابقة، الى من قربة الله تعالى قرابتين، قرابة الدين و قرابة الرجم، الى من سبق الناس الى كل مأثرة، الى من كفى الله به رسوله و الناس متخاذلون، فقرب منه و هم متباعدون، و صلى معه و هم مشركون، و قاتل معه و هم منهزمون، و بارز معه و هم محجمون، و صدقه و هم

يكذبون، الى من لم ترد له شهادة و لا تكافأ له سابقة، و هو يسألكم النصر و يدعوكم الى الحق و يأمركم بالمسير اليه، لتؤازروه على قوم نكثوا راية بيعته، و قتلوا أهل الصلاح من أصحابه، و مثلوا بعماله، و انتهبوا بيت ماله، فأشخصوا اليه رحمكم الله، فآمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر، و احضروا بما يحضر به الصالحون».

غير أن بعض المغرضين انما يتوهمون خطأ، و ربما حقدا، انما كان شابا هينا لينا، لا يستجيب لظروف أبيه و اذا تراءت ايجابية فالى قسط بسيط يشبه السلبية، و الحقيقة غير ذلك، فان تصرف الامام الحسن انما جاء بخير ما يرجى منه، و من ثم فقد برهن على طول باع، اذا رافق القضية و راعى تطورها بعقل رصين حصيف، و هكذا نراه عندما يشم ريح النكوص من أبى‌موسى الأشعرى، و اذا يتحقق ذلك بنفسه، انما يقول له بعزة و حزم الهاشمى «اعتزلنا لا أم لك، و دع منبرنا»، و هكذا أنفذ الحسن و كتاب أبيه الى أبى‌موسى، و الذى جاء فيه «اعتز عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا، فما هذا أول يومنا منك، و ان لك فيها لهنات و هينات»، غير أن أباموسى لم يعتزل الا- بعد نهب متاعه و اقتحم قصره، و كاد أن يبطش به، فاعتزل العمل و خرج من الكوفة فأتى مكة و أقام فيها مع المعتزلين، حتى كانت خدعة التحكيم، و قام فيها بدور، ليس فى صالح الامام على، على أية حال.

[صفحه ۴۲]

هذا و قد شهد الحسن مع أبيه مشاهده كلها، فى يوم الجمل و فى صفين و فى النهروان، فكان على يمين أبيه، كما كان الحسين على شماله، و كان أخوهما محمد بن الحنفية حامل رايته العظمى، و كان الامام على يضن دائما بالحسن و الحسين على الخطر، مخافة أن يصيبهما شر فتنقطع ذرية النبى صلى الله عليه و سلم، كان يقيهما بنفسه و بأخيهما محمد بن الحنفية، و كان يشتد على محمد هذا، و يعنف به ان رأى منه فى الحرب أناة أو تقصيرا حتى كلمه فى ذلك بعض أصحابه، و كما أشرنا من قبل، أن محمدا سئل: «لم يغرر بك أبوك فى الحرب و لا- يغرر بأخويك، فأجاب انهما عيناه و أنا يمينه، فهو يدفع عز عينيه بيمينه»، و هكذا كان الامام على أشد الناس ايثارا للحسن و الحسين لمكانهما من النبى صلى الله عليه و سلم، و كان أصحابه يصنعون صنيعه فى ذلك، فيؤثرونهما بالخير و البر.

هذا و رغم أن الامام الحسن كان كارها للفتنة منذ ثارت، و أنه كان يأمل أن يحقق نبوءة جده المصطفى صلى الله عليه و سلم فيه، يوم أجلسه على المنبر، و جعل ينظر اليه مرة، و ينظر الى الناس مرة أخرى، يفعل ذلك مرارا، ثم قال صلى الله عليه و سلم: «ان ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين، و لا- ريب أن هذا الحديث الشريف قد وقع فى نفس الحسن موقعا عظيما، و كأنه ذكره حين ثارت الفتنة، بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده النبى صلى الله عليه و سلم، مع ذلك كله، فما تخلى الحسن عن أبيه لحظة، و كما أشرنا أكثر من مرة، فقد شهد مشاهده كلها، كما كان الى جانبه فى كل أمره، و بقى كذلك حتى آخر لحظة فى حياة أميرالمؤمنين الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة

[صفحه ۴۳]

الامام الحسن خامس الراشدين

توليته الخلافة

بويع الامام الحسن أميرا للمؤمنين بعد استشهاد أبيه مولانا الامام على بن أبى‌طالب كرم الله وجهه فى الجنة، على خلاف بين السنة و الشيعة فى كيفية هذه البيعة، فالمؤرخون و المحدثون من أهل السنة يذهبون الى أن الامام عليا أبى أن يستخلف حين طلب اليه ذلك بعد أن أصيب، روى الطبرى أن جندب بن عبدالله دخل على على فسأله فقال: يا أميرالمؤمنين ان فقدناك، و لا نفقدك، فنبايع الحسن، فقال: «ما آمركم و لا أنهاكم، أنتم أبصر»، و فى رواية ابن‌كثير أن عليا رضى الله عنه لما ضربه ابن‌ملجم، قالوا له: استخلف يا أميرالمؤمنين فقال: لا، ولكن أدعكم كما تركككم رسول الله صلى الله عليه و سلم، يعنى بغير استخلاف، فان يرد الله بكم خيرا يجمعكم على خيركم، كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و روى الامام أحمد فى المسند بسنده عن عبدالله بن سبع قال: سمعت عليا يقول (و ذكر أنه سيقتل)، قالوا: فاستخلف علينا، قال: لا، ولكن أترككم الى ما تركككم اليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالوا: فما تقول لربك اذا أتيته، قال أقول: «اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ثم قبضتنى اليك و أنت فيهم، فان شئت أصلحتهم، و ان شئت أفسدتهم»، و قال ابن العربى فى العواصم من القواصم: «ما عهد (أى الامام على) الى أحد، ولكن البيعة

[صفحه ۴۴]

للحسن منعقدة، و هو أحق من معاوية و من كثير من غيره، و كان خروجه لمثل ما خرج اليه أبوه من دعاء الفتنة الى الانقياد للحق و الدخول فى الطاعة».

على أن الشيعة انما يرون أن الامام على استحلف الحسن نصا، و ذلك حين دفع اليه سلاحه و سائر تراث الأنبياء و الأوصياء و سلمه الاسم الأعظم، و أن عليا جمع أولاده بعد طعنه، و كانوا اثنى عشر ذكرا فقال لهم: يا بنى ان الله عزوجل قد أبى الا أن يجعل فى سنة يعقوب اذا دعا ولده، و كانوا اثنى عشر ذكرا، فأخبرهم بصاحبهم، ألا و انى أخبركم بصاحبكم، الا ان هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و أشار الى الحسن و الحسين فاسمعوا لهما و أطيعوا، و ذودوا عنهما، فانى ائتمنتهما على ما ائتمننى رسول الله، مما ائتمنه الله عليه من خلقه، و هكذا فان امامة الحسن، من وجهة نظر الشيعة، واجبة لا محيص عنها، من حيث أنه السبط الأكبر لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و أول الأئمة من ذرية الرسول صلى الله عليه و سلم فهو اذا همزة الوصل بين الرسول صلى الله عليه و سلم و بين أى امام منتسب الى آل البيت.

و على أى حال، فالامام الحسن، دونما ريب، انما هو الخليفة الطبيعى لأبيه أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه فى الجنة، فهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سيد شباب أهل الجنة، و هو امام، ان قام أو قعد، فقد قال جده رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الحسن و الحسين امامان، ان قاما و ان قعدا»، و قد هذبه الله عن كل نقص و رجس، كما دلت على ذلك آية التطهير (آية ۳۳ الأحزاب)، هذا فضلا عن توافر جميع ما تتطلبه الخلافة من الصفات الرفيعة فى شخصه كالعلم و التقوى و الحزم و الجدارة.

روى أبوالفرج بسنده فى «مقاتل الطالبيين»، و المحب الطبرى فى ذخائر العقبى (و قال أخرجه الدولابى) و غيرهما كالطبرى و ابن‌الأثير و ابن أبى‌الحديد و الشيخ المفيد و ابن‌الجوزى فى صفوة الصفوة، و أن الحسن بن على خطب بعد وفاة أميرالمؤمنين على بن أبى‌طالب، فقال: «لقد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عنه يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا

[صفحه ۴۵]

يرجع حتى يفتح الله عليه، و لقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم، و لقد توفى فيها يوشع بن نون، وصى موسى، و ما

خلف صفراء و لا- بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لأهله»، ثم خنقته العبرات فبكى و بكى الناس، ثم قال: «أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، و لم يعرفنى فأنا الحسن بن على، و أنا ابن النبى، و أنا ابن‌البشير النذير، و أنا ابن الداعى الى الله عزوجل باذنه، و أنا ابن‌السراج المنير، و أنا من أهل البيت الذى أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و أنا من أهل البيت الذين افترض مودتهم على كل مسلم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم: (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى، و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا)، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت».

و هكذا تضمن خطاب الامام الحسن دعوة الناس الى مبايعته، و قد كانت دعواه رائعة، بكل ما للروعة من معنى، فهو قد عرف الناس، وهم يعرفون، أنه ابن النبى، و ابن الداعى الى الله و ابن السراج المنير، و أنه الآن رأس البيت الذين أذهب عنهم الحزن و الأباطيل، و من ثم فهو أحق الناس بالخلافة بعد أبيه.

روى أبومخنف عن رجاله: ثم قام عبدالله بن عباس فدعا الناس الى بيعته و قال: «معاشر المسلمين هذا ابن نبيكم و وصى امامكم فبايعوه»، فاستجابوا و قالوا: ما أحبه الينا و أحقه بالخلافة فبايعوه، و هكذا تمت البيعة و هم انما يبايعون الله و رسوله، و ثم يستعرض ابن‌عباس فى خطابه مزايا أهل البيت و حقهم الصريح فى الأمر، فيقول: «نحن حزب الله الغالبون و عترة رسوله الأقربون، و أهل بيته الطيبون الطاهرون، و أحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله فى أمته».

و هكذا بدأت البيعة للامام الحسن، روى الطبرى و ابن الأثير، أنه فى سنة أربعين للهجرة، بويع للحسن، عليه‌السلام: بعد مقتل أبيه، و كان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصارى، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عزوجل و سنة نبيه، و قتال المحلين، فقال له الحسن: على كتاب الله و سنة رسوله، فانهما يأتيان على كل شرط، فبايعة و سكت و بايع الناس، و قال ابن‌كثير: لما توفى الامام

[صفحه ۴۶]

على، و صلى عليه ابنه الحسن لأنه أكبر بنيه، و كان أول من تقدم الى الحسن، قيس بن سعد فبايعه و بايعه الناس بعده، و كان ذلك يوم مات الامام على فى يوم الجمعة السابع عشر من رمضان عام ۴۰ ه، و هكذا تجمع الروايات أو تكاد، على أن المسلمين قد فزعوا بعد موت الامام و أجمعوا أمرهم على مبايعة الامام الحسن، فاجتمعوا فى جامع الكوفة فى صباح يوم ۱۶ (و قيل ۲۱) من رمضان المبارك سنة أربعين للهجرة و قدمه للخلافة و بايعه، قيس بن سعد، و عبدالله بن عباس، و أما الأول فهو أعظم قواد الامام على الذين بقوا على قيد الحياة، بعد موت عمار بن ياسر و الأشتر، فكانت بيعته بيعته الأنصار، و أما الثانى فكانت بيعته بيعة بنى‌هاشم و آل النبى صلى الله عليه و سلم.

و لعل من الأهمية بمكان الاشارة الى تلك الدعوى الكذوب التى نادى بها البعض، و هى أن الامام الحسن قد تسرع فى قبول الخلافة فى مثل الظرف الذى بايعه فيه الناس، بما كان يؤذن به هذا الظرف من زعازع و نتائج بعضها ألم، و بعضها خسران، و يرد الشيخ راضى آل ياسين فى كتابه «صلح الحسن»، فيما يروى أبوعلم، على بطلان هذا الزعم بأدلة منها (أولا) أنه لما كان من الواجب على الناس الانقياد الى بيعة الامام المنصوص عليه، كان الواجب على الامام، مع قيام الحجة على وجود الناصر، قبول البيعة من الناس، و منها (ثانيا) أن هذه الدعوى انما تنظر الى قضية الامام الحسن من ناحيتها الدنيوية، و الأنسب النظر اليها من ناحيتها الدينية، و كثير هو الفرق بين الدنيا و الدين فى نظر امام، و من ثم فهى ظفر لا خسارة، رغم ما فيها من متاعب، و من أولى من الحسن بالاسلام و تحمل آلامه فهو نبت بيته الطاهر، بيت النبوة، و منها (ثالثا) لم يكن الامام الحسن، فى رفعة مكانة بين المسلمين، و فى نسبه الشريف، و مركزه العلمى، بالذى يستطيع الفراغ، و ان أراده عن عمد، و لا- بالذى يتركه الناس و ان أراد هو أن يتركهم، و كان لابد للرجات العنيفة فى المجتمع الاسلامى أن تتدافع اليه، تستدعيه للوثوب، احقاقا للحق، و انكارا للمنكر، كما وقع من بعد لشقيقه الامام الحسين،

و منها (رابعا) أنه لو ترك الناس و بيعتهم أو تركه الناس و أعفوه خلافتهم،

[صفحه ۴۷]

فلن يتركه المتغلبون على الناس، و أنهم لينظرون اليه دائما، و كأنه شبح مخيف لهم، بما يدور حوله من الدعوة الى الاصلاح أو النقمة الصارخة على الوضع التى كان يتطوع لها الساخطون و المعارضون و الدعاة لله من مختلف الطبقات، و لن يجد هؤلاء و أولئك يومئذ ملجأ يفيئون اليه خيرا من ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم الامام المحبوب، الحسن بن على، و لنتذكر أنه مات مسموما، و لماذا يقتلونه سما، و قد صالحهم على الأمر، و ترك لهم الدنيا برمتها، لولا أنهم خافوه على سلطانهم، و رأوا من وجوده حاجزا يمنعهم من النفوذ الى قلوب الناس، مما يدل على انقياد الناس، فى عقيدتهم، اليه دونهم، و أخيرا فان الخلافة فى أصلها انما هى مقام أبيه و ميراثه و ميراث أخيه، على حد تعبير الامام على بن موسى بن جعفر، عليهم‌السلام، و أما الزعازع التى لوح بها هذا النقد، فما كانت الا خطط المناوئين فى الكوفة، و ليس شىء منها بالذى يضير الحسن ابان نشاط الناس معه، كما هو فى ابان بيعته، و أى خليفة أو زعيم ليس له مناوئون، فلم لا يكون قبول البيعة هو الأرجح على مختلف الوجوه، بل هو الواجب لضرورة الوقت و للمصلحة العامة و لاحقاق الحق.

الامام الحسن خامس الراشدين

لا ريب فى أن الامام الحسن انما هو أحد الخلفاء الراشدين بعد أبيه الامام على، تحققت به و عليه معجزة جده سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قوله الشريف «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، و صدق سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و صدقت معجزته، فكان للامام الحسن منها قرابة ستة أشهر تتميما لها، أو سبعة أشهر و أحد عشر يوما، فيما يرى ابن‌عساكر، و من ثم فهو خامس الراشدين، أخرج ابن‌حبان و الامام أحمد عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا عضوضا»، و يقول الحافظ ابن‌كثير عن خلافة الامام الحسن، «أن أهل الشام بايعوا معاوية بايلياء (القدس) لأنه لم يبق له عندهم منازع، فعند ذلك أقام أهل العراق الحسن بن على رضى الله عنه ليمانعوا به أهل الشام، فلم يتم لهم ما أرادوه و حاولوه، و انما كان خذلانا لهم من قبل تدبيرهم و آرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم، ولو كانوا يعلمون لعظموا ما أنعم الله به

[صفحه ۴۸]

عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيد المسلمين، و أحد علماء الصحابة و حلمائهم و ذوى آرائهم، و الدليل على أن الحسن أحد الخلفاء الراشدين، الحديث الذى أوردناه فى دلائل النبوة من طريق سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم و الذى رواه الامام أحمد و الترمذى و أبويعلى و ابن‌حبان: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا»، و انما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فانه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول سنة احدى و أربعين، و ذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فانه توفى فى ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة، و هذا من دلائل النبوة، صلوات الله و سلامه عليه و سلم تسليما، و قد مدحه رسول الله صلى الله عليه و سلم على صنيعه هذا، و هو تركه الدنيا الفانية، و رغبته فى الآخرة الباقية، و حقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة، و جعل الملك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد».

و روى المسعودى أنه صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، لأن أبابكر رضى الله عنه تقلدها

سنتين و ثلاثة أشهر و ثمانية أيام، و عمر رضى الله عنه عشر سنين و ستة أشهر و أربع ليال، و عثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة و أحد عشر شهرا و ثلاثه عشر يوما، و على رضى الله عنه أربع سنين و سبعة أشهر، الا يوما، و الحسن رضى الله عنه ثمانية أشهر و عشرة أيام، فتكون ثلاثون سنة»، و أخرج ابن‌عساكر فى التاريخ بسنده، أخرج الحافظ عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل عن سفينة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة»، ثم قام رجل كان حاضرا فى مجلس عبدالله فقال: «قد دخلت فى هذه الثلاثين سنة شهور فى خلافة معاوية»، فقال من حضر: «ان تلك الشهور كانت فيها البيعة للحسن، بايعه أربعون ألفا، و اثنان و أربعون ألفا»، و لما قتل على رضى الله عنه بايع أهل الكوفة الحسن بن على رضى الله عنه و أطاعوه، و أحبوه أشد من حبهم لأبيه، و كان قد ولى الخلافة سبعة أشهر، و أحد عشر يوما، و كان التقاؤه بمعاوية بمسكن من أرض العراق، فتصالحا فى ربيع الأول سنة احدى و أربعين»، و يقول ابن‌خلكان فى وفيات الأعيان: «و كان آخر ولاية الحسن رضى الله عنه تمام

[صفحه ۴۹]

ثلاثين سنة من أول خلافة أبى‌بكر الصديق رضى الله عنه»، و يقول ابن‌تيمية فى رسالته «فضل أهل البيت و حقوقهم» بعد أن ذكر الحديث الشريف الذى رواه سفينة «الخلافة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا»: فكان آخر الثلاثين حين سلم سبط رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن بن على رضى الله عنهما، الأمر الى معاوية، و كان معاوية أول الملوك».

و هكذا يتفق العلماء على أنه لم يكن فى الثلاثين سنة التى حددها النبى صلى الله عليه و سلم للخلافة بعده، الا الخلفاء الراشدون الأربعة (أبوبكر و عمر و عثمان و على) و كملت الثلاثون سنة بخلافة الحسن المدة التى مكث فيها خليفة حق، و امام عدل، تحقيقا لما أخبر به جده المصطفى صلى الله عليه و سلم بقوله: «الخلافة بعد ثلاثون سنة»، و من ثم فقد كانت خلافة الحسن بن على، منصوصا عليها، و ان كانت محدودة الأجل، ثم يبدأ الملك العضوض بمعاوية بن أبى‌سفيان، فلقد أخرج ابن أبى‌شيبة فى المصنف، عن سعيد بن جمهان، قال قلت لسفينة (مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم) ان بنى‌أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: «كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك و من أشد الملوك، و أولهم معاوية».

و روى ابن‌الأثير و غيره: لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه سعد بن أبى‌وقاص رضى الله عنه فقال: السلام عليك أيها الملك، فضحك معاوية و قال: ما كان عليك يا أباإسحاق لو قلت: يا أميرالمؤمنين، فقال: «أتقولها جذلان ضاحكا، والله ما أحب أنى وليتها بما وليتها به»، و يسمى ابن‌تيمية فى كتابه «منهاج السنة» معاوية بالملك، و ليس الخليفة، فيقول: «لم يكن من ملوك الاسلام ملك خيرا من معاوية، و لا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيرا منهم فى زمن معاوية»، و قد أشرنا آنفا الى رواية ابن‌كثير التى فرق فيها بين عهد الامام الحسن، و عهد معاوية، فسمى عهد الأول خلافة، و الثانى ملكا، حيث قال: «و قد مدحه (أى الحسن) رسول الله صلى الله عليه و سلم على صنيعه، و هو ترك الدنيا الفانية، و رغبته فى الآخرة الباقية، و حقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة، و جعل الملك بيد معاوية» بل ان معاوية نفسه انما كان يقول عن نفسه «أنا أول الملوك»، هذا فضلا

[صفحه ۵۰]

عن أن الجملة التى ينسبها أنصار معاوية و مريدوه الى عبدالله بن عباس، على أنها مديح لمعاوية، لا تعدو وصفه بالملك و ليس الخلفة، و هى قوله «ما رأيت رجلا كان أخلق بالملك من معاوية»، بل ان ابن العربى الذى كتب كتابه «العواصم من القواصم» للدفاع عن معاوية و بنى‌أمية، انما يتحدث فيه عن مراتب الولاية، على أنها: خلافة ثم ملك، فتكون ولاية الخلافة للأربعة (ابوبكر و عمر و

عثمان و على)، و تكون ولاية الملك لابتداء معاوية»، و على أى حال، فان المؤرخين يذهبون الى أن معاوية قد أحاط نفسه بكل مظاهر الملك، فقد لازم الخلافة فى عهده طابع سياسى أكثر منه دينيا، و أصبحت كلمة ملك بمعنى الحاكم المطلق (أوتوقراطى) يطلقها المؤرخون عليه و على خلفائه، و هو نفسه الذى قال «أنا أول الملوك»، و قد استحدث أمورا للخلافة لم تكن من قبل، فبنى لنفسه قصرا فى دمشق سماه «الخضراء»، كما اتخذ السرير أو العرش و جعل الحراس تمشى بالحراب بين يديه، و أوجد الشرطة لحراسته، و كان اذا صلى فى المسجد جلس فى بيت منفرد بجدران عرف بالمقصورة، و أخيرا فقد استحدث معاوية فى الاسلام بدعة ولى العهد، فاستخلف ابنه يزيد من بعده على سلطان المسلمين، فغير بذلك السنة الموروثة تغييرا خطيرا، الأمر الذى أدى الى مذبحة كربلاء التى راح ضحيتها أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و ذبحت ذريتة، فضلا عن الاستباحة الخليعة لحرم رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة، و الاعتداء على حرم الله الآمن بمكة المكرمة.

و هكذا يبدو واضحا أن خلافة الامام الحسن انما كانت نهاية الخلافة، كما أخبر جده صلى الله عليه و سلم و من ثم فهو خامس الراشدين، حيث تنتهى بعهده عهد الخلافة، و يبدأ عصر الملوك، و صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الطبرانى عن معاذ بن جبل و أبى‌عبيدة بسنده، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ان هذا الأمر بدأ رحمة و نبوة، ثم يكون رحمة و خلافة، ثم كائن ملكا عضوضا، ثم كائن عتوا و جبرية و فسادا فى الأرض، يستحلون الحرير و الفروج و الخمور، و يرزقون على ذلك و ينصرون حتى يلقوا الله عزوجل».

[صفحه ۵۱]

سياسة الامام الحسن

وضع و الحسن لبيعته خاصة، و قبض يده عما أريد معها من قيود، و أرادها هو على السمع و الطاعة و الحرب لمن حارب و السلم لمن سالم، فكان عند ظن المعجبين ببلاغته الادارية بما ذكر من الحرب، و لوح بالسلم، فأرضى الفريقين من أحزاب الكوفة، دعاة الحرب و دعات السلم، و قد كان لديه من الوضع العام فى الكوفة ما يكفيه لاتخاذ مثل هذه الحيطة الحكيمة لوقت ما، غير أن بعض الروايات انما تذهب الى أنه طفق، كما يقول الزهرى، يشترط على الناس أن يسمعوا و يطيعوا، و يحاربوا من حارب، و يسالموا من سالم، فلما سمع الناس منه تكراره لأمر السلم ارتابو و ظنوا أنه يريد الصلح، و قال بعضهم لبعض: ليس هذا لكم بصاحب و انما هو صاحب صلح، بل ان البعض انما ذهب الى أنهم قد أتوا أخاه الامام الحسين و قالوا له: ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك، و على حرب الحالين الضالين أهل الشام، فقال الامام الحسين: «معاذ الله أن أبايعكم مادام الحسن حيا، فانصرفوا الى الحسن و لم يجدوا بدا من بيعته على شرطه»، ولكن الحقيقة أن الغالبية العظمى من القوم انما كانت تناصر الامام الحسن، لأنه اين رسول الله صلى الله عليه و سلم و ابن ابنته، و لأن من شرط الايمان مودته، و من شرط البيعة طاعته، و كما يقول ابن‌كثير «و أحبوه أشد من حبهم لأبيه»، و على رأس هؤلاء جمهرة من المهاجرين و الأنصار الذين كان لهم من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم ما يفرض لهم المكانة الرفيعة بين الناس، و كان منهم قيس بن سعد الأنصارى، و حجر بن عدى الكندى، و عمرو بن الحمق الخزاعى، و سعد بن قيس الهمدانى، و حبيب بن مظاهر الأسدى، و عدى بن حاتم الطائى، و المسيب بن نجية و زياد بن صعصعة و غيرهم.

هذا و قد زاد الامام الحسن، فيما يقول أبوالفرج و ابن أبى‌الحديد، المقاتلة مائة مائة، و كان ذلك أول شىء استحدثه حين الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده عليه، هذا فضلا عن أن الامام الحسن انما مكث بعد البيعة شهرين أو قريبا من شهرين لا يذكر الحرب و لا يظهر استعدادا لها، حتى ألح

[صفحه ۵۲]

عليه قيس بن سعد و عبيدالله بن العباس، و كتب اليه عبدالله بن العباس من مكة يحرضه على الحرب، و يلح عليه فى أن ينهض فيما كان ينهض فيه أبوه، و ان كان هناك من يرى أن ابن‌عباس انما كتب رسالته هذه الى الحسن و هو ما يزال بعد واليا على البصرة من قبل الحسن، كما كان واليا عليها من قبل أبيه، الأمر الذى ناقشناه فى كتابنا عن «الامام على»، و على أية حال، فلقد جاء فى هذه الرسالة، كما أوردها ابن أبى الحديد فى شرح نهج‌البلاغة، «أما بعد، فان المسلمين ولوك أمرهم بعد على، عليه‌السلام، فشمر للحرب و جاهد عدوك، و قارب أصحابك، و اشتر من الظنين دينه بما لا يلثم لك دنياه، وول أهل البيوت و الشرف تستصلح به عشائرهم حتى يكون الناس جماعة، فان بعض ما يكره ما لم يتعد الحق، و كانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل و عزالدين، خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تؤدى الى ظهور الجور، انه لا يصلح الكذب، الا فى حرب أو اصلاح بين الناس، فان الحرب خدعة، و لك فى ذلك سعة، اذ كنت محاربا، ما لم تبطل حقا، و اعلم أن عليا أباك انما رغب الناس عنه الى معاوية أنه آسى بينهم فى الفيء و سوى بينهم فى العطاء فثقل عليهم، و اعلم أنك تحارب من حارب الله و رسوله فى ابتداء الاسلام حتى ظهر أمر الله فلما وحد الرب و محق الشرك و عز الدين، أظهروا الايمان و قرأوا القرآن مستهزئين بآياته، و قاموا الى الصلاة و هم كسالى،و أدوا الفرائض و هم كارهون، فلما رأوا أنه لا يعز فى الدين الا الأتقياء الأبرار، توسموا بسيمى الصالحين ليظن المسلمون بهم خيرا، فيما زالوا بذلك حتى شركوهم فى أماناتهم و قالوا حسابهم على الله، فان كانوا صادقين فاخواننا فى الدين، و ان كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين، و قد منيت بأولئك و بأبنائهم و أشباههم، و الله ما زادهم طول العمر الا غيا، و لا زادهم ذلك لأهل الدين الا مقتا، فجاهدهم و لا ترض دنية و لا تقبل خسفا، فنا عليا أباك لم يجب الى الكوفة حتى غلب على أمره، فأجاب و انهم يعلمون، أنه أولى بالأمر ان حكموا بالعدل، فلما حكموا بالهوى رجع الى ما كان عليه حتى أتى اليه أجله، و لا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك، و السلام».

[صفحه ۵۳]

المراسلات بين الامام الحسن و معاوية

يروى أبوالفرج و الشيخ المفيد، أنه لما بلغ معاوية وفاة أميرالمؤمنين على، و بيعة الناس لابنه الحسن، دس رجلا من بنى حمير الى الكوفة، و رجلا من بنى القين الى البصرة، يكتبان اليه بالأخبار، فدل على الحميرى عند لحام جرير، و على القينى بالبصرة، فأخذا و قتلا، و كتب الحسن الى معاوية: «أما بعد، فانك دسست الى الرجال كأنك تحب اللقاء، و ما أشك فى ذلك فتوقعه ان شاء الله، و قد بلغنى أنك شمت بما لا يشمت به ذوالحجى» (يشير الى ما أظهره معاوية من الفرح بمقتل الامام على)، فكتب اليه معاوية «أما بعد، فقد وصل كتابك و فهمت ما ذكرت فيه، و لقد علمت بما حدث فلم أفرح و لم أحزن، و لم أشمت و لم آس».

و أرسل الامام الحسن رسالة أخرى الى معاوية يدعوه الى مبايعته و طاعته و الدخول فيما دخل فيه المسلمون، وقد أرسلها مع الحارث بن سويد التميمى و جندب الأزدى، و هما من عيون المؤمنين و ثقات الاسلام، و هاك نص الرسالة، كما رواها أبوالفرج و ابن أبى‌الحديد، «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله الحسن أميرالمؤمنين الى معاوية بن أبى‌سفيان، سلام عليك فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو، أما بعد، فان الله تعالى عزوجل بعث محمدا صلى الله عليه و سلم رحمة للعالمين، و منة على المؤمنين، و كافة الى الناس

أجمعين «لينذر من كان حيا و يحق القول على الكافرين»، فبلغ رسالات الله، و قام على أمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا و ان، حتى أظهر الله به الحق، و محق به الشرك، و نصر به المؤمنين، و أعز به العرب، و شرف به قريشا خاصة «و انه لذكر لك و لقومك»، فلما توفى صلى الله عليه و سلم تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته و أسرته و أولياؤه، و لا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد فى الناس و حقه، فرأت العرب أن القول كما قالت قريش، و أن الحجة لهم فى ذلك على من نازعهم أمر محمد صلى الله عليه و سلم فأنعمت لهم العرب و سلمت ذلك، ثم حاججنا نحن قريش بمثل ما حاجت به العرب، فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها، انهم أخذوا هذا الأمر

[صفحه ۵۴]

دون العرب بالانتصاف و الاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد و أوليائه الى محاجتهم، و طلب النصفة منهم باعدونا و استولوا بالاجتماع على ظلمنا و مراغمتنا، و العنت منهم لنا، فالأمر لله، و هو الولى النصير، و قد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا و سلطان نبينا صلى الله عليه و سلم و ان كانوا ذوى فضيلة و سابقة فى الاسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون و الأحزاب بذلك معمزا يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا من فساده، فاليوم فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل فى الدين معروف، و لا أثر فى الاسلام محمود، و أنت ابن‌حزب من الأحزاب، و ابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه و سلم ولكن الله خيبك و سترد فتعلم لمن عقبى الدار، تالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك و ما الله بظلام للعبيد».

«ان عليا، رضوان الله عليه، لما مضى لسبيله - رحمه الله، يوم قبض، و يوم من الله عليه بالاسلام، و يوم يبعث حيا - و لانى المسلمون الأمر بعده، فاسأل الله أن لا يزيدنا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامته، و انما حملنى على الكتاب اليك الاعذار فيما بينى و بين الله سبحانه و تعالى فى أمرك، و لك فى ذلك ان فعلت الحظ الجسيم، و للمسلمين فيه صلاح، فدع التمادى فى الباطل، و ادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فانك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عندالله و عند كل أواب حفيظ، من الله له قلب منيب، واتق الذه ودع البغى، و احقن الدماء، فوالله ما لك من خير أن تلقى الله من دماء المسلمين بأكثر مما أنت لاقيه به، فادخل فى السلم و الطاعة، و لا تنازع الأمر أهله، و من هو أحق به منك، ليطفىء الله العداوة بذلك، و تجمع الكلمة، و تصلح ذات البين، و ان أنت أبيت الا التمادى فى غيك، نهدت اليك المسلمين، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا، و هو خير الحاكمين».

فكتب معاوية الى الامام الحسن «بسم الله الرحمن الرحيم»، من عبدالله أميرالمؤمنين الى الحسن بن على، سلام عليك، فانى أحمد اليك الذى لا اله

[صفحه ۵۵]

الا هو، أما بعد، فقد بلغنى كتابك، و فهمت ما ذكرت به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الفضل، و هو أحق الأولين و الآخرين بالفضل كله، قديمه و حديثه، و صغيره و كبيره، فقد والله بلغ فأدى، و نصح و هدى، حتى أنفذ الله به من التهلكة، و أنار به من العمى، و هدى به من الضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته، فرأيتك صرحت بتهمة أبى‌بكر الصديق، و عمر الفاروق و أبوعبيدة الأمين، و حوارى الرسول صلى الله عليه و سلم و صلحاء المهاجرين و الأنصار، فكرهت ذلك لك، فانك امرؤ عندنا و عند الناس غير ظنين، و لا المسىء و لا اللئيم، و أنا أحب لك القول السديد و الذكر الجميل».

«ان هذه الأمة اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم و لا سابقتكم و لا قرابتكم من النبى صلى الله عليه و سلم و لا مكانتكم فى الاسلام و أهله، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانتها من نبيها، و رأى صلحاء الناس من قريش و الأنصار و غيرهم من سائر الناس و عامتهم، أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها اسلاما، و أعلمها بالله، و أحبها له و أقواها على أمر الله، فاختاروا أبابكر، و كان ذلك رأى ذوى الحجى و الدين و الفضيلة و الناظرين للأمة، فأوقع ذلك فى صدوركم التهمة، و لم يكونوا بمتهمين، و لا فيما أتوا بمخطئين، و لو رأى المسلمون فيكم من يغنى غناءه أو يقوم مقامه أو يذب عن حريم الاسلام ذبه، ما عدلوا بذلك الأمر الى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام و أهله، فالله يجزيهم عن الاسلام و أهله خيرا، و قد فهمت الذى دعوتنى اليه من الصلح، و الحال فيما بينى و بينك اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أنتم و أبوبكر بعد النبى صلى الله عليه و سلم، و لو علمت أنك أضبط منى للرعية، و أحوط على هذه الأمة، و أحسن سياسة، و أقوى على جمع المال و أكيد للعدو، لأجبتك الى ما دعوتنى اليه، و رأيتك لذلك أهلا، ولكنى قد علمت أنى أطول منك ولاية، و أقدم منك لهذه الأمة تجربة، و أكثر منك سياسة، و أكبر منك سنا، فأنت أحق أن تجيبنى الى هذه المنزلة التى سألتنى، فادخل فى طاعتى و لك الأمر من بعدى، و لك ما فى بيت مال العراق من مال بالغا ما بلغ تحمله الى حيث أحببت، و لك خراج

[صفحه ۵۶]

أى كور العراق شئت، معونة لك على نفقتك يجبيها لك أمينك، و يحملها لك فى كل سنة، و لك ألا يستولى عليك بالاساءة و لا تقضى دونك الأمور، و لا تعصى فى أمر أردت به طاعة الله، عزوجل، أعاننا الله و اياك على طاعته، انه سميع مجيب الدعاء، و السلام».

قال جندب بن عبدالله الأزدى، رسول الحسن الى معاوية: فلما أتيت الحسن بن على بكتاب معاوية قلت له: «ان الرجل سائر اليك، فابدأ أنت بالمسير حتى تقابله فى أرضه و بلاده و عمله، فاما أن تقدر أنه يتناولك فلا والله حتى يرى يوما أعظم من يوم صفين، فقال أفعل، ثم قعد عن مشورتى و تناسى قولى».

هذا و يعلق الدكتور أحمد رفاعى على رسالة معاوية هذه فى كتابه «عصر المأمون»، بأن هذه الرسالة قد حوت بعض المغالطات، فقد جاء فيها: «ان هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم فى الاسلام، و لا قرابتكم من النبى صلى الله عليه و سلم... الخ»، و من يتتبع الأحداث التى وقعت بعد النبى صلى الله عليه و سلم عرف أن العترة الطاهرة واجهت بعد النبى صلى الله عليه و سلم أشق المحن و الخطوب، فان الجرح لما يندمل، و الرسول صلى الله عليه و سلم لما يقبر، استبد القوم بالأمر، و عقدوا اجتماعهم فى السقيفة، و تغافلوا عترة نبيهم، و كان لهذا كله الأثر الذى ظهر بعد خمسين عاما من وفاة النبى صلى الله عليه و سلم فقد تتابعت عليهم الخطوب، فاذ المسلمون من موكب جهير يجوب البيداء من بلد الى بلد، و هم يحملون رؤوس أبناء النبى صلى الله عليه و سلم على أطراف الرماح»، بعد مذبحة كربلاء المشهورة و التى تشهد بوضوح الى ما وصل اليه القوم من الانحطاط الدينى و الخلقى، و كيف هان آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم على بنىأميه الذين جعلت منهم نبوة محمد صلى الله عليه و سلم شيئا مذكورا فى تاريخه، ما كانوا بدونه الا عدما أو شيئا من العدم.

ثم ان رسالة معاوية هذه انما تفضح عن صاحبها، و تظهر نواياه فى السلطان التى طالما أخفاها تحت ستار الأخذ بثأر عثمان على أيام الامام على، فطالما كتب اليه الامام يطلب منه الدخول فيما دخل فيه المسلمون من البيعة

[صفحه ۵۷]

لعلى، بعد أن خذله هواه الشخصى، فخرج على الامام بغير حق، لأنه كان ملزما، و هو بالشام، ببيعة الامام على الذى بايعه أهل الحل و العقد بالمدينة من المهاجرين و الأنصار و أهل بدر و هم الذين بايعوا أبابكر و عمر و عثمان، و رضى معاوية ببيعتهم، ولكنه كان يأبى و يحتج بأنه انما يطالب بدم عثمان الخليفة الشهيد، و تلك دعوى حق أريد بها باطل، ذلك لأن أقل ما كان يجب على معاوية أن يبايع للامام ثم يطالبه بأن يمكنه من القصاص لعثمان رضى الله عنه، لكن معاوية لم يبايع الامام الذى بايعه المهاجرون و الأنصار، و مع هذا فهو يطالبه بالقصاص من قتلة عثمان، و الا فلا بيعة و لا سمع و لا طاعة، و التناقص واضح فى موقف معاوية، فلو أنه بايع الامام لكان له وجه حق فيما طالب به، ولكنه يحجب عنه بيعته و طاعته، ثم يعود فيلزمه ما يلزم ولى الأمر من رد المظالم فذلك ما لا يستقيم على منطق أو واقع، لكن دم عثمان لم يكن عند معاوية هدفا لذاته، و انما كان وسيلة لوصول معاوية الى الحكم و السطان، فلما وصل الى الملك و السلطان، لم يبادر بالقصاص لدم عثمان، و انما رضى بما غنمه من ملك الدنيا، و أرضى ورثة عثمان بالفتات و ببعض الكلمات.

ثم ها هو الآن مع الامام الحسن بن على يسلك نفس الطريق، و ان اختلفت الوسيلة، فهو يرى نفسه، دون ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن بن على، أنه أضبط للرعية و أحوط للأمة و أحسن للسياسة و أقوى على جمع الأموال و أكيد للعدو، و حجته فى ذلك أنه أطول ولاية و أقدم تجربة و أكثر سياسة و أكبر سنا، ولو طبقنا مبدأ معاوية هذا فى أية دولة، قديما أو حديثا، لكان معناه أن أقدم موظفى الدولة، أولى برياستها من صاحب الحق الشرعى فيها، و لكان أكبر المواطنين سنا أولى بالملك من غيره، و هذا ما لم يقل به أحد، فضلا عن أن الامام الحسن يتمتع بصفات ليس لمعاوية منها نصيب، و لعل المتحذلقين و الكارهين لذرية النبى صلى الله عليه و سلم و آل بيته الطارهين، يتذكرون الأحاديث الشريفة التى رويت عن النبى صلى الله عليه و سلم فى حق الامام الحسن، فهو ابن النبى، و هو السيد، و هو امام ان قام أو قعد، ثم ان أسلوب معاوية المعروف من استمالة الناس بالأموال و اغرائهم

[صفحه ۵۸]

بالمناصب، انما يريد أن يطبقه حتى مع الامام الحسن فهو يعرض عليه الأمر من بعده، ثم له ما شاء من مال العراق بالغا ما بلغ، و خراج أى كور العراق بعد ذلك ثم الأمان لنفسه و أهله، و ألا تقضى الأمور بدونه، و ألا يعصى فى أمر يريد به طاعة الله، الأمر الذى لم يف به معاوية حين وصل الى الملك و السلطان، كما سنرى من هذه الدراسة، لأن هدف معاوية انما كان اقامة ملك يورثه لمن بعده من آل أبى‌سفيان، حتى و ان أدى ذلك الى محاربة آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و مقتل الآلاف من المسلمين، بل مذبحة دنيئة يقوم بها ولده من بعده، يكاد يقضى فيها على ذرية رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم تستباح بعد ذلك مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم بلد الله الحرام مكة المكرمة.

و على أى حال، فان معاوية سرعان ما بدأ يتصل بزعماء العراق من الطامعين فى دنياه، و أخذ يمنيهم بالمال و الولاية، فلما استيقن منهم، فضلا عن انقطاع الأمل فى اجابة الامام الحسن له، أرسل اليه رسالة، ربما كانت أقرب الى التهديد و الوعيد، منها الى الرجاء و الأمل، حامل فيها أن يحذره من الخلاف عليه، و يمينه بالخلافه من بعده، ان تنازل له عن الأمر، و قد جاء فيها «أما بعد، فان الله عزوجل، يفعل فى عباده ما يشاء لا معقب لحكمه و هو سريع الحساب»، فاحذر أن تكون منيتك على يد رعاع من الناس، و ايئس من أن تجد فينا غميزة، و ان أنت أعرضت عما أنت فيه و بايعتنى وفيت لك بما وعدت، و أجزت لك ما شرطت... ثم الخلافة لك من بعدى، فأنت أولى الناس بها، و السلام» غير أن الامام الحسن لم يكترث بتهديده، فكتب اليه يقول «أما بعد، فقد وصل الى كتابك تذكر فيه ما ذكرت، و تركت جوابك خشية البغى عليك، و بالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحق تعلم أنى من أهله، و على اثم أن أقول

فأكذب، و السلام».

و كانت هذه آخر الرسائل بين الامام الحسن و معاوية، و على أثرها علم معاوية أن وسائله المعروفة لا تجدى، و أن مغالطاته السياسية لا تنفع، و أن الامام الحسن مصمم على حربه، فاتجه الى هذا الطريق، بل استعجل

[صفحه ۵۹]

الحرب، لأنه اتصل اتصالا وثيقا بمرضى القلوب من زعماء العراق و رؤساء القبائل، و مناهم بالوظائف و أغدق عليهم من أموال المسلمين، فأجابوه سرا الى تنفيذ منذ بيعة الامام الحسن فى اقامة جسر بين الكوفة و دمشق، و كان حزب النفعيين هذا أقساما، فالحزب الأموى، و على رأسه، عمرو بن حريث، و عمارة بن الوليد بن عقبة، و حجر بن عمرو، و عمر بن سعد بن أبى‌وقاص، و أبوبردة بن أبى‌موسى الأشعرى، و اسماعيل و اسحاق ابنا طلحة بن عبيدالله، فكتبوا الى معاوية بالسمع و الطاعة فى السر، و استحثوه على المسير نحوهم، و ضمنوا له تسليم الحسن اليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به، و يقول المسعودى: ان أكثرهم أخذوا يكاتبون معاوية سرا، و يتبرعون له بالمواعيد، و يتخذون عنده الأيادى، و جاء فى «علل الشرائع» أن معاوية دس الى عمرو بن حريث و الأشعث بن قيس و حجار بن أبجر و شبث بن ربعى، دسيسة، و آثر كل واحد منهم بعين من عيونه: أنك اذا قتلت الحسن فلك مائة ألف درهم، و جند من أجناد الشام، و بنت من بناتى، فبلغ الحسن ذلك فاستلأم (لبس الأمة) و لبس درعا و كفرها، و كان يحترز و لا يتقدم للصلاة بهم الا كذلك، فرماه أحدهم فى الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللأمة».

و هكذا بدأ الاستعداد للحرب، و من ثم فقد كتب الى عماله على النواحى رسالة من صورة واحدة، جاء فيها «من معاويه أميرالمؤمنين الى فلان، و من قبله من المسلمين، سلام عليكم، فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو، أما بعد فالحمدلله الذى كفاكم مؤونة عدوكم و قتل خليفتهم، ان الله بلطفه و حسن صنيعه أتاح لعلى بن أبى‌طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين مختلفين، و قد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم و عشائرهم، فأقبلوا الى حين يأتيكم كتابى هذا بجهدكم و جندكم و حسن عدتكم، فقد أصبتم بحمدالله الصبر، و بلغتم الأمل، و أحل الله أهل البغى و العدوان، و السلام.»

[صفحه ۶۰]

و بدهى أن فى رسالة معاوية هذه أمورا تلفت النظر، منها أن ينسب معاوية البغى و العدوان للامام على، مع أن معاوية و جنوده هم الباغون لقتلهم الصحابى الجليل عمار بن ياسر، الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم تقتلك الفئة الباغية»، و منها شماتة معاوية فى قتل الامام على، و قد فعل ذلك من قبل، فكتب الحسن «و قد بلغنى أنك شمت بما لم يشمت به ذوو الحجى»،و قد رد معاوية «لم أفرح و لم أحزن و لم أشمت و لم آسى»، و ها هو يعيد الشماتة مرة أخرى، و هل هناك شماتة فى الموت؟ و منها جمعه الجموع و تحريضهم على حرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سبطه، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلى و فاطمة و الحسن و الحسين، فيما أخرجه الامام أحمد و غيره عن أبى‌هريرة «أنا حرب لمن حاربكم و سلم لمن سالمكم» و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، عن الحسن و الحسين، فيما أخرجه أحمد و ابن‌ماجة، عن أبى‌هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول من أحبهما فقد أحبنى، و من أبغضهما فقد أبغضنى»، و لست أدرى ماذا يقول أنصار معاوية فى هذه الأحاديث الشريفة و غيرها، و ما حكم من يكون رسول الله حربا عليه، و ما حكم من يبغضه رسول الله صلى الله عليه و سلم؟

خروج الامام الحسن للحرب

وصل معاويه بن أبى‌سفيان بجيشه الجرار الى جسر منبج، و هنا علم الامام الحسن بذلك، فأمر بعض أصحابه أن ينادى فى الكوفة «الصلاة جامعة»، و المراد جمع الناس فى جامع البلد، فنودى بذلك، و اجتمع الناس، و اعتلى الامام الحسن المنبر فقال: أما بعد، فان الله كتب الجهاد على خلقه، و سماه كرها ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين «و اصبروا ان الله مع الصابرين»، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون، انه بلغنى أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير اليه فتحرك لذلك فاخرجوا رحمكم الله الى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر و تنظروا و نرى و تروا»، لما انتهى الامام من خطابه وجم الحاضرون و لم يجبه أحد، و لما رأى «عدى بن حاتم الطائى» ذلك وقف و قال: «أنا ابن‌حاتم، سبحان الله ما أقبح هذا المقام، ألا تجيبون امامكم، و ابن بنت

[صفحه ۶۱]

نبيكم، أين خطباء مضر، أين الخواضون من أهل المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة، فاذا جد الجد فرواغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله، و لا عيبها و لا عارها» ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: «أصحاب الله بك المراشد، و وفقك لما يحمد ورده و صدره، فقد سمعنا مقالتك، و انتهينا الى أمرك، و سمعنا منك و أطعنا فيما قلت و ما رأيت، و هذا وجهى الى معسكرى، فمن أحب أن يوافينى فليوافى»، ثم خرج لوجهه، فخرج من المسجد و دابته بالباب فركبه و مضى الى النخيلة، و أمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، و كان عدى أول الناس عسكرا.

ثم قام قيس بن سعد الأنصارى و معقل بن قيس الرياحى، و زياد بن صعصعة التيمى، فأنبوا الناس و لاموهم و حرضوهم، و كلموا الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الاجابة و القبول، فقال لهم الحسن: صدقتم رحمكم الله، مازلت أعرفكم بصدق النية، و الوفاء بالقول و المودة الصحيحة، فجزاكم الله خيرا، ثم نزل.

و هكذا خرج الامام الحسن لرد عدوان معاوية، و استخلف من الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، ثم أمره بحث الناس على الجهاد و اشخاصهم اليه فى النخيلة، ثم الى «دير عبدالرحمن» فأقام به ثلاثه أيام ليلتحق به المختلفون من جنده، و رأى أن يرسل مقدمة جيشه للاستطلاع على حال العدو، و اختار فى مقدمة جيشه خلاصة أصحابه من الباسلين، كان عددهم اثنى عشر ألفا، و أعطى القيادة العامة لابن عمه عبيدالله بن العباس، و أوصاه قائلا: يا ابن العم انى باعث معك اثنى عشر الفا من فرسان العرب، و قراء المصر، الرجل منهم يزيد الكتيبة، فسر بهم، و ألن لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك، و افرش لهم جناحك و أدنهم من مجلسك فانهم بقية ثقات أميرالمؤمنين على، و سر بهم على شط الفرات ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية، فان لقيته فاحتبسه حتى آتيك فانى على أثرك وشيكا، وليكن خبرك عندى كل يوم، و شاور هذين قيس بن سعد، و سعيد بن قيس، و اذا لقيت معاوية فلا تقاتله

[صفحه ۶۲]

حتى يقاتلك فان فعل فقاتله، و ان أصبت فقيس بن سعد على الناس، و ان أصيب فسعد بن قيس على الناس».

على أن هناك خلافا بين المؤرخين فى عدة أمور، بشأن جيش الامام الحسن هذا، منها سبب اختيار عبيدالله بن عباس قائدا لهذا الجيش؟ و منها هل فعلا كان عبيدالله هو القائد أم قيس بن سعد؟ و أما سبب اختيار عبيدالله بن عباس للقيادة، وفى الجيش أعلام من سرأة الناس و ذوى السوابق والذكريات المجيدة الذين لا يهضمون الخلق المزهو، و لا الخشونة الآمرة الناهية فى الفتى الهاشمى الذى لا يزيدهم كفاءة، و لا يسبقهم جهادا، و لا يفضلهم تقوى و لا يكبرهم سنا، فقد كان عبيدالله وقت ذاك فى التاسعة و الثلاثين من

عمره، هذا فضلا عن وجوه قيس بن سعد الأنصارى فى هذا الجيش، و هو الرجل المعترف بكفاءته العسكرية، و باخلاصه الصحيح لأهل البيت و بأمانته.

و الاجابة على ذلك، فيما يرى صاحب «صلح الحسن»، تتلخص فى أسباب، منها (أولا) أن الامام الحسن عندما أراد عبيدالله للقيادة على المقدمة فرض عليه استشاره قيس بن سعد، و سعيد بن قيس، كما رأينا، فخرج بذلك من الايثار، ان كان فى ايثاره لعبيدالله تبعة يخاف منها على مصلحة الموقف، و أصبحت القيادة بذلك شورى بين ثلاثه هم أليق رجال الجيش لها، و منها (ثانيا) أن تقديم قيس بن سعد على صاحبيه و على غيرهما من صحابة و زعماء، و ايثاره بالقيادة وحده، انما كان وقت ذاك فيه فطنة لتنافس الأكفاء الآخرين فى الجيش، قيادة وجهادا و سابقة، من أمثال أبى‌أيوب الأنصارى و حجر بن عدى، و عدى بن حاتم الطائى و أضرابهم، و من ثم كان تقديم ابن عم الامام، بل ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم و تعيينه اسما، ثم الافادة من قيس و صاحبه، انما كان تخلصا لبقا من الامام لا ينبغى الخلاف فيه، و التنافس عليه، و منها (ثالثا) أن صور التخاذل فى قضية الامام الحسن فى الكوفة انما أوحت أن يكون قائد جيشه هاشميا، ثم أنه لن يكون غير عبيدالله بن عباس، أشد حنقا و لا أعنف تأليبا على معاوية منه، كأب قتل ولداه الصبيان صبرا، فيما أملته فاجعة «بسر بن

[صفحه ۶۳]

ارطاة» يوم غارته على اليمن، و من ثم كان اختياره لقتال قاتل ولديه اختيارا مناسبا جدا، و منها (رابعا) أن جيش الامام على عليه‌السلام الذى أعده فى الكوفة لحرب أجناد الشام ثم توفى عنه، انما كان قائده قيس بن سعد الأنصارى، و لهذه السوابق أثرها فى توثيق الشخصية بين القائد و الجنود، تجعل من السهل على القائد النافذ من جنوده أن يجنح متى شاء الى حرية التصرف، دون اتصال بالقائد الأعلى، و هو ما كان يجب التحفظ منه، فكان من الاحتياط أن يكون القائد غيره، و أن يكون هو المستشار للقائد لكفاءته و دهائه، و هو ما فعله الامام الحسن.

على أن كثيرا من المؤرخين، كالطبرى و ابن‌الأثير و ابن‌كثير، يرون أن قيس بن سعد الأنصارى هو الذى كان قائد مقدمة جيش الامام الحسن، فالطبرى يروى عن اسماعيل بن راشد فيقول: بايع الناس الحسن بن على، عليه‌السلام، بالخلافة، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن، و بعث سعد بن قيس على مقدمته فى اثنى عشر ألفا.

هذا و قد اختلف المؤرخون كذلك فى عدد جيش الامام، فرواية تذهب الى أن العدد كان عشرين ألفا، كان جيش المقدمة اثنى عشر ألفا، ثم أربعة الآف من متطوعى الكوفة بعد ذلك، ثم الفصائل التى تواردت على الامام فى دير عبدالرحمن، و كل ذلك قرابة عشرين ألفا، على أن رواية أخرى تذهب الى أنهم أربعون ألفا، روى ذلك الطبرى و ابن‌الأثير، كما يروى ابن أبى الحديد عن المسيب بن نجيه أنه قال للحسن عليه‌السلام: «ما ينقضى عجبى منك صالحت معاوية و معك أربعون ألفا»، و الأمر كذلك بالنسبة لابن‌كثير، غير أن ابن‌قتيبة يروى عن سليمان بن صرد قوله للحسن «فان تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية، و معك مائة ألف مقاتل من أهل الفرق»، و على أى حال، فان الاختلاف فى عدد الجيش ليس بذى أهمية، مهما كان عدده كبيرا، اذا كان مختلف الأهواء، فلابد أن ينهزم، فالنصر لا يجىء الا بالاخلاص و الايمان و العقيدة و وحدة الكلمة.

[صفحه ۶۴]

و أيا ما كان الأمر، فلقد خرج عبيدالله بن عباس، حتى أتى شينور ثم أتى شاهى، ثم لزم الفرات و الفالوجة حتى أتى «مسكن» فأقام

بها، و أصبح أمام العدو وجها لوجه، حيث كان معاوية نزل قرية الحبوبية بمسكن، و بدأت خيل معاوية تغير على جيش عبيدالله الذى نجح فى ردهم الى معسكرهم، و هنا بدأ معاوية فى نشر المخاوف و الأراجيف بين جند عبيدالله، و كانت دسيسته الأولى «أن الحسن يكاتب معاوية على الصلح، فلم تقتلون أنفسكم»، و تمكن بهذه الوسيلة من الاتصال بعبيدالله و جذبه اليه، فكتب اليه «ان الحسن قد راسلنى فى الصلح، و هو مسلم الأمر الى، فان دخلت فى طاعتى الآن كنت متبوعا، و الا دخلت و أنت تابع، و لك ان أجبتنى الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، أعجل لك فى هذا الوقت نصفها، و اذا دخلت الكوفة النصف الآخر» و كما يقول أبوعلم - (نقلا عن مجلة العالم العربى - العدد الثانى السنة ١١)- «أن ايمان معاوية بالسفالة البشرية ايمانا لا حد له، و هو ايمان يقوم على الاعتقاد بأن أقوم الناس خلقا و أشدهم عزما، و أتقاهم فضيلة، قد تستغويه الأطماع و يذله الحرص فى ساعة من ساعات الضعف الذى يطرأ على النفوس، فى فترة من فترات الشك الذى لا ينفك عن مطاردة الناس، و لا يسلم من غوائه أفاضل الناس و أعالى البشرية»، و فى الواقع فلقد حذر الامام على زيادا من معاوية، و قال له، فيما يروى ابن الأثير «و ان معاوية يأتى الانسان من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فاحذر ثم احذر»، و هكذا نجح معاوية فى اغواء الفتى الهاشمى بأبشع صور الخيانة و الحطة و النذالة، ففى غلس الليل البهيم تسلل عبيدالله الى معاوية و معه بضعة الآف من جنده، دخل دخول المهزوم المخذول الذى يعلم فى نفسه أى اثم عظيم أتاه، و أى عار جلبه على الهاشميين، و يرى الكثيرون أن فى عنق عبيدالله بن عباس تقع المسئولية الكبرى، لكل ما سيحدث بعد ذلك، فلقد أدى تركه للجيش الى زعزعة الثقة و تفلل وحداته و اضطرابه، ثم أصبحت البقية الباقية فلا تجد من يصلى بها صلاة الصبح، و رحم الله قيس بن سعد الأنصارى الذى قام فصلى بالناس و هدأ من روعهم، و أطفأ بعضا من نار غضبهم

[صفحه ۶۵]

ثم خطبهم فقال «أيها الناس: لا يهولنكم و لا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورع (الجبان)، ان هذا و أباه و أخاه لم يأتوا بيوم خير قط... و ان هذا ولاه أميرالمؤمنين على على اليمن، فهرب من بسر بن أرطأة، و ترك ولده، حتى قتلوا، و صنع الآن هذا الذى صنع»، فتنادى الناس «الحمدلله الذى أخرجه من بيننا، فانهض بنا الى عدونا فنهض بهم».

و لا ريب فى أن خذلان عبيدالله بن عباس هذا، انما كان العامل الأساسى فى تفكك الجيش و تخاذله، فلقد طعن الجيش و فتح باب الخيانة و الغدر، و مهد السبيل للكثيرين للالتحاق بمعاوية، و من ثم وجد ذوالنفوس المريضة مجالا واسعا لخيانة الامام، متخذين من غدر عبيدالله وسيلة و مثلا، فهو ابن عم الامام و من أقرب الناس اليه، و لا ريب كذلك فى أن غدر عبيدالله هذا انما كان له فى نفس الامام الحسن و أخيه أشد الحزن و أكبر الأسى، فان عبيدالله لم يرع الدين و لا الوتر و لا الرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لا من قائده الأعلى، و لا الميثاق الذى واثق الله عليه فى البيعة و لا الخوف من حديث الناس و نقمة التاريخ، فكان فعله هذا سبة فى جبين بنى‌العباس أبدا.

لم يكتف معاوية بغدرة عبيدالله بل زادته مكرا و خديعة، فبدأ يتلون تلونا مخيفا، فعمد الى سلة أكاذيب يختار منها ما يشاء، ثم يبعث بها الى معسكر الامام، فكان يدس الى معسكره فى المدائن من يتحدث بأن قيسا بن سعد، قد صالح كذلك معاوية، كما صالحه عبيدالله، و فى نفس الوقت الى معسكر قيس من يتحدث بأن الامام الحسن نفسه انما قد صالح معاوية و أجابه، ثم ينشر اشاعة أخرى فى معسكر المدائن «ألا ان قيس بن سعد قد قتل فانفروا»، و هكذا بلغ معاوية بفتنته ما أراد، فنفر القوم بسرادق الحسن فنهبوا متاعه، حتى نازعوه بساطا كان تحته، و يقول بعض المؤرخين ان رجلا طعنه فلم يصب منه مقتلا، و ان هذا الرجل كان من أصحابه، غير أن آخرين يرون أنه كان من الخوارج، و انه قال للامام الحسن و هو يهم به: أشركت كما أشرك أبوك، فازداد الحسن لهم بغضا، و منهم ذعرا، و دخل المقصورة البيضاء بالمدائن، و كان الأمير على

[صفحه ۶۶]

المدائن سعد بن مسعود الثقفى، عم المختار بن أبى‌عبيد، فقال المختار، و هو غلام شاب، هل لك فى الغنى و الشرف، قال و ما ذاك، قال: توثق الحسن و تستأمن به الى معاويـة، فقال له عمه سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و أوثقه، بئس الرجل أنت، و هكذا بدأ الامام الحسن يفكر فى الصلح الذى دعاه اليه معاويـة، و ان كان على حد قوله «ليس فيه عز و لا نصفة»، روى ابن‌الأثير: أن معاويـة لما راسل الحسن فى تسليم الخلافة اليه خطب الحسن الناس فقال: انا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك و لا ندم، و انما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة و الصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، و الصبر بالجزع، و كنتم فى مسيركم الى صفين و دينكم أمام دنياكم و أصبحتم اليوم و دنياكم أمام دينكم، الا و قد أصبحتم بين قتيلين، قتيل بصفين تبكون عليه، و قتيل بالنهروان تطلبون ثأره، و أما الباقى فخادل، الا و ان معاويـة دعانا لأمر ليس فيه عز و لا نصفة، فان أردتم الموت رددناه عليه و حاكمناه الى الله عزوجل بظبى السيوف، و ان أردتم الحياة قبلناه و أخذنا لكم الرضى، فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية، و أمضى الصلح».

[صفحه ۶۷]

صلح الامام الحسن

معاوية يطلب الصلح

اختلف المؤرخون، و ما يزالون مختلفين، فيمن بادر بطلب الصلح، أهو الامام الحسن، أم معاويـة بن أبى‌سفيان، ففريق يرى، و منهم الطبرى و ابن‌الأثير، أن معاويـة هو الذى طلب الصلح و أنه أرسل الى الحسن صحيفة بيضاء مختوما أسفلها بختمه، و كتب اليه «أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما شئت فهو لك»، على أن فريقا آخر يرى أن الحسن هو الذى طلب الصلح.
و الرأى عندى أن كلا من الطرفين كان راغبا فى الصلح، غير أن معاويـة هو الذى بدأ بطلب الصلح، اعتمادا على أمور، منها (أولا) أن الطبرى انما يروى أن الامام الحسن، بعد أن زادت الفرقة بينه و بين المتمردين من جنده، كاتب معاويـة، و أرسل اليه بشروطه للصلح، و كان معاويـة قد أرسل قبل هذا الى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها و كتب اليه أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما شئت فهو لك، هذا الى أن رواية ابن الأثير لا تختلف عن ذلك، انما تتفق مع الطبرى، و ان اختلفت فى بعض ألفاظها، و منها (ثانيا) أن الرسائل التى كانت بين الحسين و معاويـة، عقب بيعة الحسن اماما للمسلمين، انما كان كل منها يطلب أن يسمع الآخر له و يطيع، غير أن رسائل

[صفحه ۶۸]

معاويـة انما كانت دائما تعرض على الحسن الصلح، على أن يكون له الأمر من بعده، و هذا ما انتهت اليه بعض شروط الصلح، و منها (ثالثا) رواية عمرو بن دينار، كما جاءت فى سير أعلام النبلاء للذهبى، من أن معاويـة كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفى على بعث الى الحسن فأصلح ما بينه و بينه سرا، و اعطاه معاويـة عهدا ان حدث به حدث، و الحسن حى، ليسمينه، و ليجعلن هذا

الأمر اليه، و منها (رابعا) روى البخارى عن أبى‌موسى، قال سمعت الحسن البصرى يقول: استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص انى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية، و كان و الله خير الرجلين، أى عمرو، ان قتل هؤلاء هؤلاء، و هؤلاء هؤلاء، من لى بأمور الناس، من لى بنسائهم، من لى بضيعتهم، فبعث اليه برجلين من قريش من بنى عبدشمس، عبدالرحمن بن سمرة و عبدالله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا الى هذا الرجل (أى الحسن) فاعرضا عليه و قولا له و اطلبا اليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلما و قالا له و طلبا اليه، فقال لهما الحسن بن على: انا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، و ان هذه الأمة قد عاثت فى دمائها، قالا: فانه يعرض عليك كذا و كذا، و يطلب اليك و يسألك، قال فمن لى بهذا، قالا نحن لك به، فما سألهما شيئا الا قالا: نحن لك به، فصالحه».

اسباب الصلح

لعل من أبرز مناقب الامام الحسن، فيما يقول الأستاذ حسين يوسف، ظهورا، و أبعدها أثرا فى حياته، بل و فى حياة الأمة الاسلامية بأسرها فى ذلك الحين، هو زهده فى الامارة، و كراهيته للعلو فى الدنيا، شأنه فى ذلك شأن أبيه العظيم الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، لم يكن له أى هوى فى تحمل أمر المسلمين، فقد بايعه الناس كما بايعوا أباه من قبل، على غير رغبة منه و رضى، و من ثم فقد سعت اليه الخلافة، و هو الجدير بها، و لم يسع اليها، و اضطر الى قبولها حتى لا يصير أمر الناس الى فوضى، و تظهر عظمة ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أوجها، و تبرز من أعماق نفسه القوة الكافية فى أروع صورها، حين

[صفحه ۶۹]

دانت له العراق و ما وراءها من خراسان، و اجتمعت له الكتائب أمثال الجبال، كما يروى البخارى، و مع ذلك لم تغلبه نفسه، و لم تفتنه الامارة، و لم تخدعه الدنيا باقبالها و سلطانها، فتنازل عنها لمعاوية، زهدا فيها و كراهية المنازعة عليها، و ما قد يجره ذلك من سفك الدماء، و تفرق الكلمة، حتى أنه ليقول، فيما يروى ابن عبدالله البر فى الاستيعاب «و الله ما أحببت، منذ علمت ما ينفعنى و يضرنى، أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه و سلم على أن يهراق فى ذلك محجمة دم»، و هكذا كان فى استطاعة الامام الحسن، و هو ينظر الى جيوشه فى الحديد، تقطر أسيافهم جدا و حرصا على قتل أهل الشام، أن تندفع هذه الجيوش فى حرب ضروس ليصبح فى النهاية أميرالمؤمنين و خليفة المسلمين، ولو فعل ما أصابه لوم، فلم يكن أحد على وجه الأرض وقت ذلك، أحق بالخلافة منه، ولكنه لم يفعل، بل قال مستنكرا، فيما يروى ابن‌حجر فى الاصابة، «أضرب هؤلاء بعضهم ببعض فى ملك من ملك الدنيا، لا حاجة لى به».
هذا و يضيف المؤرخون و رجال الحديث الى ذلك أسبابا أخرى، منها (أولا) أن الامام الحسن، كما يقول الدكتور طه حسين، كان رجل صدق، قد كره الفرقة و آثر اجتماع الكلمة، و خاض غمرات الفتنة على كره منه، قاوم الفتنة أيام عثمان، ما وسعته مقاومتها، فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها، و لم يشارك فى المعارضة حين عظم الشر، و لو استطاع الحسن لاعتزل الفتنة اعتزالا، كما فعلت تلك المعتزلة من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم، ولكنه عرف لأبيه حقه عليه، فأقام معه، و شهد مشاهده كلها، على غير حب لذلك أو رغبة منه فيه، و منها (ثانيا) الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى عن أبى‌بكرة قال:رأيت النبى صلى الله عليه و سلم على المنبر، و الحسن بن على معه، و هو يقبل على الناس مرة، و عليه مرة، و يقول: «ان ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، و قد وقع هذا الحديث الشريف من نفس الامام الحسن موقعا عظيما، و قد ذكره حين ثارت الفتنة، و قد اجتهد عندما حاول أن يشير على والده

[صفحه ۷۰]

الامام على فى مواطن و أوقات متعددة أن يصلح بين هاتين الفئتين من المسلمين فيحقق نبوءة جده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و الرأى عندى، بل اليقين، أن هذا الحديث الشريف بالذات انما كان أهم الأسباب التى دفعت الامام الحسن الى قبول الصلح مع معاوية، فقد كان الامام يميل الى السلم بتأثير حديث جده رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى أنبأ فيه أن ابنه الحسن سيصلح بين فئتين كبيرتين من المسلمين.

و منها (ثالثا) اختلاف أهل الكوفة و فرقتهم، روى ابن‌الأثير أنه قيل للحسن: ما حملك على ما فعلت (يعنى الصلح) قال: «كرهت الدنيا، و رأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد الا غلب، ليس أحد منهم يوافق آخر فى رأى و لا هوى، مختلفين لا نية لهم فى خير و لا شر، لقد لقى أبى منهم أمورا عظاما، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى، و هم أسرع البلاد خرابا»، و فى ذلك يقول ابن كثير: و أقام أهل العراق الحسن بن على رضى الله عنه ليمانعوا به اهل الشام، فلم يتم لهم ما أرادوا، و انما كان خدلانهم من قبل تدبيرهم و آرائهم المختلفة المخالفة لأمرائهم، و لو كان يعلمون لعظموا ما أنعم الله به عليهم من مبايعتهم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيد المسلمين»، و منها (رابعا) أنه فى الوقت الذى ظل فيه جيش معاوية محتفظا بالولاء لحكومته، منى جيش الامام الحسن بالتفكك و التمرد، كما أن حروب صفين و النهروان قد أضعفت جيش الامام الحسن كثيرا، بخاصة و أنه لم يربح شيئا من العتاد و الأموال فى تلك الحروب، هذا الى جانب فقده لكثير من قياداته من أعلام الاسلام الذين آمنوا بحق أهل البيت و عرفوا فضلهم.

و منها (خامسا) الأثر السيىء الذى تركه استشهاد الامام على فى نفس ولده الحسن، فقد قتل الامام على غير مال احتجبه، و لا سنة فى الاسلام غيرها، و لا حق اختص به دونهم، و كان يعيش بينهم حياة الفقراء، و يسعى جادا فى اقامة العدل، فعمدوا ال اغتياله، و لم يحفظوا له حرمته و لا حرمة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد رأى الحسن بعد ارتكابهم لهذه الجريمة النكراء أنه يمكن اصلاحهم، فزهد فى ولايتهم، و قد قال «يا أهل العراق، انه سخى بنفسى عنكم ثلاث، قتلكم

[صفحه ۷۱]

أبى، و طعنكم اياى و انتهابكم متاعى»، و منها (سادسا) ما يراه الشيعة، كما يقول ابن أبى الحديد، أن الامام على قد أنبأ ولده الحسن فى أكثر من مرة، أن معاوية لا يموت حتى يملك ما تحت قدميه، و لما عوتب الامام الحسن من أصحابه فى أمر الصلح، قال: «سمعت أبى عليا رحمه الله يقول: سيلى أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم كبير البطن، فسألته من هو، قال معاوية، كذلك تنبأ النبى صلى الله عليه و سلم بملك بنى‌أمية، اذا رآهم فى المنام يعلون منبره واحدا واحدا، فشق ذلك عليه، فأنزل الله سبحانه و تعالى (و ما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس و الشجرة الملعونة فى القرآن)، كما تنبأ النبى صلى الله عليه و سلم أن ملكهم سيدوم ألف شهر، فأعطى الله النبى ليلة القدر، هى خير من ألف شهر، و منها (سابعا) رغبة الامام الحسن فى حقن دماء المسلمين و عدم اراقتها، و لو فتح باب الحرب مع معاوية لضحى بشيعته و أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و يجتث بذلك الاسلام من أصله، و قد صرح عليه‌السلام بذلك فى جوابه عن دوافع صلحه فقال: «انى خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعى»، و قال مرة: «ما أردت بمصالحتى معاوية الا أن أدفع عنكم القتل»، و قال فى المدائن عن الصلح «أيها الناس، ان الأمر الذى اختلفت فيه أنا و معاوية، انما هو حق أتركه لاصلاح أمر الأمة و حقن دمائها».

و منها (ثامنا) ما وصل الى الامام، من أنه ان حارب معاوية فقد يسلمه العراقيون اليه أسيرا، و أغلب الظن أنه لن يقتله، بل يخلى عنه و يسجل لنفسه بذلك مكرمة و فضيلة، و يسدى يدا بيضاء الى كل الهاشميين، و يغسل عن نفسه عار أنه طليق بن طليق، و قد صرح

الامام الحسن بهذه الخاطرة فقال «و الله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقى حتى يدفعونى اليه سليما، و الله لئن أسالمه و أنا عزيز، أحب الى من أن يقتلنى و أنا أسير، أو يمن على فتكون سبة على بنى‌هاشم الى آخر الدهر، و لمعاوية لا يزال يمن بها هو و عقبه على الحى منا و الميت»، و قد رأينا من قبل كيف حاول المختار بن أبى‌عبيدة أن يغرى عمه سعد بن مسعود والى المدائن بأن يوثق الحسن و يسلمه لمعاوية فزجره عمه.

[صفحه ۷۲]

و منها (تاسعا) خيانة بعض زعماء جيشه، و اتصالهم السرى بمعاوية، بل و خيانة قائده و ابن عمه عبيدالله بن العباس، لما أشرنا من قبل، و منها (عاشرا) عدم اطمئنان الامام الحسن على حياته بين أهل العراق، حتى وصل الأمر الى الاعتداء عليه، روى ابن‌سعد عن أبى‌جميلة أن الحسن لما استحلف حين قتل على رضى الله عنه، بينما هو يصلى اذ وثب عليه رجل من بنى‌أسد، ء و هو ساجد، فطعنه بخنجر، و يزعمون أن الطعنة وقعت فى وركه فمرض منها أشهر، ثم لما برىء فقد على المنبر فقال: «يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم و ضيفانكم، الذين قال الله عزوجل فيهم «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»، قال فمازال يقول ذلك حتى ما أرى أحد من أهل المسجد الا- و هو يحن البكاء، قال هلال: فما سمعت يوما قط أكثر باكيا و مسترجعا من يؤمئذ»، و جمع يوما رؤساء أهل العراق فى قصر البيضاء بالمدائن ثم قال: و استلابكم ثقلى و ازارى عن عاتقى....»

و منها (حادى عشر) أنه قد تبين للامام الحسن أن أنصار معاوية كانوا من أهل الدنيا تلعب الأموال بأهوائهم، قد عرف معاوية علتهم فنثر عليهم الذهب و الفضة نثرا، فوجدوا فى يد معاوية ما يشتهون، و كان معاوية صالحا لأهل الدنيا، و كان أهل الدنيا صالحين لمعاوية، و قد قال عمرو بن العاص: «لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما، و يطعم بالآخر»، و قال معاوية «لاستميلن بالدنيا ثقاة على و لأقسمن فيهن الأموال حتى تغلب دنياى آخرته»، أما أنصار الحسن فهم أنصار أبيه الامام على، و قد وصفهم بقوله: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة اهواؤهم»، و قد طلب الأمام الحسن خلافة الراشدين، و خاف الله كأبيه فى أموال المسلمين، فلم ينثر على جنوده الأموال نثرا، و انما أراد أن يقاتل الناس معه انتصارا للحق و طلبا للآخرة، فلم يتحمس لذلك الا أهل الصدق و الوفاء، و الحق و الدين، و قليل ما هم، و لقد خذله فى وقت الجد قائد مقدمته و ابن عمه عبيدالله بن العباس، و انضم الى معاوية مع عشرات الألوف من أهل الدنيا، و عبدة الدرهم و الدينار.

[صفحه ۷۳]

و منها (ثانى عشر) أنه استجابة لقدر الله تعالى، و تنفيذا لقضائه سبحانه، و تحقيقا لاخباره صلى الله عليه و سلم بالمعجزة، معجزة «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا و عضوضا، وافق الامام الحسن على الصلح مع معاوية، و لا ريب فى أن المسلمين جميعا عرفوا و يعرفون دائما و أبدا، أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و هو الناطق المعصوم، و الصادق الأمين، لا ينطق الا عن وحى، و لا يخبر الا عن حق، و صدق، فاخباره التزام و اعجاز، و بيانه اتيان و اقرار «و ما آتاكم الرسول فخذوه، و ما نهاكم عنه فانتهوا»، و قد أتانا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أخبرنا، أن الخلافة بعدى ثلاثون سنة فقط، فلا تكون معجزة له صلى الله عليه و سلم الا بصدق مدتها، و لا يتحقق صدقها الا باثبات دقة وقتها، و مدة الخلافة بعد انتقاله صلى الله عليه و سلم الى الرفيق الأعلى، و منذ أن تولاها أبوبكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر ثم عثمان على، رضى الله عنهم أجمعين، و حتى آخر لحظة من حياة الامام على، انما هى تسعة و عشرين سنة، بضعة أشهر، ثم تكون المدة التى قضاها الامام الحسن فى الخلافة حتى وقت صلحه انما هى تتمة «الخلافة بعدى

ثلاثون سنة»، و على حد تعبير ابن‌خلكان «و كانت آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة من أول خلافة أبى‌بكر الصديق، رضى الله عنهما، و روى الطبرى عن معاذ بن جبل و أبى‌عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «ان هذا الأمر بدأ رحمة و نبوة، ثم يكون رحمة و خلافة، ثم كائن ملكا غضوضا، ثم كائن عتوا و جبرية، و فسادا فى الأرض، يستحلون الحرير و الفجور و الخمور، و يرزقون على ذلك و ينصرون حتى يلقوا الله عزوجل» (رواه أبوداود الطيالسى، و ابن‌كثير و قال اسناده جيد).

و أما دوافع معاوية للصلح فكثير، منها (اولا) أنه كان يرى أن الامام الحسن، عليه‌السلام، انما هو صاحب الحق فى الأمر، و لا سبيل الى اقتناص هذا الأمر الا عن طريق اسكات الحسن بالصلح، و هناك الكثير من الأدلة على اعتقاده فى أحقية الحسن بخلافة المسلمين، من ذلك قوله مراسلاتهم «انك أولى بهذا الأمر، و أحق به»، و قوله مرة لابنه يزيد من أهل البيت «يا بنى ان الحق حقهم» كما كان يعترف للحسن بأنه «سيد المسلمين»، و هل سيد المسلمين الا

[صفحه ۷۴]

امامهم، و منها (ثانيا) أن معاوية انما كان يتظاهر فى حروبه ضد الامام على بأنه انما يطالب بالقصاص من قتلة عثمان، غير أن هذه الحجة لا يمكن قبولها مع الحسن، الذى اشتهر بأنه قاوم الفتنة ما وسعته مقاومتها أيام عثمان، فلم يخض فيما خاض الناس فيه من حديثها، و لم يشارك من المعارضة حين عظم الشر، و كان على رأس الذين أسرعوا الى دار عثمان فقاموا دون الخليفة يريدون حمايته، بينما لم يفعل معاوية شيئا للدفاع عن عثمان، رغم أنه كان يملك كل وسائل الدفاع عنه، هذا فضلا عن أن كثيرين انما وصفوا الحسن بأنه كان عثمانيا، و أن حزنه لم يفارقه على عثمان بعد استشهاده، و منها (ثالثا) أن معاوية، على كثرة الوسائل الطيعة لأمره، كان شديد التوجس من نتائج حربه مع الحسن، و لم يكن كتوما حين وصف خصومه العراقين «فوالله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين الا لبس على عقلى»، و يوم قال «ما لهم غضبهم الله بشر ما قلوبهم الا كقلب رجل واحد» و من ثم فقد كان يرى الصلح وسيلته لعدم منازلتهم.

و منها (رابعا) أن معاوية كان يهاب موقع الامام الحسن من جده رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد قال فيه النبى صلى الله عليه و سلم ما قال، فهو ابن رسول الله و سبطه، و هو سيد المسلمين و أحد سيدا شباب أهل الجنة، هذا فضلا عن مكانة فريدة للحسن من الناس، و مقام روحى أعظم من العقيدة الاسلامية، و كفى الامامان الحسن و الحسين أن يعلن صلى الله عليه و سلم للناس كافة أن حبهما من حبه، و بغضهما من بغضه، أخرج الامام أحمد و ابن‌ماجه عن أبى‌هريرة بسنده أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من أحبهما فقد أحبنى، و من أبغضهما فقد أبغضنى»، و أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن أبى نم قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ان الحسن و الحسين هما ريحانتاى من الدنيا»، و منها (خامسا) أن معاوية كان قد حبس أهل الشام على التعرف على أحد من كبار الصحابة، خارج الشام، حتى لا يتعرفوا على فضائل أهل البيت، و قرابتهم القريبة من رسول الله صلى الله عليه و سلم، حتى روى المسعودى أن عبدالله بن على العباسى نزل الشام بعد مقتل مروان آخر حكام بنى‌أميه عام

[صفحه ۷۵]

۱۳۲ ه، و وجه الى السفاح بعض أرباب النعم و الرياسة من سائر أجناد الشام، فحلفوا لأبى العباس السفاح أنهم ما علموا لرسول الله صلى الله عليه و سلم قرابة و لا أهل بيت يرثونه غير بنى‌أمية حتى و ليتم الخلافة»، و رغم كل هذا التجهيل لأهل الشام فقد كان معاوية يخشى أن يقيض الله لمعسكر الشام من ينبههم الى حقيقة أمر الامام الحسن و قرابته لرسول الله صلى الله عليه و سلم فتستيقظ ضمائرهم

و ينقلبون عليه، و قد كان معاوية يتذكر دائما ما قاله له النعمان بن جبله فى صفين، فيما يروى المسعودى، «و الله لقد نصحتك على نفسى، و آثرت ملكك على دينى، و تركت لهواك الرشد و أنا أعرفه، وحدت عن الحق و أنا أبصره، و ما وفقت لرشد، و أنا أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم و أول مؤمن به و مهاجر معه، ولو أعطيناه ما أعطيناك، لكان أرأف بالرعية و أجزل من العطية، ولكن بذلنا لك الأمر، و لابد من اتمامه، كان غيا أو رشدا و حاشا أن يكون رشدا، و سنقاتل عن تين الغوطة و زيتونها، اذ حرمنا أثمار الجنة و أنهارها»، و هكذا خوفا من أن يتكرر ذلك، و يعرف غير النعمان ما لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم من حق و فضل، كان الصلح لمعاوية خيرا.

و منها (سادسا) كان يقصد من وراء الدعوة للصلح على ظاهرها التمهيد لغده القريب الذى ستكشف عنه نتائج الحروب بينه و بين الحسن، و كان أحد الوجهين المحتلين أن يدال للشام من الكوفة، و أن تقضى الحروب و ذيولها على الحسن و الحسين و على من معهما من أهل البيت و شيعتهما، و لا تدبير يومئذ للعذر من هذه البائقة الكبرى أروع من أن يلقى معاوية مسئوليتها الامام الحسن نفسه فيقول للناس «انى دعوت الحسن للصلح ولكنه أبى الا الحرب، و كنت أريد له الحياة، ولكنه أراد لى القتل، و أردت حقن الدماء ولكنه أراد هلال الناس بينى و بينه»، و لعل من سخرية القدر أن ما كان يخشاه معاوية، فعله ولده الفاجر يزيد فى مذبحة كربلاء التى راح ضحيتها جل آل البيت و على رأسهم الامام الحسين و ولده على الأكبر، و عبدالله و القاسم و أبوبكر من أبناء الامام الحسن، هذا الى جانب خمسة من أبناء الامام على، غير الامام الحسين.

[صفحه ۷۶]

شروط الصلح

اختلف الباحثون فى شروط الصلح التى ثم بمقتضاها تنازل الامام الحسن عن الأمر لمعاوية بن أبى‌سفيان، فلقد ذكر الشعرانى فى كشف الغمة، و ابن‌حجر فى الصواعق أن جماعة من المؤرخين ذكروا نص وثيقة الصلح التالية: هذا ما صالح عليه الحسن بن على بن أبى‌طالب، معاوية بن أبى‌سفيان، صالحة على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الصالحين، و ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، و على أن الناس آمنون حيث كانوا فى أرض الله فى شامهم و عراقهم و حجازهم و يمنهم،ء على أن أصحاب على و شيعته آمنون على أنفسهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم، و على معاوية بن أبى‌سفيان عهد الله و ميثاقه، و ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، و بما أعطى الله على نفسه، و على ألا يبغى للحسن بن على، و لأخيه الحسين بن على، و لا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم غائلة سرا و لا جهرا، و لا يخيف أحد منهم فى أفق من الآفاق، شهد عليه فلان ابن فلان...، و كفى بالله شهيدا».

على أن فريقا آخر من الباحثين، انما يفرق بين شروط الامام الحسن، و شروط معاوية، أما شروط الحسن فيرونها كالتالى: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاوية بن أبى‌سفيان، صالحه على أن يسلم اليه ولاية المسلمين، على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الصالحين، و على أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده عهدا، بل تكون الخلافة للحسن من بعده، أو أن يكون الأمر شورى بين المسلمين، و على أن الناس آمنون حيث كانوا فى أرض الله تعالى، فى شامهم و عراقهم و أموالهم و نسائهم و أولادهم حيث كانوا، فلا يتعرض لأحد منهم بسوء، و على أن لا ينبغى للحسن بن على، و لا لأخيه الحسين، و لا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم غائلة سرا و لا جهرا، و لا يخيف أحد منهم فى أفق من الآفاق، و على أن يوصل لكل ذى حق حقه، و على أن يوفر للحسن حقا قدره خمسون ألف ألف درهم فى كل سنة، و على

[صفحه ۷۷]

أن يقضى له جميع ديونه، و على أن لا يطالب أهل الحجاز و العراق بشىء مما كان أيام أبيه، و على أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة و هو خمسة الآف ألف درهم، و على أن يكون له خراج دار أبجرد بفارس أو كورين من كور البصرة، و على معاوية بذلك عهد الله ميثاقه، شهد عليها، عبدالله بن الحارث و عمرو بن سلمة و غيرهما، و كفى بالله شهيدا».

و أما شروط معاوية للامام الحسن فهى: لك (أى للحسن) الخلافة من بعدى، فأنت أولى الناس بها، و لك بذلك عهد الله و ميثاقه و ذمته و ذمة رسوله صلى الله عليه و سلم و أشهد ما أخذه الله على أحد فى خلقه من عهد و عقد، و لك (أى للحسن) ما فى بيت مال العراق من مال بالغا ما بلغ، تحمله الى حيث شئت، و لك خراج أى كور العراق شئت، معونة على نفقتك، يجبيها أمينك، و يحملها اليك فى كل سنة، و على أن لا يستولى عليك بالاساءة، و لا أبغيك غائلة و لا مكروها و لك ألا تقضى الأمور دونك، و أن يتبع أحدا بما مضى بالسب أو القذف، و أن لا تعصى فى أمر أردت فيه طاعة الله و أن لا يذكر على الا بخير، و أن تكون الولاية للحسين، و ان حدث بنا حدث، و لك (أى للحسن) خراج دار الحرب من أرض فارس، و خراج أبجرد أيضا، و لك فى كل سنة خمسون ألف ألف درهم».

و انطلاقا من كل هذا، فيمكن اجمال شروط الصلح فى النقاط التالية:

۱ – تسليم الأمر لمعاوية على أن يعمل بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الصالحين.

۲ – ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر لأحد من بعده و انما الأمر من بعده للحسن، فان حدث به حدث فالأمر للحسن، و فى رواية ابن أبى‌خيثمة أن الحسن سار فى أهل العراق، و سار معاوية فى أهل الشام، فلما التقوا كره الحسن القتال، و بايع معاوية على أن يجعل العهد لأخيه الحسين من بعده، و روى ابن‌حجر فى الاصابة عن ابن‌شوذب قال: «لما قتل على سار الحسن فى أهل العراق، و معاوية فى أهل الشام، فالتقوا فكره الحسن القتال، و بايع معاوية على أن يجعل العهد له من بعده»، و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب، أنه لا خلاف بين العلماء أن الحسن انما

[صفحه ۷۸]

سلم الخلافة لمعاوية فى حياته لا غير، ثم تكون له من بعده، و على ذلك انعقد بينهما ما انعقد من ذلك، و رأى الحسن ذلك خيرا من اراقة الدماء فى طلبها، و ان كان نفسه أحق بها»، و قد تعهد معاوية فى شروطه التى شرطها على نفسه بأن الخلافة من بعده للحسن، فهو أولى الناس بها، و للحسن بذلك عهد الله و ميثاقه و ذمته و ذمة رسوله صلى الله عليه و سلم و أشد ما أخذه الله على أحد من خلقه فى عهد و عقد.

۳ – الأمن العام للناس جميعا، حيث كانوا فى أرض الله.

۴ – أن يترك معاوية سب أميرالمؤمنين الامام على و أن لا يذكره الا بخير.

۵ – الأمن العام لشيعة أميرالمؤمنين على، و أنهم آمنون على أنفسهم و اموالهم و نسائهم و أولادهم حيث كانوا، فلا يتعرض معاوية لأحد منهم بسوء.

۶ – أن يوصل معاوية لكل ذى حق حقه.

۷ – أن يفرق الحسن فى أولاد من قتل مع أبيه فى يوم الجمل و صفين ألف ألف درهم من خراج دار أبجرد، و أن يعطى معاوية

للامام الحسن ما فى بيت مال الكوفة، و يقضى عنه ديونه، و أن يدفع اليه فى كل عام خمسين ألف ألف درهم، و أن يكون له خراج دار أبجرد بفارس أو كورين من كور البصرة.

غير أن هذه الشروط لم تنفذ، أو لم يف معاوية بمعظمها، روى أبوالفرج، و هو أموى، فى «مقاتل الطالبيين» عن عمرو بن ثابت عن أبى‌اسحاق قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا ان كل شىء أعطيته الحسن بن على، تحت قدمى هاتين، لا أفى به، قال أبواسحاق: «و كان و الله غدارا» و على أى حال، فان معاوية لم يف بشروطه، من غير شرط المال، فأما شرط خلافة الحسن له (ثم الحسين ان مات الحسن فى حياة معاوية، على رأى بعض الروايات) فلم يف به معاوية فيما بعد، حيث أوصى بعد ذلك بالخلافة لابنه يزيد، على الرغم مما اشتهر عنه من أمور لا تتفق و شأن خلافة المسلمين و امامتهم، وقد أحاطت الشبهات حول اشتراكه فى سم الامام الحسن، الأمر الذى سنناقشه فى مكانه من هذه الدراسة، و أما شرط الأمان لأنصار الامام على فى أنفسهم و أموالهم و نسائهم و أنبائهم، فلم يف به كذلك، فلقد أساء كثيرا الى أنصار الامام على و مريديه فأخاف البعض

[صفحه ۷۹]

و سجنهم، وروع الآخرين و شردهم، بل و تمادى فى التشفى فقتل بعضهم، و لأول مرة فى الاسلام، صبرا، و الأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، نذكر منها، على سبيل المثال، محمد بن أبى‌حذيفة و عبدالله بن هاشم المرقال، و عبدالله بن خليفة الطائى، و صعصعة بن صوحان، و عدى بن حاتم الطائى، ثم الصحابى الجليل حجر بن عدى و أصحابه، و أما سب الامام على على منابر المسلمين، فتلك بدعة سيئة بدأها معاوية، و استمرت طول عهد بنى‌أمية، ما عدا عهد عمر بن عبدالعزيز، روى ابن الأثير أن الامام الحسن طلب من معاوية أن لا يشتم عليا، فلم يجبه الى الكف عن شتم على، فطلب أن لا يشتم و هو يسمع، فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضا، و أما خراج دار أبجرد، فان أهل البصرة منعوه منه (أى الحسن) و قالوا: و هو فيئنا لا نعطيه لأحد، و كان منهم بأمر معاوية أيضا».

مكان الصلح و زمانه

اختلف المؤرخون فى مكان الصلح، و زمانه، الا أن أرجح الآراء أنه تم فى «مسكن» بناحية الأنبار، أو فى المدائن، و ان رآه البعض فى القدس أو فى أذرح، و أما متى تم الصلح، فقد ذهبت آراء الى أن ذلك انما كان عام ۴۰ ه، غير أن أرجح الأراء أنه كان فى ربيع الأول عام ۴۱ ه، و ربما فى جمادى الأول عام ۴۱ ه، روى ابن عبدالبر فى «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» أن الحسن مكث نحوا من ثمانية أشهر، لا يسلم الأمر الى معاوية، و حج بالناس فى تلك السنة، سنة أربعين للهجرة، المغيرة بن شعبة، من غير أن يؤمره أحد، و كان بالطائف، و سلم الأمر الحسن الى معاوية فى النصف من جمادى الأولى من سنة احدى و أربعين للهجرة (۶۶۱ م) فبايع الناس معاوية حينئذ، و معاوية يومئذ ابن ست و ستين الا شهرين، و هذا أصح ما روى عن عام الجماعة، و عليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السير و العلم بالخير، و كل من قال ان الجماعة كانت سنة أربعين فقد و هم و لم يقل بعلم، و الله أعلم، و لم يختلفوا أن المغيرة حج عام أربعين، على ما ذكر أبومعشر، و لو كان لاجماع على معاوية قبل ذلك لم يكن كذلك، و الله أعلم.

و يذهب ابن‌الأثير و الطبرى الى أن المغيرة بن شعبه حج بالناس عام ۴۰ ه،

[صفحه ۸۰]

يعنى من العام الذى قتل فيه على، عليه‌السلام، فقد كتب المغيرة بن شعبة كتابا افتعله على لسان معاوية، فأقام الناس الحج سنة أربعين،

و يقال انه عرف يوم التروية، و نحر يوم عرفة، خوفا أن يفطن بمكانه، و قد قيل انه انما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عتبة بن أبى‌سفيان مصبحه واليا على الموسم، فعجل الحج من أجل ذلك.

دخول معاوية الكوفة

اتفق الامام الحسن عليه‌السلام، و معاوية بن أبى‌سفيان، على أن يعلنا الصلح رسميا فى الكوفة، روى الطبرى أن الحسن بن على، عليه‌السلام، سلم الى معاوية الكوفة فدخلها معاوية لخمس بقين من ربيع الأول، و يقال فى جمادى الأولى سنة احدى و أربعين للهجرة، و هناك فى النخيلة، على مشارف الكوفة، خطب معاوية، فقال، فيما يروى الشعبى، «ما اختلفت أمة بعد نبيها، الا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، ثم انه انتبه فندم، فقال: «الا هذه الأمة فانها، و انها»، و روى عن عمرو بن ثابت عن أبى‌اسحاق، قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا- ان كل شىء أعطيته الحسن بن على، تحت قدمى لا- أفى به، قال أبواسحاق: و كان و الله غدارا» و روى الطبرى و أبوالفرج بسنده عن سعيد بن سويدان أنه قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة فى الصحن، ثم خطبنا فقال «انى و الله ما قاتلتكم لتصلوا، و لا لتصوموا لا لتحجوا، و لا لتزكوا، انكم لتفعلون ذلك، و انما قاتلتكم لأتأمر عليكم، و قد أعطانى الله ذلك، و أنتم كارهون، قال شريك فى حديثه هذا هو التهتك»، و روى بسنده عن حبيب بن أبى‌ثابت قال: لما بويع معاوية خطب، فذكر عليا، فنال منه، و نال من الحسن، فقام الحسين ليرد عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم طلب معاوية من الحسن أن يعتلى منصة الخطابة ليبين للناس تنازله عن الأمر، فقام الامام الحسن فحمد الله و أثنى عليه بما هو أهل له، ثم صلى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال:

«أما بعد، فوالله انى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله و منه، و أنا

[صفحه ۸۱]

أنصح خلق الله لخلقه، و ما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة و لا مريدا له سوءا و لا غائلة، ألا و ان ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة، ألا- و انى ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم، فلا- تخالفوا أمرى و لا- تردوا على رأى، غفر الله لى ولكم، و أرشدنى و اياكم لما فيه المحبة و الرضا، ثم قال: قد علمتم أن الله هداكم بجدى محمد صلى الله عليه و سلم، فأنقذكم به من الضلالة، و رفعكم به من الجهالة، و أعزكم به بعد المذلة، و كثركم به بعد القلة، ان معاوية نازعنى حقا هو لى دونه، فنظرت لصلاح الأمة، و قطع الفتنة، و قد كنتم بايعتمونى على أن تسالمون من سالمت، و تحاربون من حاربت، فرأيت أن أسالم معاوية و أضع الحرب بينى و بينه، وقد بايعته، و قد رأيت أن أحقن الدماء خير من سفكها، و لم أرد بذلك الا صلاحكم و تقاءكم «و أن أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى حين»، ان معاوية زعم لكم أنى رأيته للخلافة أهلا، و لم أر نفسى لها أهلا، و نحن أولى الناس فى كتاب الله عزوجل، و على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم، و لم نزل أهل البيت، مظلومين منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه و سلم فالله بيننا و بين من ظلمنا، ثم قال «فوالذى بعث محمدا صلى الله عليه و سلم بالحق، لا ينقص من حقنا أهل البيت أحد، الا نقصه الله فى عمله، و لا تكون علينا دولة الا و تكون لنا العافية، و لتعلمن نبأه بعد حين».

ثم التفت الامام الحسن الى معاوية، فرد عليه سبه لأبيه، فقال له: أيها الذاكر عليا، أنا الحسن و أبى على، و أنت معاوية و أبوك صخر، و أمى فاطمة و أمك هند، و جدى رسول الله صلى الله عليه و سلم و جدك عتبة بن ربيعة، و جدتى خديجة، و جدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا، و ألأمنا حسبا، و شرنا قديما و حديثا، و أقدمنا كفرا و نفاقا»، فقال، طوائف من أهل المسجد: آمين، قال فضل: فقال يحيى بن معين، و نحن نقول آمين، قال أبوعبيد: و نحن نقول آمين، قال أبوالفرج: و أنا أقول آمين، و كاتب هذه السطور يقول: آمين

آمين آمين.

و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب بسنده عن ابن‌شهاب قال: لما دخل معاوية الكوفة حين سلم الأمر اليه الحسن بن على، كلم عمرو بن العاص،

[صفحه ۸۲]

معاويـة، أن يأمر الحسن بن على، فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية و قال: لا حاجة بنا الى ذلك، فقال عمرو ولكنى أريد ذلك ليبدو عيه، فـانه لاـ يـدرى هـذه الأـمور مـا هى، و لم يزل بمعاويـة حتى طلب من الحسن أن يخطب، و قال له: قم يا حسن، فكلم الناس فيما جرى بيننا، فقام الحسن فتشـهد، و حمـد الله و أثنى عليه ثم قال فى بـديهته: أما بعد، أيها الناس، فان الله هداكم بأولنا، و حقن دماءكم بآخرنا، و ان لهـذا الأمر مـدة، و الـدنيا دول، و ان الله عزوجل يقول (و ان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون، انه يعلم الجهر من القول و يعلم ما تكتمون، و ان أدرى لعله فتنـة لكم و متاع الى حين)، فلما قالها له معاوية: اجلس، فجلس، ثم قام معاوية فخطب الناس، ثم قال لعمرو: هـذا من رأيك (يعنى ما قاله الامام الحسن)، هذا و روى ابن عبدالبر كذلك عن الشـعبى قال: لما جرى الصـلح بين الحسن بن على و معاويـة، قال له معاوية: قم فاخطب الناس و اذكر ما كنت فيه، فقام الحسن فخطب فقال: الحمدلله الذى هدى بنا أولكم، و حقن بنا دماء آخركم، ألا ان أكيس الكيس التقى، و أعجز العجز الفجور، و ان هـذا الأمر الـذى اختلفت فيه أنا و معاوية، اما أن يكون كان أحق به منى، و اما أن يكون حقى فتركته لله، و لاصلاح أمة محمد صلى الله عليه و سلم و حقن دمائهم، ثم التفت الى معاوية فقال: (و ان أدرى لعله فتنـة لكم و متـاع الى حين) ثم نزل، فقـال عمرو لمعاويـة: «ما أدرت الا هـذا»، و روى أبوالفرج بسـنده عن اسـماعيل بن عبـدالرحمن: أن معاويـة أمر الحسن أن يخطب، و ظن أنه سيحضـر، فقال فى خطبته «انما الخليفـة من سار بكتاب و سـنة نبيه صـلى الله عليه و سـلم، و ليس الخليفـة من سار بالجوار، ذلك ملك ملك ملكا، يمتع به قليلا، ثم تنقطع لذته و تبقى تبعته (و ان أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى حين).

و أخرج ابن‌عساكر و اليعقوبى بسـنده قال: خطب الحسن رضـى الله عنه حينما قال له معاوية بعد الصـلح، اذكر فضـلنا، فقام فحمدالله و أثنى عليه، و صـلى على محمـد النبى و آله، ثم قـال: من عرفنى فقـد عرفنى، و من لم يعرفنى، فأنا الحسن بن رسول الله، أنا ابن البشـير النذير، أنا ابن المصطفى

[صفحه ۸۳]

بالرسالة، أنا ابن من صـلت عليه الملائكة، أنا ابن من شـرفت به الأمة، أنا ابن من كان جبريل السفير من الله اليه، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، صـلى الله عليه و آله أجمعين»، فلم يقدر معاوية أن يكتم عداوته و حسده فقال: يا حسن عليك بالرطب فانعته لنا، قال نعم يا معاويـة: الريـح تلفحه و الشـمس تنفخه، و الحر ينضـجه و الليل يبرده، ثم أقبل على منطقه فقال: أنا ابن المسـتجاب الدعوة، أنا ابن من كان من ربه كقاب قوسـين أو أدنى، أنا ابن مكة و منى، أنا ابن من خضـعت له قريش رغما، أنا ابن من سـعد تابعه و شـقى خاذله، أنا ابن من جعلت الأـرض له طهورا و مسـجدا، أنـا ابن من كـانت أخبـار السـماء اليه تترى، أنـا ابن من أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، فقال معاويـة أظن نفسك يا حسن تنازعت الى الخلافة، فقال الامام الحسن: ويلك يا معاوية انما الخليفة من سار بسـيرة رسول الله صـلى الله عليه و سـلم و علم بطاعة الله، و لعمرى انا لأعلام الهدى، و منار التقى، ولكنك يا معاوية ممن أبار السنين و أحياء البدع، و اتخـذ عبـاد الله خولا، و دين الله لعبا، فكان قـد أخمل ما أنت فيه، فعشت يسـرا، و بقيت عليك تبعاته، يا معاويـة، و الله لقـد خلق الله

مدينتين، احداهما بالمشرق، و الأخرى بالمغرب، أسماهما جابلقا و جابلسا، ما بعث الله اليها أحد غير جدى صلى الله عليه و سلم».

و دخل معاويـة الكوفـة بعـد فراغه من خطبته بالنخيلـة، و بين يـديه خالـد بن عرفطة، و معه رجل يقال له: حبيب بن عمار، يحمل رايته حتى دخل الكوفـة، فصار الى المسـجد، فـدخل من باب الفيل، فاجتمع الناس اليه، و هنا تـذكر الناس نبوءة الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، فلقد روى أبوالفرج و ابن أبى الحديد، عن عطاء بن السائب عن أبيه، قال: بينما على، عليه‌السـلام، على المنبر، اذ دخل رجل قال يا أميرالمؤمنين: مات خالد بن عرفطة، فقال الامام: لا والله ما مات، اذ دخل رجل آخر، فقال يا أميرالمؤمنين مات خالد بن عرفطة، فقال الامام لا و الله ما مات و لا يموت حتى يـدخل من باب هـذا المسـجد (يعنى باب الفيل) برايـة ضـلالة، يحملها له حبيب بن عمار، قـال فوثب رجـل، فقـال يـا أميرالمؤمنين: ان حبيب بن عمار، و أنا لك شـيعة، قال الامام: فانه كما أقول، فقـدم خالـد بن عرطفـة على مقدمة معاوية، يحمل رايته حبيب بن عمار».

[صفحه ۸۴]

موقف آل البيت و انصار الامام من الصلح

اختلف المؤرخون فى موقف الامام الحسين من صـلح أخيه الامام الحسن مع معاوية، فذهب فريق الى أن الامام الحسـين قد أنكر هذا الصـلح، و ذهب فريق الى أنه قبله، كما قبله أخوه، يروى ابن‌حجر فى الاصابـة عن ابن‌سـعد بسـنده الى عمرو بن دينار، ان معاوية كان يعلم أن الحسن كان أكره الناس للفتنة، لما توفى على رضى الله عنه بعث اليه فأصلح الذى بينه و بينه سرا، و أعطان عهدا، ان حدث به حـدث و الحسن حى، ليسـمينه و ليجعلن هـذا الأمر اليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابن‌جعفر: «والله انى لجالس عنـده اذ أخذت لأقوم، فجـذب ثوبى و قال: يا هناه اجلس، فجلست، و قال انى قـد رأيت رأيا و انى أحب أن تتابعنى عليه، قلت ما هو، قال قد رأيت أن أعهد الى المدينـة فأنزل لها، و أخلى بين معاويـة و هـذا الحـديث، فقـد طالت الفتنـة و سـفكت فيها الـدماء، و قطعت فيها الأرحام، و قطعت السبل، و عطلت الفروج، فقال ابن‌جعفر: جزاك الله عن أمة محمد خيرا، و أنا معك، فبعث الى الحسين فأتاه فقال: أى أخى انى رأيت رأيا، و أحب أن تتابعنى عليه، فقال ما هو، فقص عليه الـذى قال لابن‌جعفر. فقال له الحسـين، رضـى الله عنه، أعيـذك بالله أن تكـذب عليا فى قبره، و تصـدق معاويـة، فقال الحسن: و الله ما أردت أمرا قط، الا قـد خالفتنى الى غيره، و الله لقـد هممت أن أقذفك فى بيت فأطينه عليك حتى أقضـى أمرى، فلم يزل به حتى رضـى، و فى احدى الروايات: فلما رأى الحسـين غضـبه قال: أنت أكبر ولد على، و أنت خليفتى، و أمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك».

على أن هناك فريقا آخر انما يذهب الى أن موقف سيدالشـهداء الامام الحسـين، عليه‌السـلام، من قضـية الصـلح، كموقف أخيه الامام الحسن، عليه‌السـلام، فكان يرى ضـرورة المهادنـة و لزوم المسألة، و أنه ليس من الحكمة و لا من الصالح فتح باب الحرب مع معاوية، فان يعود بالمضاعفات السيئة على الاسلام، و يجر الويلات و الخطوب للمسلمين، و ذلك لتضلل الجيش الذى نزح معهم، و يدلل هذا الفريق على موافقة الامام الحسين على الصلح أنه حين أبرم الصلح أقبلت الى

[صفحه ۸۵]

الامـام الحسـين طائفـة من الزعمـاء و الوجوه يطلبون منه أن ينقض ما أبرمه أخوه و يناجز معاويـة فأبى و امتنع، و لو كان معارضا لرأى أخيه لأجابهم الى ذلـك و ربمـا لأـن الحسـين مـا كان يرضـى أن يسود الناس و الحسن حى، و من ثم فقـد رأيناه حين اشترط الامام

الحسن أن تنص بيعته على أن يحاربوا من حارب، و يسالموا من سالم، فأتى المخالفون الامام الحسين و قالوا له: أبسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك يوم بايعناه، و على حرب الحالين الضالين أهل الشام، فقال الحسين: معاذ الله أن أبايعكم ما دام الحسن حيا»، و من ثم فاننا نقول، مع الأستاذ أبوعلم، أنه مما لا شك فيه أن الصلح قد ترك فى نفس الامام الحسين أسى مريرا، و حزنا مرهقا، كما ترك فى نفس الحسن أيضا لوعة و حزنا، ولكنهما سلام الله عليهما، ماذا يصنعان و الظروف لم تكن مواتية لهما حتى يقوما بمناجزة معاوية.

و أما أنصار آل البيت و مريدهم، فلا ريب أن كثيرا منهم انما كان يعارض الصلح، و لم يبايع لمعاوية الا مضطرا، و من هؤلاء قيس بن سعد و كما يقول أبوالفرج: فلما أرادوا أن يدخلوه اليه قال: «انى قد خلفت أن لا ألقاه الا بينى و بينه الرمح و السيف، فأمر معاوية برمح أو سيف، فوضع بينه و بينه ليبر يمينه»، و مع ذلك لم يبايع حتى أحله الحسن من بيعته، روى أبومخنف أن قيسا أقبل على الحسن، فقال: أنا فى حل من بيعتك، قال نعم، فألقى لقيس كرسى و جلس معاوية على سريره، فقال له معاوية: أتبايع يا قيس، قال نعم فوضع يده على فخذه و لم يمدها الى معاوية، فجثا معاوية على سريره، و أكب على قيس حتى مسح يده على يده، فما رفع اليه قيس يده.»

على أن فريقا من أنصار أهل البيت و مريديهم لم يستطيعوا أن يكبحوا جماح أنفسهم، و أن يلتزموا جانب الأدب مع الامام الحسن، حتى أنه لقى منهم عنتا شديدا، و حتى أنه كان اذا مر بجماعه من أشد أصحابه حماسة فى نصرته و نصرة أبيه الامام على من قبله يتلقونه قائلين «يا عار المؤمنين»، فكان يجيبهم فى هدوء و وقار، و يقول «العار خى من النار»، ذلك لأن الصلح، فيما يقول الدكتور طه حسين، قد أسخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له و لأبيه فى بغض معاوية

[صفحه ۸۶]

و أهل الشام، ورأوا فى الصلح نوعا من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام الامام على من جهد، و لم يلائم كذلك أيديهم من قوة، فمنهم من كان يقول للحسن يا مذل المؤمنين أو يا مذل العرب، ولكن الامام الحسن لم يحفل بشىء من ذلك، و انما رضى عن خطته كل الرضا، رأى فيها حقنا للدماء، و وضعا لأوزار الحرب، و جمعا لكلمة الأمة، و تمكينا للمسلمين من أن يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين و متفقين لا- متفرقين، و من أن يفرغ أهل الثغور لثغورهم، يردون عنها طمع العدو فيها و فيما وراءها، و من أن يفرغ الجند للفتح يستأنفونه من حيث وقفته الفتنة.

و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب بسنده عن أبى الغريف أحد أنصار الحسن أنه قال: كنا فى مقدمة الحسن بن على اثنى عشر ألفا بمسكن مستميتين تقطر أسيافنا من الجرد و الحرص على قتال أهل الشام و علينا «أبوالعمير طه»، فلما جاءنا صلح الحسن بن على كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ و الحزن، فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أباعامر شعبان بن أبى‌ليلى، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: «لا تقل يا أباعامر فانى لم أذل المؤمنين، ولكنى كرهت أن أقتلهم فى طلب الملك»، بل ان «حجر بن عدى» و الذى دفع حياته فيما بعد فداء لحبه للامام على و آل البيت الطاهرين، قد أقبل على الحسن، و قد مشت الرعدة بأوصاله و استولى عليه الحزن، فقال: «أما والله لوددت أنك مت فى ذلك اليوم و متنا معك و لم نر هذا اليوم، فانا رجعنا راغمين بما كرهنا، و رجعوا مسرورين بما أحبوا»، و يعلق الأستاذ باقر القرشى فى كتابه «الامام الحسن» على هذا القول «لا- أدرى كيف فاه حجر بهذا الكلام القاسى، و هو أعلم بمركز الامام من غيره، و أدرى بالظروف العصيبة و المصاعب الشديدة التى أحاطت بالامام حتى اضطرته الى الصلح، ولكن عذره أن لوعة المصاب و ذهول النفس، قد تخرج الانسان عن موازين الاعتدال و الاستقامة.

و لعل من أكثر الأمور اثارة أن نسمع كلمة «مذل المؤمنين» من رجل جليل من أصحاب الامام الحسن، و نعنى به «سليمان بن صرد»، كما سنشير فيما بعد، و هناك المسيب بن نجبة، و هو من خيار الصالحين الذين عرفوا بحب آل

[صفحه ۸۷]

البيت، فلقد تأثر بالصلح، و أقبل على الامام الحسن، محزون النفس، مكلوم القلب، فقال: «ما ينقضى تعجبى منك، بايعت معاوية و معك أربعون ألفا، و و لم تأخذ لنفسك وثيقة و عهدا ظاهرا أعطاك أمرا فيما بينك و بينه، ثم قال ما قد سمعت (يعنى انكار معاوية لعهوده مع الحسن) و الله ما أراد غيرك، فقال الحسن: ما ترى، قال: أرى أن ترجع الى ما كنت عليه،فقد كان نقض ما بينك و بينه، فقال الامام الحسن: «يا مسيب انى لو أردت بما فعلت الدنيا، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، و لا أثبت عند الحرب منى، ولكنى أردت صلاحكم و كف بعضكم عن بعض»، و هناك الصحابى الجليل «عدى بن حاتم الطائى» الذى ذابت حشاه من الحزن و انكار الصلح، فقال للامام الحسن: «يا ابن رسول الله، لوددت أنى مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل الى الجور، فتركنا الحق الذى كنا فيه، و دخلنا فى الباطل الذى كنا نهرب منه، و أعطينا الدنية من أنفسنا و قلبنا الخسيس التى لم تلق بنا»، فقال له الامام الحسن: يا عدى انى رأيت هوى معظم الناس فى الصلح، و كرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب الى يوم ما، فان الله قال: (كل يوم هو فى شأن).

و هكذا استمرت هذه الثورة المكبوتة فى نفوس الناس ضد هذا الصلح، روى الترمذى و أبوداود الطيالسى عن يوسف بن سعد بسنده أنه قال، قال رجل للحسن، بعدما بايع معاوية «سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين، فقال الحسن: لا تؤنبنى رحمك الله، فان النبى صلى الله عليه و سلم أرى بنى‌أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: (انا أعطيناك الكوثر) يا محمد، يعنى نهرا فى الجنة، و نزلت: (انا أنزلناه فى ليلة القدر، و ما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنوأمية يا محمد، قال الفضل: «فعددنا فاذا هى ألف شهر لا تزيد يوما و لا تنقص».

و يروى ابن‌كثير أن الحسن قد ترحل و معه أخوه الحسين و بقية اخوتهم و ابن عمهم عبدالله بن جعفر، من أرض العراق الى أرض المدينة المنورة،

[صفحه ۸۸]

على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، و جعل كلما مر بحى من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية، و هو فى ذلك، هو البار الراشد الممدوح، و ليس يجد فى صدره حرجا و لا تلوما و لا ندما، بل هو راض بذلك مستبشر به، و ان كان هذا قد ساء خلقا من ذويه و أهله و شيعتهم، و لاسيما بعد ذلك بمدد، و هلم جرا الى يومنا هذا، و الحق فى ذلك اتباع السنة و مدحه فيما حقن به دماء الأمة، كما مدحه على ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم، كما تقدم فى الحديث الصحيح، الذى أخرجه البخارى عن أبى‌بكرة قال: أخرج النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر فقال: «ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

و انتهى الامام الحسن الى المدينة، فلقى من أهلها اثر وصوله اليها من لامه فى الصلح، كما لامه فيه أهل الكوفة فكان يقول للائميه: «كرهت أن ألقى الله عزوجل، فاذا سبعون ألفا أو أكثر تشخب أوداجهم دما، يقول كل منهم: يا رب فيم قتلت».

و تمضى الأيام، و يسير ولاة معاوية فى العراق بما لا يرضى أهل العراق، و يبدأ أهل الكوفة يذكرون حياتهم على أيام الامام على، فيحزنون عليها، و يندمون على ما كان من تفريطهم فى جنب خليفتهم، و يندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم و بين أهل الشام، و جعلوا كلما لقى بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان، و أجالوا الرأى فيما يمكن أن يكون، و لم تكد تمضى أعوام قليلة حتى

جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الحسن و القول له و الاستماع منه، و جاء يوم وفد على رأسه «سليمان بن صرد»، و هو من صفوة أصحاب الامام، و يقال انه لم يكن حاضرا فى المدائن حين جرى الصلح، و عاتب الامام على الصلح، مع أن معه أربعين ألف مقاتل، ثم جاءت وفود أخرى، و كلها تطالب الحسن بأن يعيد الحرب جذعة، و كان رد الحسن، فيما يروى البلاذرى «أنتم شيعتنا و أهل مودتنا، فلو كنت بالحزم فى أمر الدنيا أعمل، و لسلطانها أعمل و أنصب، ما كان معاوية بأبأس منى بأسا، ولا أشد شكيمة و لا أمضى عزيمة، ولكنى أرى غير ما

[صفحه ۸۹]

رأيتم، و ما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله و سلموا و ألزموا بيوتكم و أمسكوا و كفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر».

عام الجماعة

يجمع المؤرخون، أو يكادون، على أن الامام الحسن انما سلم الأمر لمعاوية فى الخامس و العشرين من شهر ربيع الأول عام ۴۱ ه (۶۶۱ م)، على أن يكون الأمر من بعده للحسن على رأى، و هو الأرجح، أو أن يكون الأمر شورى بين المسلمين يولون عليهم من أحبوا، على رأى ثان، و أيا ما كان الأمر، فلقد أصبح معاوية منذ ذلك اليوم صاحب السلطان المطلق فى جميع الولايات الاسلامية، و من ثم فقد سمى هذا العام (۴۱ ه) «عام الجماعة»، غير أن هناك من يرى غير ذلك تماما فى هذا العام، فالأستاذ العقاد يقول: فليس أضل ضلالا، و لا أجهل جهلا من المؤرخين الذين سموا سنة «احدى و أربعين هجرية» بعام الجماعة، لأنها السنة التى استأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها، لأن صدر الاسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة، كما تفرقت فى تلك السنة، و وقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها، كما وقع فيها.

و الجاحظ يقول: «فعندها استولى معاوية على الملك، و استبد على بقية الشورى، و على جماعة المسلمين من المهاجرين و الأنصار فى العام الذى سموه «عام الجماعة»، و ما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة و قهر، و جبرية و غلبة، و العام الذى تحولت فيه الامامة ملكا كسرويا، و الخلافة منصبا قيصريا»، و يقول ابن كثير «قد تقدم الحديث أن الخلافة بعده عليه الصلاة و السلام ثلاثون سنة، ثم تكون ملكا، و قد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن على، فأيام معاوية أول الملك، فهو أول ملوك الاسلام».

هذا و يذهب فريق من الباحثين و منهم نيكلسون، كما يقول الدكتور حسن ابراهيم فى تاريخ الاسلام السياسى، الى أن كثيرا من المسلمين اعتبروا هذا العام الذى انتصر فيه بنوأمية، برياسة معاوية، انما هو انتصار للأرستقراطية

[صفحه ۹۰]

الوثنية التى ناصبت الرسول صلى الله عليه و سلم و أصحابه العداء، و التى جاهدها رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى قضى عليها، و صبر معه المسلمون على جهادها و مقاومتها حتى نصرهم الله، فقضوا عليها و أقاموا على أنقاضها دعائم الاسلام، ذلك الدين السمح الذى جعل الناس سواسية فى السراء و الضراء، و أزال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء، و يستذلون المستضعفين، و يبتزون الأموال، و من ثم فلا عجب، اذا كره المسلمون بنى أمية و غطرستهم و كبرياءهم، و اثارتهم الأحقاد القديمة، و نزوعهم للروح الجاهلية، و لاسيما و أن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الاسلام الا سعيا وراء مصالحهم الشخصية، كما كان

معاويـة يرمى الى جعل الخلافـة ملكا كسـرويا، و ليس أدل على ذلك من قوله هو نفسه «أنا أول الملوك»، و كان سـعيد بن المسـيب يقول: فعل الله بمعاوية و فعل، فانه أول من أعاد هذا الامر ملكا.

و لعل أهم ما كان يميز سـياسة معاوية فى ولايته و ملكه هى سـياسة «فرق تسد»، كما يقولون فى عصـرنا الحاضـر، فقد كان معاوية، لو اسـتطاع، أن يجعل كل رجل فى دولته حزبا منابذا لغيره من رجال الدولة كافة، لفعل، و لو حاسـبه التاريخ حسابه الصـحيح لما وصـفه بغير «مفرق الجماعات»، و من عجب أن نجـد بين المؤرخين من يسـمى عامه حين انفرد بالدولـة «عام الجماعـة»، مع أنه قـد فرق الأمة شيعـا شـيعا، فلاـ تعرف كيف تتفق، اذا حاولت الاتفاق، و كانت خطته فى التفرقـة عامـة، لا يفرق فيها بين الخصوم و الأعوان، و كأنها غرض مقصود لذاته، أو كأنها خير مطلق لا شر فيه، حتى حاول ذلك فى البيت الأموى نفسه، من غير السفيانيين.

فلم يكن معاوية ليهدأ أو يستريح حتى يوقع بين آل عمومته الأقربين من بنىالعاص، و طبقا لرواية الطبرى، فكان يأمر سـعيد بن العاص بهدم بيت مروان، ثم يأمر مروان بهدم بيت سـعيد، و قد هم مروان أن يفعل، لولا أن كشف سـعيد خدعة معاوية، كما كان يغرى أبناء عثمان رضى الله عنه بالمروانيين، كما يغرى المروانيين بأبناء عثمان، و الأمر كذلك بالنسبة الى رجال دولته من غير

[صفحه ۹۱]

بنىأميـة، كمـا كـان يحـدث بين المغيرة بن شـعبة و عمرو بن العاص، فكان يسـمع لكل منهما فى الآخر، و يطيع كل منهما فى دسه و اغرائه ليعلم كل منهما بما صنعه من الكيد لصاحبه، فلا يتفقان عليه.

و هكـذا عمل على أن يضـرب الشـيعة بالخوارج، و يضـرب الخوارج بالشـيعة، فضـلا عن التفرقة بين العشائر العربية بمداولة التقريب و الاقصـاء لعشـيرة منهم بعـد عشـيرة، كما حاول أن يفرق المهاجرين و الأنصار، و سـمح للأخطل الشاعر النصـرانى، أن يهجو الأنصار و يمدح قريشا فقال:

ذهبت قريش بالمكارم كلها

و اللؤم تحت عمائم الأنصار

ثم عمد الى أهل مكة و الطائف، ففرق بينهما حين آثر الثقفيين بزلفاه، و سن لمن بعده سـنة هذا الايثار، حتى كانت الطائف على عهد معاويـة و خلفائه كالحرس على أهل مكة ممن بقى فيها من غير الأمويين و السـفيانيين، و فرق بين المضـرية و اليمنية، فكان يميل تارة الى هؤلاـء، و تـارة الى اولئك، و كان هو نفسه من المضـريين، ولكنه كان يبـدو فى بعض الأحيان، و كأنه من أبناء اليمن عـدو لأبناء مضـر، و فرق بين العرب و الموالى، و أوشـك أن ينكـل بالموالى، ليقصـيهم عن مناصب الدولـة، و عن الاقامـة فى عواصـمها، ثم اتبع خطـة التفرقـة هـذه حتى بين أهل الشام الذين تمهدت له ولايتهم، فاسـتخلص لنفسه فرقة منهم لا تخرج من الشام، ولا تلتقى بأحد من دعـاة العراق أو مصـر أو الحجـاز أو افريقيـة، ثم نقـل الى الشـام طوائف شـتى من غير أهلهـا، فنقـل اليهـا طوائف الزط و السـيابجة من البصرة، و نقل الى الأردن و صور طوائف من الفرس و الموالى، و نقل الى أنطاكية أساورة الموانىء بالعراق، و خلط العرب بالعجم، و هؤلاء بسـلالة الشاميين فى كل بقعـة من البلاد السورية، كما كانت تعرف قديما، و ان لم ينجح فى اسـتخلاص قبيلة «كلب» كلها، لأن منهم أنصار عثمان و بيت مروان، و من ثم فقد استخلص منهم أخوال يزيد فحسب، فأصبحت «كلب» بالتالى فريقين، الواحد يدعو الى خالد بن يزيد، و الآخر يدعو الى مروان [۲] .

[صفحه ۹۳]

اجتهادات معاوية و شروط الصلح

اشاره

لعل من الأفضل أن نشير هنا مرة أخرى الى شروط الصلح التى تمت بين الامام الحسن و معاوية، و هى تلزم كل منهما بأمور، تلزم الامام الحسن أن يسلم الأمر لمعاوية، و تلزم معاوية بأمور، منها أن يعلم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم و سيرة الخلفاء الراشدين، و منها أن لا يعهد معاوية بالأمر الى أحد من بعده، و انما الأمر من بعده للحسن، فان حدث به حدث فالأمر للحسين (أو أن يكون الأمر شورى بين المسلمين يولون عليهم من أحبوا)، و منها أن يترك سب أميرالمؤمنين على، و ألا يذكره الا بخير، و منها أن يعطى الامام الحسن خراج دار أبجرد، يفرقه فى أولاد من قتل مع أبيه فى يوم الجمل و صفين، و منها أن يعطيه ما فى بيت مال الكوفة و يقضى عنه ديونه، و يدفع اليه كل عام مائة ألف، و منها أن لا يبغى للحسن أو الحسين و لا لأهل البيت غائلة سرا و لا جهرا، و لا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق، و منها الأمن العام لشيعة الامام على و ألا يتعرض لهم بمكروه، الى غير ذلك من شروط.

و لنحاول الآن، جهد الطاقة، أن نناقش مدى التزام كل من الامام الحسن و معاوية بشروط الصلح:

أولا: الامام الحسن

كان الشرط الوحيد من شروط الصلح الذى كان لمعاوية على الحسن هو

[صفحه ۹۴]

أن يسلم اليه الأمر، و تجمع المصادر كلها على أن هذا الشرط هو الشرط الوحيد الذى حظى بالوفاء من شروط الصلح و لم يحدث من الامام الحسن، أو من أخيه الامام الحسين، و أو من آل بيته الطاهرين، أية محاولة لنقض هذا الشرط بل حتى مجرد التفكير فيه، و رغم أن معاوية أعلن التخلى عن شروطه فقال «ألا ان كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمى هاتين، لا أفى به»، و رغم أن أنصار الامام الحسن قد عرضوا عليه، بعد عودته للمدينة المنورة، أنفسهم و أتباعهم للجهاد بين يديه، و وعده الكوفيون منهم باخلاء الكوفة من عاملها الأموى، و ضمنوا له السلاح لاعادة الكرة على الشام، فلم تهزه العواصف و لا أقلقته حوافز الأنصار المتوثبين، و قال لهم «ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته، مادام معاوية حيا، فان يهلك، و نحن و أنتم أحياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، و المعونة على أمرنا، و ألا يكلنا الى أنفسنا، فان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون، بل ان بعض هؤلاء الأنصار، ذهب الى الامام الحسين، بعد أن فشل مع الامام الحسن، و قال له: يا أباعبدالله، شربتم الذل بالعز، و قبلتم القليل و تركتم الكثير، أطعنا اليوم و أعصنا الدهر، دع الحسن و ما رأى من هذا الصلح، و أجمع اليك شيعتك من أهل الكوفة و غيرها، و ولنى و صاحبى هذه المقدمة فلا يشعر ابن هند الا و نحن نقارعه بالسيوف»، فرد الامام الحسين عليه (نعنى عدى بن حاتم و صاحبه عبيدة بن عمر) قائلا «انا قد بايعنا و عاهدنا، و لا سبيل لنقض بيعتنا».

و هكذا ظل الامام الحسن، كما يقول الدكتور طه حسين، وفيا لمعاوية ببيعته، حفيظا على عهده، مستعينا به ان احتاج الى معونة، ولكنه على ذلك كان معارضا، و لم يكن يستخف بمعارضته، و انما كان يظهر منها ما يشاء فى المدينة حيث كان يقيم، وفى مكة حين كان يلم بها أثناء الموسم، و كانت الفرص تواتيه أحسن المواتاة و أيسرها، فهو كان عذب الروح حلو الحديث، كريم المعاشرة حسن الألفة

محببا الى الناس، يحبه أترابه من شباب قريش و الأنصار لهذه الخصال، و يحبه الشيوخ من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم لهذه الخصال،

[صفحه ۹۵]

و لمكانه من النبى صلى الله عليه و سلم، و يحبه عامة الناس لكل هذا، و لسخائه وجوده و اعطائه المال حين يسأل و حين لا يسأل، و كان يصبح فيصلى الصبح و يجلس فى مكانه، حتى اذا ارتفعت الشمس طاف بأمهات المؤمنين. زائرا لهن متحدثا اليهن، يبرهن و يبررنه، و يهدى اليهن و يهدين اليه، ثم يفرغ لبعض شأنه، فاذا صليت الظهر جلس للناس فى المسجد فأطال الجلوس يسمع منهم و يقول لهم، يعلم من احتاج منهم الى العلم، و يؤدب من احتاج منهم الى الأدب، و يسمع من شيوخ الصحابة من يفيده علما و أدبا، و كان فى أثناء هذا كله، اذا ذكر السلطان أو ذكر السلطان عنده، يعرف الخير و ينكر الشر فى أرق لفظ و أعذبه، ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة، ان ذكر أبوه بغير ما يحب، أو لقى من بعى أباه الغوائل أو سعى اليه بمكروه.

ثانيا: معاوية

لا ريب فى أن معاوية لم يف بشروط الصلح كلها، أو لم يف بكثير منها، و لنحاول أن نناقش ذلك بشىء من التفصيل، و خاصة فيما يتصل بترك الأمر من بعده للحسن أو أن يكون شورى بين المسلمين يولون عليهم من أحبوا، ثم ترك سب الامام على، و اعطاء الحسن خراج دار أبجرد، فضلا عن الأمان العام لأنصار الامام على، و أن لا يبغى غائلة للحسن أو الحسين سرا أو جهرا.

بيعة يزيد

كان أول الشروط التى شرطها معاوية على نفسه للامام الحسن، أن له الأمر من بعده، و قد كرر معاوية هذا الشرط أو الوعد فى كل رسائله التى كتبها للأمام يطلب فيهما أن يتنازل له عن الأمر، على أن يكون له من بعده، و قد أجمع المؤرخون، فيما يقول الأستاذ أبوعلم، على أن العهد الذى أعطاه معاوية للحسن فى شروط الصلح هو أن لا يعهد بالأمر من بعده لأحد، و هذا يعنى رجوع الأمر من بعده الى صاحبه الشرعى، و هو الحسن بن على، فان لم يكن فللحسين أخيه، تمشيا مع مفهوم الشرط، كما أجمعوا كذلك على أن معاوية نقض هذا العهد علنا، و عهد من بعده لابنه يزيد، و فى الواقع

[صفحه ۹۶]

فلقد كشف معاوية بعمله هذا أحد وجوه القضية الجليلة التى قاتل الامام على دونها، هذا الوجه المتمثل فى أن لا تصير خلافة المسلمين الى طلقاء بنى‌أمية أبدا، و أن تظل فى الصالحين الأولين من المهاجرين و الأنصار.

غير أن وجود الامام الحسن، و هو الذى تعهد معاوية أن يخلفه فى أمر المسلمين، و شرط على نفسه بذلك، انما كان يمثل عقبة كؤود، تقف دون البيعة ليزيد، و من ثم فقد رأينا الأحنف بن قيس، حين استشاره فى الأمر، «قد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة، ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك، فان تف فأنت أهل الوفاء، و ان تغدر تعلم و الله أن وراء الحسن خيولا جيادا، و أذرعا شدادا، و سيوفا حدادا، ان تدن له شبرا من غدر، تجد وراءه باعا من نصر، و انك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك، و لا أبغضوا عليا و حسنا منذ أحبوهما، و ان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم، و القلوب التى أبغضوك بها بين جوانحهم، و ايم الله ان الحسن لأحب الى أهل العراق من على»، و من هنا لم يكن مكان

الحسن من معاويـة محببا اليه، فقـد كان معاويـة رجلا بعيد النظر، لم يكد يطمئن الى الخلافة و يرى أنها قد اطمأنت اليه، حتى فكر فى أن يجعلها تراثا بعـده لآل أبى‌سـفيان، و كان يفكر فى ابنه يزيد دائما، فيرى أن الحسن هو الحائل بينه و بين ما يريد من ذلك، فهو قد تعجل الصـلح مع الحسن، فعرض عليه ولايـة الأمر من بعده، و من الحق، فيما يرى البعض، أن الحسن لم يقبل منه ذلك، و انما اشترط عليه أن تكون الخلافة بعده شورى بين المسلمين يختارون لها من أحبوا، و كان الحسن، فى أكبر الظن يرى أن المسلمين لن يعدلوا به أحـدا، بعـد وفاة معاويـة، و كانت الشـيعة تؤمن بذلك أشد الايمان، و تدعو له فتلح فى الدعاء، و على أى حال، فسواء كان معاوية قد شرط على نفسه أن يكون الأمر من بعـد للامـام الحسن، و سواء أكـان الحسن قـد قبل ذلك أو اشترط أن تكون الخلافة بعـد معاوية شورى بين المسلمين، فالذى لا شك فيه أن الامام الحسن قد أصبح عقبة فى تتابع ملول آل أبى‌سفيان، و كما يقول أبو

[صفحه ۹۷]

الفرج فى «مقاتل الطالبيين»، «و أراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شـىء أثقل من أمر الحسن بن على، و سعد بن أبى‌وقاص، فدس اليهما سـما فماتا منه»، الأمر الذى سـنناقشه فيما بعد، و مع ذلك فقد خشى معاوية أمر الامام الحسين، رغم أن الحسين لم ينصب نفسه للبيعة، و لم يكن اماما للمسـلمين، و لم يكن معاوية قد صالحه و لا وعده و لا شـرط له، و ان كان مفهوم شـرط الحسن على أن يكون له الأمر بعد معاوية، و انما ينطبق، فيما يرى البعض، على الحسين، تمشيا مع مفهوم الشرط، لا حرفيته.

و أيا ما كان الأمر، فقـد هم معاويـة أن ينحى الامام الحسـين عن مكانه شـيئا لتلخص له الطريق من ابنى فاطمـة الزهراء، و سـبطى النبى صلى الله عليه و سـلم، و سـيدى شـباب أهـل الجنـة، و ريحانتى رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، و يروى أنه قال ذات يوم، بعـد موت الحسن، لعبـدالله بن عباس ممازحا، و هو يريـد الجـد: أنت سـيد قومك بعد الحسن، ولكن عبدالله بن عباس لم ينخدع له، و أجابه فى صراحـة «أما و أبوعبـدالله (يعنى الحسـين) حى فلا»، و مع ذلك فلم يتردد معاويـة، كما سـنرى، فى أن يبايع بولاية العهد لابنه يزيد، و أكره الامام الحسين، كما أكره غيره من شباب المهاجرين على أن يسكتوا عن هذه البيعة التى كانوا ينكرونها أشد الانكار.

و هكذا اسـتحدث معاوية فى الاسـلام أمرا جديدا، غير به السـنة الموروثة تغييرا خطيرا، و لم يكره المسلمون شيئا فى الصدر الأول من أيـامهم، كمـا كرهـوا وراثـة الخلافـة، فقـد عهـد أبوبكر الى عمر، رضـى الله عنهمـا، و لم يخطر له أن يعهـد الى أحـد من بنيه، و زجر الفاروق رضـى الله عنه من طلب اليه أن يعهـد لولـده عبـدالله، و لم يخطر لعثمان رضـى الله عنه أن يعهـد الى أحـد و لا ينبغى أن يقال أعجـل عثمـان عن ذلك، فلقـد لبث فى الخلافـة اثنى عشـر عاما، و أبى الامام على رضـى الله عنه أن يسـتخلف، و قال لأصـحابه حين سألوه: أترككم كما تركككم رسول الله صلى الله عليه و سلم و سأله الناس: أيبايعون الحسن ابنه، فقال لا آمركم و لا أنهاكم، كما أشرنا من قبل، و كان المسـلمون يذكرون الكسروية و القيصرية، يريدون بذلك حكم القياصرة و الأكاسرة، و لم تكن وراثة الملك عندهم الا لونا

[صفحه ۹۸]

من الحكم الأعجمى، و لو وقف عند هذا الحد، لكان من الممكن أن يقال: اجتهد للناس، فأخطا أو أصاب ولكنه قاتل الامام عليا على دم عثمان من جهة، و على أن يرد الخلافة شورى بين المسـلمين، من جهة أخرى، فلما اسـتقام له السلطان نسى ما قاتل عليه أو أعرض عمـا قاتل عليه، و لما أراد مصالحـة الحسن عرض عليه أن يجعل له ولايـة الأمر من بعـده فقبل الحسن، و ان ذهب رأى الى أنه اشترط أن يعود الأمر بعد معاوية شورى بين المسـلمين يختارون لخلافتهم من أحبوا، فقبل ذلك معاوية فيما قبل من شروط، فهو اذا كان يرى

الشورى فى أمر الخلافة قبل أن يستقيم له الأمر، ثم نسى هذا كله بأخرة.

و يذهب بعض المؤرخين الى أن فكرة البيعة ليزيد انما أشار بها المغيرة بن شعبة، كما أشار من قبل للفاروق بالبيعة لولده عبدالله فزجره، و ذلك حين أحس أن معاوية انما يفكر فى عزله عن ولاية الكوفة، فوسوس الى يزيد أن يطلب الى أبيه تسميته لولاية العهد، و زين له الأمر، و كان معاوية، كما رأينا، يعد العدة لذلك، ولكنه يكتمه، فما أن علم بمشورة المغيرة، و أنه سيكفيه أمر الكوفة، و يكفيه زياد البصرة، حتى طلب منه أن يعمل ذلك سرا وفى تؤده، فما كان أحد من المسلمين من أهل التقوى يقبل بولاية يزيد، و لا ندرى كيف سمحت نفس المغيرة له أن يفعل ذلك، مع ثقته، على حد قوله أنه فتق على أمة محمد فتقا لا يرتق أبدا، كما روى ابن الأثير و غيره، ولكنها السياسة يرمى بها بعض الناس الى أن ينالوا لأنفسهم من ورائها غنما أو كسبا، لا يعنيهم مغبتها على الناس، و سار المغيرة حتى قدم الكوفة، و حدث بعض من يثق فيهم و يعلم أنهم من شيعة بنى‌أمية، فأجابوه فأوفد منهم عشرين الى معاوية، اشتراهم بدراهم، و كان ذلك أسلوب معاوية، يعرفه و يوعز به و يغرى عليه، و لهذا قال لموسى بن المغيرة، و كان على رأس الوفد، بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ فقال ابن‌المغيرة: بثلاثين ألفا، فقال معاوية: لقد هان على الناس دينهم، غير أن ذلك انما من عزم معاوية على البيعة ليزيد، مادامت الذمم تباع رخيصة، و العهود تشترى بالقليل، و معاوية يملك من المال الكثير، و من ثم بدأ يرشوا

[صفحه ۹۹]

الناس بالمال، و ان أخطأت رشوته طريقها فى بعض الأحيان، و من ذلك أنه أرسل الى عبدالله بن عمر، مأتة ألف درهم، فقبلها عبدالله على أنها معونة خالصة لوجه الله، و لم يكن يدرى أنها ثمن البيعة ليزيد، فما أن علم حتى قال: ان دينى عندى اذا لرخيص، و امتنع عن البيعة، و أخذ يقول: «ما أجدنى آسى على شىء فاتنى فى حياتى، الا على أنى لم أقاتل مع على الفئة الباغية»، كما ثار كذلك كبار الصحابة و أبنائهم و جمهور كبير من أهل الورع و التقوى، و غلى رأسهم الامام الحسين و عبدالله بن الزبير و عبدالرحمن بن أبى‌بكر، الذى قال لمروان بن الحكم، عندما عرض البيعة ليزيد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم: كذبت والله يا مروان و كذب معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمد صلى الله عليه و سلم ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل».

و روى ابن‌كثير فى تفسيره (الآية ۱۷ من الأحقاف) روى ابن أبى‌حاتم عن عبدالله المدينى قال: انى لفى المسجد حين خطب مروان فقال: ان الله تعالى قد أرى أميرالمؤمنين (أى معاوية) فى يزيد رأيا حسنا، و أن يستخلفه فقد استخلف أبوبكر عمر رضى الله عنهما، فقال عبدالرحمن بن أبى‌بكر، رضى الله عنهما: أهرقلية، أن أبابكر رضى الله عنه، و الله ما جعلها فى أحد من ولده، و لا أحد من أهل بيته، و لا جعلها معاوية فى ولده الا رحمة و كرامة لولده، فقال مروان: ألست الذى قال لوالديه: أف لكما، فقال عبدالرحمن رضى الله عنه ألست ابن اللعين الذى لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم أباك، قال: و سمعتهما عائشة رضى الله عنها فقالت يا مروان، أنت القائل لعبدالرحمن رضى الله عنه كذا و كذا، و كذبت، ما فيه نزلت، ولكن نزلت فى فلان بن فلان، ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر، حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف» (رواه البخارى باسناد آخر و لفظ آخر).

و أخرج النسائى فى سننه عن محمد بن زياد قال قال: لما بايع معاوية رضى الله عنه لابنه قال مروان: سنة أبى‌بكر و عمر، رضى الله عنهما، فقال عبدالرحمن بن أبى‌بكر، رضى الله عنهما، سنة هرقل و قيصر، فقال مروان: هذا

[صفحه ۱۰۰]

الذى أنزل الله تعالى فيه «و الذى قال لوالديه أف لكما»، فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت: «كذب مروان، و الله ما هو به، ولو

شئت أن أسمى الذى أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله صلى الله عليه و سلم لعن أبامروان، و مروان فى صلبه، فمروان فضض من لعنة الله» (أى قطعة من لعنة الله)

هذا و قد وصل الغضب على هذه البيعة الى بنى‌أمية أنفسهم، و منهم مروان نفسه، و سعيد بن عثمان بن عفان، روى الطبرى و ابن الأثير و ابن‌كثير، أن سعيد بن عثمان قال لمعاوية: «لقد اصطنعك أبى حتى بلغت باصطناعه المدى الذى لا تجارى اليه و لا تسامى، فما شكرت بلاءه و لا جازيته، فقدمت هذا، يعنى يزيد، و بايعت له، و الله لأنا خير منه أبا و أما و نفسا»، و أرضاه معاوية بولاية خراسان.

و روى ابن الأثير أن معاوية قال للضحاك بن قيس الفهرى: اذا اجتمعت الوفود عندى، فانى متكلم فاذا سكت فكن أنت الذى تدعوا الى بيعة يزيد و تحثنى عليها، و تكلم معاوية، و تكلم الضحاك يطلب البيعة ليزيد، ثم تكلم غيره، حتى قام يزيد بن المقنع العذرى فقال: هذا أميرالمؤمنين، و أشار الى معاوية، فان هلك فهذا، و أشار الى يزيد، و من أبى فهذا، و أشار الى سيفه، فقال معاوية: اجلس فأنت سيد الخطباء، ثم سافر الى المدينة فخطب و مدح ولده يزيد، فقال: من أحق منه بالخلافة فى فضله و عقله و موضعه، و ما أظن أن قوما بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، و قد أنذرت ان أغنت النذر»، و هكذا أصبح يزيد بسلطان أبيه و بأموال المسلمين التى اشترى بها أبوه ضمائر البعض، أحق الناس بالخلافة و أنه صاحب فضل و عقل، فضلا عن أنه ابن‌معاوية، ثم لا ينتهى معاوية عند هذا الحد، و انما يتهدد و يتوعد من يخالف رأيه.

و على أى حال، فان المؤرخين يرون أن أربعة نفر من قريش، و هم الامام الحسين و عبدالله بن عمر و عبدالله بن الزبير و عبدالرحمن بن أبى‌بكر و زاد فريق عبدالله بن العباس، و لم يبلغ منهم معاوية شيئا بالوعد أو الوعيد، صارحه

[صفحه ۱۰۱]

بعضهم بعدم البيعة ليزيد، و التوى عليه بعضهم الآخر، و أخيرا عرضوا عليه ثلاث خصال، روى ابن‌الأثير، أن معاوية أقبل على ابن‌الزبير، فقال: هات لعمرى انك خطيبهم، فقال نعم، نخيرك بين ثلاث خصال، قال: أعرضهن، قال تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه و سلم أو كما صنع أبوبكر أو كما صنع عمر، قال معاوية: ما صنعوا، قال قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يستخلف أحدا، فارتضى الناس أبابكر، قال ليس فيكم مثل أبى‌بكر و أخاف الاختلاف، قالوا صدقت، فاصنع كما صنع أبوبكر، فانه عهد الى رجل من قاصية قريش، ليس من بنى أبيه فاستخلفه، و ان شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى فى ستة نفر، ليس فيهم أحد من ولده و لا من بنى أبيه، قال معاوية: «هل عندك غير هذا، قال لا، ثم قال فأنتم، قالوا قولنا قوله، قال: فاننى قد أحببت أن أتقدم اليكم، انه قد أعذر من أنذر، انى كنت أخطب فيكم فيقوم القائم منكم فيكذبنى على رؤوس الناس، فأحمل ذلك و أصفح، و انى قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد على أحدكم كلمة فى مقامى هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الا على نفسه».

هذا و يذهب بعض المؤرخين الى أنه أقام على رؤوسهم شرطا، حين خطب الناس، و تقدم الى هؤلاء الشرط فى أن يضربوا عنق أيهم كذبه فيما يقول، ثم خطب الناس فذكر بيعة يزيد بولاية العهد، و أن الناس قد أجمعوا على قبول ما اختار لهم، و أن هؤلاء النفر من أعلام قريش و سادتها قد دخلوا فيما دخل فيه الناس فبايع الناس و انصرف هؤلاء النفر يحلفون لمن لامهم، ما بايعوا و ما قبلوا، و هكذا استكره معاوية هؤلاء النفر على الصمت، بعد أن لم يستطع أن يستكرههم على البيعة، و هو بعد لم يؤامر الأمة فيما اختار لخلافتها، على أى نحو من المؤامرة، و انما شاور قوما من خاصته و الطامعين فى سلطانه و ماله، فكلهم أغراه بذلك و حببه اليه، و لم يستطع أحد من خاصة الناس و لا من عامتهم أن ينكر على معاوية مما أراد شيئا.

و انطلاقا من كل هذا، يمكن القول ان أربعين سنة سلخها معاوية فى

[صفحه ۱۰۲]

حكم الشام الى جوار امبراطورية الروم، و فى ديارها السابقة، قد انحرفت به عن أن يسلك الطريق الاسلامى فى أمر الحكم، و الذى رأينا أساليب مختلفة له فى عهد الراشدين، و انما سلك طريقا رومانيا، و أراده أسلوبا ملكيا على أسلوبهم، و انتوى نية فطفق يتألف لها الناس، و يهيىء لها الأمور، و هكذا استقر فى الاسلام، و لأول مرة، بجهود معاوية و على يديه، هذا الملك الذى يقوم على البأس و البطش، و الذى يرثه الأبناء عن الآباء، أصبحت الأمة و كأنها ملك لصاحب السلطان ينقله الى من أحب من أبنائه، كما ينقل اليه ما يملك من سائل المال و جامده، و هكذا أحدث معاوية فى المسلمين بدعة جديدة طالما أنكروها من قبل، و هى توريث الملك، و كانت عاقبة هذه البدعة وبالا على المسلمين، أى وبال، فما أكثر ما استحل الملوك من المحارم، و ما أكثر ما سفكوا من الدماء، و أهدوا من الحقوق، وضحوا بمصالح الأمة فى سبيل ولاية العهد، و ما أكثر ما كاد بعض الأمراء من أبناء الملوك لبعض فى سبيل هذا التراث الذى لم يبحه لهم كتاب و لا سنة، و لا عرف مألوف من صالحى المسلمين، و هكذا انتقلت الدولة من نظام الخلافة الذى يعتمد على الشورى، و يستند الى الدين، الى النظام الملكى الذى يقوم أساسا على التوريث و يستند الى السياسة أولا، و الى الدين ثانيا.

و لعل سائلا أن يتساءل: هل يمكن أن يكون معاوية فى كل هذا مجتهدا، فلقد أخذ البيعة لولده يزيد، نابذا الشورى وراء ظهره، مع اشتهار يزيد بفسقه و فجوره، فى وقت كان ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم الامام الحسين علما خفاقا على ظهر الأرض، يتمنى الناس امامته، و لم يكن معاوية يجهل أن استخلاف يزيد فيه خروج عن حدود الله، و فيه خروج على شروط الصلح مع الامام الحسن، الذى عرض عليه معاوية أن يكون الأمر من بعده، سواء قبل أو رأى أن يكون الأمر شورى بين المسلمين.

هذا فضلا عن أن الله تعالى يقول فى كتابه العزيز (و اعلموا أنما من أموالكم و أولادكم فتنة، و أن الله عنده أجر عظيم)، و يقول ابن تيمية فى

[صفحه ۱۰۳]

«السياسة الشرعية» (ط ابريل ۱۹۶۰) تعليقا على الآية الكريمة فان الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره فى بعض الولايات أو يعطيه ما لا يستحقه، فيكون قد خان أمانته، و كذلك قد يؤثره زيادة فى ماله أو حفظه بأخذ ما لا يستحقه أو محاباة من يداهنه فى بعض الولايات، فيكون قد خان الله و رسوله و خان أمانته.

و روى الحاكم بسنده عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «من ولى من أمر المسلمين شيئا، فولى رجلا و هو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله و رسوله، و فى رواية: و من قلد رجلا عملا على عصابة، و هو يجد فى تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله، و خان رسوله، و خان المؤمنين»، و روى بعضهم - فيما يقول ابن تيمية - أنه من قول عمر، لابن عمر، روى ذلك عنه، و قال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه «من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله و رسوله و المسلمين». و فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أن قوما دخلوا عليه فسألوه ولاية، فقال: «انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه،» و قال لعبدالرحمن بن سمرة: يا عبدالرحمن لا تسأل الامارة، فانك أعطيتها من غير مسأله أعنت عليها، و ان أعطيتها من مسأله و كلت اليها».

هذا و قد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم على أن الولاية أمانة يجب أداؤها فى مواضعها، مثل قوله لأبى ذر رضى الله عنه فى

الأمـارة «انهـا أمانـة و انها يوم القيامـة خزى و ندامـة، الا من أخـذها بحقها، و أدى الـذى عليه فيها» (رواه مسـلم)، و روى البخارى فى صحيحه بسـنده عن أبى‌هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «اذا ضيعت الأمانة انتظر الساعة، قيل يا رسول الله: و ما اضاعتها؟ قال: اذا و سد الأمر الى غير أهله، فانتظر الساعة» و قال صـلى الله عليه و سـلم «ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت و هو عاش لها، الا حرم الله عليه رائحة الجنة» (أنظر: ابن‌تيمية: السياسة الشرعية ص ۱۵ - ۱۰).

و على أية حال، فلقد أراد معاوية أن يؤسـس ملكا لآل أبى‌سـفيان يرثونه واحدا بعد الآخر، فمعاوية لا يكتفى باغتصاب الخلافة، ثم لا يرغب، و هو على و شك لقاء ربه، أن يترك أمر المسلمين للمسلمين، و انما يعمل على

[صفحه ۱۰۴]

تحويل الخلافـة الى ملك عضوض، و الى مزرعة أموية، فيأخذ البيعة لولده يزيد، يأخذها بالذهب و السـيف، ولكن الله أراد أن يموت يزيد فى شبابه، بعد أعوام أربعة من حكمه، و ربما أقل، ثم يتحول ملك معاوية سريعا الى مروان و بنيه، و لم يكن ذلك ليسر معاوية، و خاصـة أن مروان عارضه بشدة فى بيعة يزيد، و قال له: «فأقم الأمر يا ابن أبى‌سـفيان، و اهدأ من تأميرك الصبيان، و اعلم أن لك فى قومك نظرا، و أن لهم على منأوتك وزراء».

و هكـذا تمت بيعة يزيد خليفة لأبيه معاوية، أو قل وليا لعهد أبيه الملك، على حد وصف معاوية لنفسه، أو وصف سـعد بن أبى‌وقاص له، و هكذا بدأ نظام توريث الملك فى الدولة الاسلامية، و غير معاوية نظام الخلافة الراشدة الى النظام الملكى، و من ثم فقد أصبحت خلافة الأمويين أشـبه بنظام الأكاسـرة و القياصـرة، منه بخلافة المسـلمين، و بالتالى فقد حرم الأمويون، و العباسـيون و من جاء بعدهم، المسـلمين من حقهم الطبيعى فى الشورى، التى ألفها العرب، و جاء بها القرآن، و أيـدتها الأحاديث النبوية، و غلا القوم حتى أصـبحوا يولون عهدهم اثنين، بل ثلاثة.

و قد تم ذلك سنة ست و خمسين للهجرة، أى قبل ينتصف القرن على انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الرفق الأعلى، و رحم الله الحسن البصـرى، فقـد كـان يقول، فيمـا يروى الطبرى، «أربع خصـال كن فى معاويـة لو لم يكن فيه منهن الا واحـدة لكـانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسـفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، و فيهم بقايا الصـحابة و ذو الفضـيلة، و اسـتخلافه ابنه بعده، سكيرا خميرا، يلبس الحرير و يضـرب بالطنـابير، و ادعـاؤه زيـادا، و قـد قـال رسول الله صـلى الله عليه و سـلم: الولـد للفراش، و للعـاهر الحجر، و قتله حجر، ويل له من حجر و أصحاب حجر، ويل له من حجر و أصحاب حجر».

و رغم أننا نقول، مع الدكتور طه حسين، لا نشارك الحسن فى أن هذه الخصال كلها أو بعضها قد أوبقته، فأمر ذلك الى الله وحده، و هو القائل عزوجل (ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر من دون ذلك لمن يشاء) ولكننا فى الوقت

[صفحه ۱۰۵]

نفسه نتساءل: هل كان معاويـة فى كل هـذا مجتهـدا؟ الا أن يكون هـذا الاجتهاد فى بناء دولة بنى‌أمية، و فى القضاء على نظام الخلافة الراشـدة، و بداية الملك العضوض، الذى ما رفضه معاوية أبدا، رغم محاولة ابن‌خلدون أن يحسـبه بقية الراشدين، ولكن معاوية نفسـه يقول: أنـا أول الملوك، و يـدخل عليه سـعد بن أبى‌وقـاص فيحييه قائلا «السـلام عليـك أيها الملك»، و روى الطبرى عن عبـدالله بن المبارك بسـنده عن عبدالله بن مسعده أن معاوية مرت عليه يوما القطرات و الحائل و الجوارى و الخيول، فقال: رحم الله أبابكر لم يرد الـدنيا و لم ترده، و أما عمر، أو قال ابن‌حنتمـة، فأرادته الدنيا و لم يردها، و أما عثمان فأصاب من الدنيا و أصابت الدنيا منه، و أما نحن

فتمرغنا فيها، ثم كأنه ندم فقال: و الله انه لملك آتانا الله اياه»، و هكذا كانت خلافة المسلمين فى نظره ملكا آتاه الله اياه، بل ان الطبرى انما يقدم لنا الكثير من الروايات التى تبين مدى سعادة معاوية بملكه، حتى أنه ترك لضعاف النفوس من الناس يلقبونه، نفاقا أو رعبا، بألقاب النبوة و غيرها، دون أى حساب أو عقاب، أو حتى توجيه (أنظر تاريخ الطبرى ۵: ۳۳۴، ۳۳۲، ۳۳۰ و غيرها).

سب الامام على

كان من شروط صلح الامام الحسن مع معاوية أن يترك معاوية سب أميرالمؤمنين الامام على، كرم الله فى الجنة، و ألا يذكره الا بخير، فقد كان معاوية، فيما يروى ابن‌الأثير، «اذا قنت سب عليا و ابن‌عباس و حسن و حسين و الأشتر»، و كان الناس يحبون لمعاوية و عصبته من بنى‌أمية حين ملكوا و أن يعفوا، ولكن الذى بدا منهم غير عفيف، و غير كريم، لا يتفق مع الاسلام كدين و لا مع العروبة كحسب و نسب، فلقد أخذ معاوية بعد ابرام الصلح مباشرة فى سب الامام على، و بالغ فى انتقاصه، و لم يمنعه عنه انتقال الامام الى جوار ربه، و كان الباعث الى ذلك أن معاوية علم أنه لا يستقيم له أمر، الا بانتقاص الامام و النيل منه، و بهذه الطريقة يريد أن يشيد ملكه، و يقرر فى أنفس الناس أن بنى‌هاشم لا حظ لهم من هذا الأمر، و أن سيدهم الذى به يصولون، و بفخره

[صفحه ۱۰۶]

يفخرون (غير النبى بطبيعة الحال) هذا حاله، و هذا مقداره، فيكون من ينتمى اليه و يدل به عن الأمر أبعد، و عن الوصول اليه أشحط و أنزح، هذا فضلا عن احساس عميق من بنى‌أمية، بأن القلوب ما تزال تمسك كثيرا من الميل الى الامام على و آل بيته الطاهرين المطهرين، و من أجل ذلك راحوا يحاربون الناس حربين، حربا باللسان، و حربا بالسيف، يخيفونهم بالأولى فيحملونهم على الطاعة قسرا، و يزعزعون عقيدتهم بالثانية فيشوشون عليهم أفكارهم و يبلبلون عليهم خواطرهم.

بل انهم ليدفعونهم على الخروج على سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، و التنكر لما أوصى به صلى الله عليه و سلم من حق أهل البيت الطاهرين المطهرين، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحة بسنده عن يزيد بن أرقم، قال: قام رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة و المدينة، فحمد الله و أثنى عليه، و وعظ و ذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحث على كتاب الله و رغب فيه، ثم قال: و أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى».

هذا و يذهب الأستاذ العلايلى فيه كتابه «الامام الحسين» الى أن معاوية انما كان يرمى من سبه للامام على و آل البيت القضاء على الاثنين، يرمى بهذه الخطة الاستفزازية الى القضاء على بقايا أنصار الامام على من الرجالات الموهوبين، ذلك لأن سب الامام انما سيثير أنصاره، و هم فلول، و يؤكد هذا عنفه فى أخذ «حجر بن عدى» و سواه من الكثيرين، لما أظهروا الاستياء من السب العلنى، و النيل الخالى من الذوق الدينى و الأدبى، و فى نفس الوقت كانت الخطة تهدف الى الهاشميين، و بالأخص الامام الحسن و الامام الحسين و عبدالله بن جعفر، و بذلك يقضى معاوية على النزاع التاريخى بين بنى‌هاشم و بنى‌أمية.

[صفحه ۱۰۷]

هذا و قد بدأت هذه العادة الخسيسة، منذ اللحظة الأولى لتنازل الامام الحسن لمعاوية، و طبقا لرواية أبوالفرج فى «مقاتل الطالبيين»،

فلقد خطب معاوية لما بويع فذكر عليا فنال منه، و نال من الحسن، فقام الحسن ليرد عليه فأخذ الحسن بيده، ثم قال فقال: «أيها الذاكر عليا، أنا الحسن، و أبى‌على، و أنت معاوية، و أبوك صخر، و أمى فاطمة، و أمك هند، وجدى رسول الله صلى الله عليه و سلم وجدك حرب، وجدتى خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا، و ألأمنا حسبا، و شرنا قدما، و أقدمنا كفرا و نفاقا، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين، قال فضل، فقال يحيى بن معين: نحن نقول آمين، قال أبوعبيد: و نحن أيضا نقول: آمين، قال أبوالفرج، و أنا أقول آمين».

و بدهى لئن كانت حرمة الصحابة واجبة، فالذى لا شك فيه أن حرمة آل بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أوجب، و بخاصة أن الحق كان على الدوام فى جانبهم، كما كانوا هم على الدوام فى جانب الحق، لا شبهة فى ذلك، فاذا كانت قريش قد حاجت العرب و أهل الأمصار بالنبوة، فآل النبى صلى الله عليه و سلم هم بيت النبوة، و لا شك أن بدعة سب الامام على و آل بيته، انما هى بدعة خسيسة دنيئة، لا تخرج عن أصل كريم، أو حتى عدو شريف، و قد أقام معاوية و خلفؤه من بعده من بنى‌أمية منابر يتناوب عليها الخطباء فى سب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و فى افتراء الأباطيل للنيل منه و الزراية عليه، و قد روى أن معاوية عزل سعيد بن العاص عن ولاية المدينة لأنه امتنع عن سب الامام على على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم، كما روى ذلك أن معاوية كان يقول فى آخر خطبته «اللهم ان أباتراب (و أبوتراب أطلقه النبى على الامام على) ألحد فى دينك وصد عن سبيلك فالعنه لعنا وبيلا، و عذبه عذابا أليما»، و كتب بذلك من عماله معاوية الذين فعلوا ذلك المغيرة بن شعبة، يترضى معاوية بالطعن فى الامام على، ثم لا يقف عند هذا، بل يلعنه على المنابر، ثم يجاوز ذلك الى أن يغرى الناس بلعنه، حتى يحتفظ بولاية الكوفة، و روى الطبرى أن معاوية لما أولى المغيرة الكوفة عام ۴۱ ه دعاه فقال له: أردت ايصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا

[صفحه ۱۰۸]

على بصرك... و لست تاركا ايصاءك بخصلة، لا تتم (لا تتورع) عن شتم على و ذمه، و الترحم على عثمان و الاستغفار له، و العيب على أصحاب على، و الاقصاء لهم، و ترك الاستماع منهم... و أقام المغيرة (واليا على الكوفة) سبع سنين و أشهرا، و لا يدع شتم على و لا الوقوع فيه»، و روى الجاحظ فى بعض رسائله قال، قال المغيرة بن شعبة، و هو عامل معاوية يؤمئذ، لصعصعة بن صوحان، قم فالعن عليا، فقام فقال: «ان أميركم هذا أمرنى أن ألعن عليا، فالعنوه، لعنه الله، و هو يضمر المغيرة»، و روى الطبرى أن المغيرة قال لصعصعة بن صوحان العبدى: «اياك أن يبلغنى عنك أنك تذكر شيئا من فضل على علانية، فانك لست ذاكرا من فضل على شيئا أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، و قد أخذنا باظهار عيبه، أى عيب الامام على، للناس، فنحن نذكر شيئا مما أمرنا به، و نذكر الشىء الذى لا نجد منه بدا، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية»، و روى ابن‌الأثير أن المغيرة لما ولى الكوفة استعمل «كثير بن شهاب» على الرى، و كان كثير يكثر سب على على منبر الرى، و بقى عليها الى أن ولى زياد الكوفة فأقره عليها»، و هناك بسر بن أرطأه الذى ولاه معاوية البصرة، روى الطبرى أنه خطب على منبر البصرة فشتم عليا، عليه‌السلام، ثم قال: «نشدت الله رجلا علم أنى صادق الا صدقنى أو كاذب الا كذبنى، فقال أبوبكرة: اللهم انا نعلمك الا كاذبا، قال فأمر به فخنق، فقام أبولؤلؤة الضبى فرمى بنفسه عليه فمنعه، فقيل لأبى‌بكرة ما أردت لما صنعت، قال: أيناشدنا بالله ثم لا نصدقه».

و روى الحافظ السيوطى أنه كان فى أيام بنى‌أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها ابن أبى‌طالب، و ذلك بما سنه لهم معاوية، و فى الواقع لقد كان مجهود معاوية فى هذه السبل ما طفحت به السير و التواريخ و هو أول من سن الجهر بسب صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم و أول من فتح هذا الباب على مصراعيه، و هكذا طل بنوأمية طيلة عهد دولتهم، التى استمرت قرابة تسعين عاما، يسبون الامام على و أهل البيت على منابر المسلمين، - الا أيام عمر بن عبدالعزيز -،

[صفحه ۱۰۹]

فما نالوا من ذلك منالاو لا حولوا أحدا عن حب الامام و آل البيت الكرام على تعاقب الزمن و اختلاف العصور، يقول أبوجعفر الاسكافى فى كتابه «نقض رسائل العثمانية للجاحظ»، فكان الأمويون لا يألون جهدا فى طول ملكهم أن يخمدوا ذكر على، عليه‌السلام، و ولده، و يطفئوا نورهم، و يكتموا فضائلهم و مناقبهم و سوابقهم،و يحملوا الناس على سبهم و لعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم، مع قلة عددهم، و كثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل و أسير، و شريد و هارب، و مستخف و خائف مترقب، حتى أن الفقيه و المحدث و القاص و المتكلم، ليتقدم اليه و يتوعد بغاية الابعاد و أشد العقوبة، ألا يذكر شيئا من خصائصهم،و لا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم، و حتى بلغ من تقية المحدث اذ ذكر حديثا شريفا، رواه على، عليه‌السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، كنى عن ذكر الامام على، فقال، قال رجل من قريش، و فعل رجل من قريش، و لا يذكر الامام عليا و لا يتفوه باسمه، ثم ان بعض المختلفين قد حاولوا نقض فضائلة و وجهوا الحيل و التأويلات نحوها، و من خارجى مارق، و ناصبى حنق، و ناشىء معاند، و منافق مكذب، يعترض فيها و يطعن، و معتزلى قد نظر فى الكلام، و أبصر علم الاختلاف و عرف الشبه و مواطن الطعن و ضروب التأويل، قد التمس الحيل فى ابطال مناقبه، عليه‌السلام، و تأويل مشهور فضائله، فمرة يتأولها بما لا يحتمل، و مرة يقصد أن يضع من قدره بقياس منتقص، و لا يزداد مع ذلك، الا رفعة و علوا، و وضوحا و استنارة»، و قد روى صاحب العقد الفريد أن بعض العلماء قال لولده: يا بنى ان الدنيا لم تبن شيئا الا هدمه الدين، و ان الدين لم يبن شيئا فهدمته الدنيا، ألا ترى أن قوما لعنوا عليا ليخفضوا منه، فكأنما أخذوا بناصيته جرا الى السماء».

هذا و قد أثار سب الامام على، كرم الله وجه فى الجنة، سخط الأخيار من المسلمين، و أهل التقوى و الورع منهم، فضلا عن كرام الحسب، و أصحاب الأخلاق الكريمة، هذا فضلا عن أن سب المسلم من أفحش المحرمات، فقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال «سباب المسلم فسوق»،

[صفحه ۱۱۰]

و قال «لا يكون المؤمن لعانا»، و روى عن الصحابى الجليل زيد بن أرقم أنه رأى المغيرة بن شعبة يسب أميرالمؤمنين على رضى الله عنه فانبرى له منكرا سبه للامام قائلا: «يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله نهى عن سب الأموات، فلم تسب عليا، و قد مات»، هذا و قد كان سعد بن أبى‌وقاص رضى الله عنه من أوائل صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين غضبوا لسب الامام على، فلقد أخرج مسلم فى صحيحه، و الامام النسائى فى فضائل الامام على، و الترمذى فى الجامع عن عامر بن سعد بن أبى‌وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبى‌سفيان سعدا، فقال ما منعك أن تسب أباتراب، فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه و سلم فلن أسبه، لأن تكون لى واحدة منهن أحب الى من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول له، خلفه فى بعض مغازيه، فقال له على: يا رسول الله، خلفتنى مع النساء و الصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبوة بعدى، و سمعته يقول يوم خيبر، لأعطين الراية رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، قال فتطاولنا لها، فقال أدعو لى عليا، فأتى به أرمد، فبصق فى عينيه و دفع الراية له، ففتح الله عليه، و لما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم...) (آل عمران ۶۱) دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا و فاطمة و حسنا و حسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلى».

و لعل هذا الحديث الشريف، (و غيره مما سيأتى) يقطع كل حجة لمن يعتذرون لمعاوية، بأنه ربما لم يكن على معرفة بمكانة الامام

على فى الاسلام - و قد أسلم يوم فتح مكة - أما الآن، و قد ذكره سعد بن أبى‌وقاص (أحد العشرة المبشرين بالجنة و أحد و الستة الذين ذكروا فى الشورى)، فهل كف معاوية بعد ذلك، عن سب الامام على، رضى الله عنه و كرم الله وجهه فى الجنة، و الجواب يعرفه جيدا أولئك المتعصبون لبنى‌أمية (و انظر الآيات و الأحاديث التى وردت فى فضل الامام على، فى كتابنا عن الامام على).

و روى المسعودى و الطبرى أنه لما حج معاوية طاف البيت و معه سعد بن أبى‌وقاص، فلما فرغ معاوية انصرف الى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره،

[صفحه ۱۱۱]

و وقع معاوية فى على و شرع فى سبه، فزحف سعد ثم قال: «أجلستنى معك على سريرك ثم شرعت فى سب على، و الله لأن تكون فى خصلة واحدة من خصال كانت لعلى أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، و الله لأن أكون صهر رسول الله صلى الله عليه و سلم و أن لى من الولد ما لعلى أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، و الله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لى ما قاله يوم خيبر، و الله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، ليس بفرار يفتح الله على يديه، أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، و الله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لى فى غزوة تبوك: ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبى بعدى، أحب الى من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، و ايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت، ثم نهض»، و روى أن سعدا لما قال ذلك لمعاوية و نهض ليقوم ضرط له و قال له: أقعد حتى تسمع جواب ما قلت: ما كنت عندى ألأم منك الآن، فهلا نصرته، و لم قعدت عنه، فانى لو سمعت من النبى صلى الله عليه و سلم ما سمعت فيه لكنت خادما لعلى ما عشت، فقال سعد: و الله انى لأحق بموضعك منك، فقال معاوية: يأبى ذلك بنوعذرة، و كان سعد، فيما يقال لرجل من بنى‌عذرة.

على أن ابن عبدربه انما يروى أن معاوية لما حج دخل المدينة و أراد أن يعلن عليا على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فقيل له ان ها هنا سعد بن أبى‌وقاص، و لا نراه يرضى بهذا، فابعث اليه و خذ رأيه، فأرسل اليه و ذكر لك ذلك، فقال: ان فعلت لأخرجن من المسجد، لا أعود اليه، فأمسك عن لعن على حتى مات سعد، فلما مات لعنه على المنبر، و كتب الى عماله يلعنونه على المنابر ففعلوا، فكتبت أم المؤمنين أم‌سلمة الى معاوية: «انكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، و ذلك أنكم تلعنون عليا بن أبى‌طالب و من أحبه، و أنا أشهد أن الله أحبه و رسوله، فلم يلتفت معاوية الى كلامها».

و أخرج الامام أحمد و الحاكم الهيثمى و الطبرى و أبويعلى عن عبدالله الجدلى قال: دخلت على أم‌سلمة، فقالت لى: أيسب رسول الله صلى الله عليه و سلم فيكم،

[صفحه ۱۱۲]

فقلت معاذ الله (أو سبحان الله أو كلمة نحوها)، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من سب عليا فقد سبنى.»

و فى رواية للحاكم فى المستدرك: قالت (أى أم المؤمنين أم‌سلمة): سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من سب عليا فقد سبنى و من سبنى فقد سب الله. (و ذكره المتقى فى كنز العمال و قال: أخرجه ابن أبى‌شيبة)، و روى المحب الطبرى فى الذخائر عن عمرو بن شاش الأسلمى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أحب عليا فقد أحبنى، و من أبغض عليا فقد أبغضنى، و من آذى عليا فقد آذانى، و من آذانى الله عزوجل. (قال: اخرجه أبوعمر النمرى).

و روى أن ابن‌عباس مر بقوم ينالون من الامام على و يسبونه فقال ابن‌عباس لقائده (و كان قد فقد بصره): أدننى منهم، فلما أدناه منهم، قال لهم: أيكم الساب لله، فقالوا نعوذ بالله أن نسب الله، فقال لهم أيكم الساب لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا نعوذ بالله أن نسب الله صلى الله عليه و سلم، فقال لهم أيكم الساب لعلى بن أبى‌طالب، قالوا: أما هذه فنعم، فقال لهم: أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من سبنى فقد سب الله، و من سب عليا فقد سبنى»، فأطرق القوم و لم يتكلموا فوجلوا»، و هكذا كان نتيجة للضغط السياسى، و اغراء الناس بمال، و تخويفهم بالوعد و الوعيد، و تأويلهم الأحداث طبقا لهوى معاوية و بقية قومه الأمويين، أصبح الناس يرون رضى معاوية و طاعته، انما تظهر فى سب الامام على كرم الله وجهه فى الجنة، و بمرور الأيام رأوا طاعة معاوية فى جعل لعن الامام على و سبه (و العياذ بالله) سنة ينشأ عليها الصغير، و يهلك عليها الكبير، روى ابن‌حجر الصواعق المحرقة، أن رجلا من أهل الشام كان يلعن عليا كل يوم ألف مرة، و فى يوم الجمعة الآف المرات، و أولاده معه، فرأى النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام، فبصق فى وجهه، فأصبح وجهه وجه خنزير.

هذا و قد بلغ بنوأمية فى الاصرار على لعن الامام على (و العياذ بالله) أن غيروا سنن الدين فى الصلاة، و ابتدعوا فيه ما ليس فيه، حتى روى أن معاوية (و قيل مروان بن الحكيم) قدم خطبة العيد على الصلاة، و كان النبى صلى الله عليه و سلم

[صفحه ۱۱۳]

يؤخرها، و ذلك لأن معاوية - أو مروان، و هذا ما نميل اليه - انما كان يصر على لعن الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، على المنبر فى خطبته، فكان الناس ينصرفون بمجرد أن يفرغ من الصلاة، كى لا يسمعوا هجوه و لعنه لأشرف بيت فى تاريخ الدنيا، فقدم الخطبة على الصلاة ليحبس الناس و يضطرهم لسماع التشهير و اللعن للامام على و آل بيته الطاهرين المطهرين، بل لقد بلغ كره الأمويين للامام على و آل البيت الى درجة الاعتداء على حرمة مولانا و سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، روى السمهودى فى «وفا الوفا بأخبار دار المصطفى» عن هارون بن عبدالملك بن الماجسون، و أن خالد بن الوليد بن الحارس بن الحكيم بن العاص الأموى، قام على منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم جمعة، فقال: لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم على بن أبى‌طالب و هو يعلم أنه خائن، ولكن شفعت له ابنته فاطمة، و كان داود بن قيس فى الروضة، فقال: آس أى يسكته قال فمزق الناس قميصا كان عليه شقائق حتى و تروه، و أجلسوه، حذرا عليه، ثم قال هارون بن عبدالملك، رأيت كفا خرجت من قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يقول: «كذبت يا عدو الله، كذبت يا كافر، مرارا».

و روى عن عبدالله بن ظالم أنه قال: «لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليا، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (أحد العشرة المبشرين بالجنة): ألا ترون الى هذا الظالم أمر بلعن رجل من أهل الجنة»، و عن أبى‌بكر بن عبدالله الأصبهانى قال: كان لبنى‌أمية دعى يقال له، خالد بن عبدالله القسرى، لا يزال يشتم عليا، فلما كان يوم الجمعة، و هو يخطب الناس قال: و الله أن كان رسول الله ليستعمله، و انه ليعلم ما هو، ولكنه كان ختنه (صهره) و قد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه و قال و يحكم، ما قال هذا الخبيث، رأيت القبر انصدع، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: كذبت يا عدو الله».

و هكذا، وفى عهد معاوية و ولده يزيد، و فى ولاية الحجاج على العراق، كان سبيل من يتهم بحب أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم القتل أو الضرب أو السجن أو التشريد، و رغم ذلك فقد ازداد الناس ايمانا و تمسكا بحبهم و ولائهم، و قد قتل

[صفحه ۱۱۴]

معاويـة خلقا كثيرا ممن أبى أن يعلن الامام عليا أو يتبرأ منه أو عارض مبدأ اللعن و البراءة من أساس، و كان الامام على كرم الله وجهه فى الجنـة، على علم بما سـيلحق بشـيعته بعد وفاته، فقال لهم: سـتدعون الى سبى فسـبونى، ثم تدعون الى البراءة منى، فلا تتبرأوا منى، فانى لعلى دين محمد صـلى الله عليه و سـلم، أخرج الحافظ عبدالرزاق فى المصنف عن حجر المدرى قال، قال لى على بن أبىطالب: كيف بك اذا أمرت أن تلعننى، قلت و كائن ذلك، قال نعم، فكيف أصنع، قال: العنى و لا تتبرأ منى، و قال فأمرنى محمد بن يوسف، أخو الحجـاج، و كـان أميرا على اليمن، أن ألعن عليـا، فقلت: «ان الأمير أمرنى أن ألعن عليا، فالعنوه، لعنه الله، فما فطن لها الا رجل»، و مع ذلك فلقـد فضل جماعـة من أنصار أهل البيت القتل على السب و اللعن و البراءة، بل فضـلوا القتل على أن يسـمعوا من يمس مقام الامام على بمكروه، و منهم الصـحابى الجليل عمرو بن الحمق، فقتله معاوية، و أرسل برأسه الى امرأته، فوضـعت الرأس فى حجرها، و قالت لرسول معاوية: سترتموه عنى طويلا، و أهديتموه لى قتيلا، فأهلا و سهلا من هدية، غير قالية و لا بمقلية، و منهم حجر بن عدى و أصحابه.

و روى ابن عبـدربه، أن رجلا- من أهـل الشـام دخل على معاويـة، فقام خطيبا، فكان آخر كلامه أن لعن الامام عليا، كرم الله وجهه فى الجنـة، فأطرق الناس، و تكلم الأحنف بن قيس، فقال يا أميرالمؤمنين ان هـذا القائل لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسـلين لعنهم، فاتق الله ودع عنك عليا، فقد لقى ربه، و أفرد فى قبره، و خلا بعمله، و كان الله ما علمنا، المبرر بسـبقه (الى الاسـلام) الطاهر خلقه، الميمون نقيبته، العظيم مصـيبته، فقال له معاوية: يا أحنف، لقد أغضـيت العين على القذى و قلت ما ترى، و ايم الله لتصـعدن المنبر فتلعنه، طوعا أو كرهـا، فقـال له الأـحنف يـا أميرالمؤمنين ان تعفنى فهو خير لك، و ان تجبرنى على ذلك، فوالله لا تجرى فيه شـفتاى أبـدا، قال قم فاصعد المنبر، قال الأحنف: أما والله مع ذلك لأنصفنك فى القول و الفعل، قال و ما أنت قائل يا أحنف ان أنصفتنى، قال أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله، و أصلى على

[صفحه ۱۱۵]

نبيه صـلى الله عليه و سـلم ثم أقول: أيها الناس: ان أميرالمؤمنين معاويـة أمرنى أن ألعن عليا، و ان عليا و معاويـة اختلفا فاقتتلا، و ادعى كـل واحـد منهمـا أنه بغى عليه و على فئته، فـان دعـوت فـأمنوا رحمكم الله، ثم أقول: اللهم ألعن أن و ملائكتـك و أنبيـاؤك و جميع خلقك، الباغى منهما على صاحبه، و العن الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كبيرا، أمنوا رحمكم الله، يا معاوية لا أزيد على هذا و لا أنقص منه حرفا، و لو كان فيه ذهاب نفسى، فقال معاوية: اذا نعفيك يا أبابحر» و كان كثير بن السهمى الشاعر من أشد المنكرين لسب الامام على، و فى ذلك الوقت يقول:

لعن الله من يسب عليا
و حسينا من سوقة و امام

أيسب المطهرون جدودا
و الكرام الأخوال و الأعمام

يأمن الطير و الحمام و لا
يأمن آل الرسول عند المقام

طبت بيتا و طاب أهلك
أهل بيت النبى و الاسلام

رحمة الله و السلام عليهم
كلما قام قائم بسلام

و استمرت هذه المهزلة الأموية سبة فى جبين صاحبها و قومه، و ليس فى حق الامام على، فهو أفضل عند الله من معاوية و قومه الأمويين جميعا، لو كانوا يعرفون للناس أقدارهم، و من عجب فقد خاض جميع خطباء المساجد فى الدولة، دونما حياء أو خجل، و نفاقا و تزلفا لمعاوية و خلفائه، فى سب ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم و آل بيته، و جاوز خطباء بنى‌أمية حد النهية و المروءة فى الجهد بذلك، و نطق بها عبدالعزيز بن مروان على منبر المسجد الجامع بفسطاط مصر، ولكنه كان فطنا فقلق و رجف، و تعثر و تلعثم كلما هم بها، و لو وجد من يكفه لكف، روى ابنه الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه فقال: كان أبى اذا خطب فنال من على رضى الله عنه، تلجلج، فقلت يا أبت انك تمضى فى خطبتك فاذا أتيت على ذكر على عرفت منك تقصيرا، قال أو فطنت الى ذلك، قلت نعم، قال يا بنى ان الذين حولنا لو يعلمون من على ما نعلم تفرقوا عنا الى أولاده»، غير أن عمر سرعان ما نسى ذلك عندما عاد الى المدينة لطلب العلم، فخاض فى البدعة مع قومه، حتى نبهه الى ذلك معلمه عبيد

[صفحه ۱۱۶]

الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، فترك ذلك السفه الأموى اللئيم، و ما أن أصبح خليفة المسلمين (۱۰۱ - ۹۹) حتى قضى على هذه الخسيسة الأموية، فلقد كان عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه، رغم أنه أموى، على غير سنة قومه، فلم يقترف بدعتهم هذه التى سنها لهم أول ملوكهم، و من ثم فقد ترك خسيسة لعن الامام على منابر المسلمين، و جعل مكانها الآية ۱۰ من سورة الحشر (ربنا اغفرلنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك غفور رحيم)، و قيل بل الآية ۹۰ من سورة النحل (ان الله يأمر بالعدل و الاحسان و اتياء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون)، قيل بل جعلهما جميعا، فاستعمل الناس ذلك فى الخطبة الى هذا اليوم، و بدهى أن هذه شهادة أموية ضد معاوية و باطله، فضلا عن شهادة أخرى من حفيد معاوية نفسه و أعنى به معاوية الثانى بن يزيد بن معاوية، كما أنها فى الوقت نفسه مكرمة للخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز لا تنسى، و من ثم فقد مدحه كثير من الشعراء على ذلك، و منهم كثير عزة الذى يقول.

و ليت فلم تشتم عليا و لم تخف
بريا و لم تتبع مقاله مجرم

تكلمت بالحق المبين انما
تبيين آيات الهدى بالتكلم

و صدقت معروف الذى قلت بالذى
فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

فلما أتم «كثيرة عزة» انشاده، قال عمر أفلحنا اذن و قال السيد الشريف الرضى:

يا ابن عبدالعزيز لو بكت الع
ين فتى من أمية بكيتك

غير أنى أقول أنك قد طب
ت و ان لم يطب و يزك بيتك

أنت نزهتنا عن السب و القذ
ف فلو أمكن الجزاء جزيتك

و هناك مكرمة أخرى للخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز، فلقد أمر برد فدك الى ورثة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم بجميع حدودها و حقوقها المنسوبة اليها و ما فيها من الرقيق و الغلات، كما أشرنا الى ذلك فى كتابنا عن

[صفحه ۱۱۷]

«فاطمة الزهراء»، ثم مكرمة ثالثة، فلقد أرجع لموالى الامام على و مريديه حقوقهم المشروعة، ذلك أن قومه الأمويين لم يكتفوا بسب الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، على منابر المسلمين، و انما حرموا كذلك مجرد ذكر اسمه، كما أشرنا من قبل، يروى المؤرخون أن «رزيق» مولى الامام على قد حفظ القرآن و الفرائض، ولكنه لم يرزق شيئا من بيت المال، فوفد على عمر بن عبدالعزيز، شاكيا فلما سأله من أى الناس أنت، قال رجل من موالى بنى‌هاشم، فقال عمر: مولى من، فسكت رزيق، فقال عمر: أتكتمنى من أنت، قال رزيق بصوت خافت كأنه نجوى، مولى على بن أبى‌طالب (قد خاف أن يجهر) فقال عمر رافعا صوته: و أنا مولى على، أتكاتمنى ولاء على، حدثنى سعيد بن المسيب عن سعد بن أبى‌وقاص عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «من كنت مولاه، فعلى مولاه»، و روى عمر مورق أنه كان بالشام، و عمر يعطى الناس، فتقدم اليه، فلما سأله: من أنت، تردد، ثم قال من بنى‌هاشم، قال من أيهم، قال مولى على بن أبى‌طالب، فوضع يده على صدره و قال: أنا مولى على بن أبى‌طالب، حدثنى عدة أنهم سمعوا النبى صلى الله عليه و سلم يقول «من كنت مولاه، فعلى مولاه» ثم قال يا مزاحم: كم تعطى أمثاله، قال مائة درهم أو مائتين، فقال: اعطه خمسين دينارا لولايته لعلى بن أبى‌طالب عليه‌السلام، ثم قال له عمر: «الحق ببلدك فسيأتيك مثل نظرائك».
و هكذا جهد الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز أن يزيل كل ما لحق بالامام على و أهل بيته و مواليه من جرائم قومه، غير أن الأمور سرعان ما تعود الى ما كانت عليه قبل عهد الخليفة الزاهد، فعاد الأمويون مرة أخرى الى سب الامام على، و هكذا استمر بنوأمية منذ عهد معاوية، أول ملوكهم، و حتى نهاية دولتهم، ما عدا عهد عمر بن عبدالعزيز، يسيرون على هذه البدعة الدنيئة فى سب آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم، و على رأسهم الامام على بقية النبوة، و الذى جعل الرسول صلى الله عليه و سلم حبه علامة صحة ايمان

المؤمن، فلقد أخرج الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال لعلى: «لا يحبك الا مؤمن و لا يبغضك الا منافق» و أخرج

[صفحه ۱۱۸]

الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول «لا يحب عليا منافق، و لا يبغضه مؤمن»، و أخرج الامام أحمد بسنده عن على أنه قال «و الله انه مما عهد الى رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه لا يبغضنى الا منافق، و لا يحبنى الا مؤمن».

و روى الامام مسلم فى صحيحه بسنده عن عدى بن ثابت عن زر قال قال على: و الذى فلق الحبة وبرأ النسمة، انه لعهد النبى الأمى صلى الله عليه و سلم الى، أن لا يحبنى الا مؤمن، و لا يبغضنى الا منافق، (و رواه أيضا الترمذى و النسائى و ابن‌ماجة و الامام أحمد و الخطيب و أبونعيم و المتقى الهندى)، و أخرج الطبرانى بسنده عن أم‌سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من أحب عليا فقد أحبنى، و من أحبنى فقد أحب الله، و من أبغض عليا فقد أبغضنى، و من أبغضنى فقد أبغض الله، و أخرج الحاكم فى المستدرك بسنده عن أبى‌ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين الا- بتكذيبهم الله و رسوله، و التخلف عن الصلوات، و البغض لعلى بن أبى‌طالب، و أخرج الامام أحمد فى المناقب و الهيثمى فى مجمع الزوائد و الطبرانى فى الأوسط و المحب الطبرى فى الذخائر و ابن عبدالبر الاستيعاب عن جابر بن عبدالله قال: ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار، الا ببعضهم عليا.

و روى أنس عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال «عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى‌طالب»، و حق للامام على أن يكون كذلك، فقد كان من رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنزلة الأخ الذى يحمل معه عبء الرسالة، و يشد أزره فيها، و هو كما قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنت منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبى بعدى»، و من ثم فحب الامام على من حب مولانا و سيدنا و جدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و حب سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم من تمام الايمان، أما من كان فى قلبه دخل، و فى صدره ضيق و حرج من دين الله، فانه يلبس الاسلام تقية، و يأخذه مظهرا، ثم لا- يجد ما ينفس به شنآنه للاسلام و استخفافه به، و هو مع ذلك محسوب على المسلمين، الا- بغض من يحبه رسول الله صلى الله عليه و سلم و انتقاص من يكرمه النبى صلى الله عليه و سلم و يدنيه منه، ففى هذا النفاق عاش و يعيش أولئك الذين يحاربون الله و رسوله، و يؤذون أولياء الله و رسوله أما من خلص قلبه من النفاق، فانه لا يجد فى قلبه الا الحب الوثيق، و الولاء

[صفحه ۱۱۹]

المكين، لآل رسول الله صلى الله عليه و سلم و صحابته الذين صحبهم، و فى مقدمة هؤلاء هؤلاء جميعا، ربيبه و ابن عمه و زوج ابنته الزهراء، و أبوسبطيه الحسن و الحسين، الامام على رضى الله عنه و كرم الله وجهه فى الجنة، أكرمنا بحب الله و رسوله، و حب الامام على، و حب آل بيت النبى و صحابته الكرام البررة.

خراج دار ابجرد

كان من شروط صلح الامام الحسن التى اشترطها على معاوية أن يعطيه خراج دار أبجرد يفرقه على الفقراء و المعوزين من شيعته، و على أبناء من قتلوا مع أبيه يوم الجمل و صفين، ولكن معاوية لم يف بذلك، يقول ابن‌الأثير: و أما خراج دار أبجرد، فان أهل البصرة منعوه منه و قالوا: هو فيئنا لا- نعطيه لأحد، و كان منعهم بأمر معاوية أيضا، و هكذا سرعان ما طرد أهل البصرة عمال الحسن من الكورتين و أبوا أن يدفعوا اليه شيئا من خراجهما، و ان كان معاوية قد بر الحسن نفسه بالمال، فلم يجد فى حياته عسرا و لا ضيقا، و

ربما كان السبب فى منع خراج دار أبجرد أن معاويـة أراد أن يكون المال بيـده، يبر به الامام الحسن ان شاء، و يمنعه ان أراد، كما أن الحسن أراد خراج دار أبجرد لينفق، كما أشـرنا آنفا، على الفقراء و المعوزين من شـيعة آل البيت، هذا ما لا يريده معاوية أبا، بل هو لا يريد أن يكون لآل البيت شيعة أصلا، فضلا عن الانفاق على الفقراء من هذه الشيعة.

الامان العام لشيعة على و آل البيت

كـان من شـروط الصـلح الأمـان العـام و عـدم التعرض بسؤ لأنصـار الامـام على على الخصوص، و أنصار آل البيت بوجه عام، غير أن معاويـة جعل من أهـدافه القضاء على هـذه الطبقـة المؤمنـة بحق أهل البيت، و قـد لاقى أنصار آل البيت من الأذى و الاضـطهاد ما تنؤ بحملة الجبال، و كان أشدهم بلاء و أعظمهم محنة أهل الكوفة، فقد اسـتعمل معاوية عليهم زيادا، بعد هلال المغيرة، و كان بهم عالما، لأنه و يا للعجب كان منهم قبل استلحاقه بأبى‌سفيان، فأشاع فيهم القتل

[صفحه ۱۲۰]

و شـردهم، و قيـل أن معاويـة كتب الى جميع عمـاله «أنظروا الى مـا قـامت عليه البينـة أنه يحب عليـا و أهل بيته فامحوه من الـديوان و اسـقطوا عطاءه و رزقه»، و روى ابن أبى‌الحديـد أن معاوية كتب الى عماله «برئت الذمة ممن يروى شـيئا فى فضائل على و أهله بيته، و أن لاـ يجيزوا للشـيعة شـهادة، و أن يمحو كل شـيعى من ديوان العطاء و ينكلوا به و يهـدموا داره»، و امتثل العمال لأمر سـيدهم، فقتلوا الشـيعة و شـردوهم و قطعوا الأيـدى و سـملوا الأعين و صـلبوهم فى جـذوع النخل، و زاد الضـغط بعد معاوية أضـعافا، خاصة فى عهد عبيدالله بن زياد، قاتل الامام الحسـين، و الحجاج الثقفى هادم الكهبة، فقتلوا الشيعة كل قتلة، و أخذوا بكل ظنة و تهمة حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو حتى كافر، أحب اليه من أن يقال له شـيعى، و فى ذلك يقول الامام الباقر رضـى الله عنه: و قتلت شيعتنا بكل بلدة و قطعت الأيدى و الأرجل على الظنة، و كان من يذكر بحبنا أو الانقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره»، و هكذا أصبحت مودة أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم كفرا و الحادا، و مروقا عن الدين، و فى هذا يقول الشاعر الكميت.

يشيرون بالأيدى الى قولهم
ألا خاب هذا و المشيرون أخيب

فطائفه قد كفرتنى بحبكم
و طائفه قالوا مسىء و مذنب

يعيبوننى من خبهم و ضلالهم
على حبكم بل يسخرون و أعجب

و قالوا ترابى هواه و رأيه
بذلك أدعى فيهم و ألقب

و يقول عبدالله بن كثير السهمى:

انى امرؤ أمست معايبه
حب النبى لغير ذى ذنب

و بنى أبى حسن و والدهم
من طاب فى الأرحام و الصلب

أيعد ذنبنا أن أحبهم
بل حبهم كفارة الذنب

و هكذا ما استقرت الأمور لمعاوية، و خلا الميدان الا منه، حتى أخذ ينتقم شر انتقام من أنصار الامام على و آل بيت الطاهرين، ففريق منهم روع فى ظلمات السجون، و بقى فيها يلاقى الأمرين حتى انتقل الى الرفيق الأعلى، كما

[صفحه ۱۲۱]

حدث مع محمد بن أبى‌حذيفة، و منهم من شرد فى الأرض حتى مات منفيا عن وطنه و أهله كصعصعة بن صوحان، و منهم من قتل صبرا فى الاسلام، من أمثال عمرو بن الحمق و حجر بن عدى و أصحابه، هذا و تصور محنة حجر و أصحابه محنة امتحن بها زياد الاسلام و المسلمين، و شاركه معاوية فى هذا الامتحان، فتركت فى نفوس المعاصرين لهما أقبح الأثر و أشنعه، و كانت صدمة عنيفة لمن بقى من خيار الناس فى تلك الأيام، روى ابن‌حجر فى الاصابة عن الحاكم أن ابن‌سعد و مصعب الزبيرى، ذكرا أنه وفد على النبى صلى الله عليه و سلم و أخوه هانىء بن حجر، فهو اذن صحابى، و أن رأى آخرون أنه من التابعين، هذا و تكاد تجمع المصادر على أنه شارك فى حرب الشام و أحسن فيها البلاء، و كان فى مقدمة الجيش الذى دخل «مرج عذراء» قريبا من دمشق، فكان هو الذى افتتحها ثم قتل فيها، كما يقول ابن‌حجر، و روى أن حجر لما عرف أنه بهذه القرية، حين أمر معاوية بقتله، قال «و الله انى لأول مسلم نبحته كلابها، و أول مسلم كبر بواديها» ثم تحول الى العراق مجاهدا فى سبيل الله، فشارك فى غزو بلاد الفرس، و أبلى أحسن البلاء فى نهاوند، و رابط فى الكوفة مع المرابطين بعد الفتح.
و كان حجر بن عدى رجلا حرا، صادق الدين، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يرضى عن السلطان ان أحسن، و يسخط عليه ان أساء، و كان بعد صلح الحسن معارضا لسلطان معاوية و عامله المغيرة بن شعبة، ولكنه لم يخلع يدا عن طاعة، و انما كان، كما كان عامة أهل الكوفة، يذعن للسلطان حتى يستريح بر أو يموت فاجر، و كان ينكر أشد الانكار سنة بنى‌أمية فى شتم الامام على و أصحابه على المنبر، و لم يكن يخفى انكاره، و انما كان يبادى به المغيرة بن شعبة، و كما أشرنا من قبل، أن معاوية كان قد أوصى المغيرة، و حين ولاه الكوفة، أن لا يترك شتم الامام على و ذمه، و أن المغيرة أقام سبع سنين و أشهرا فى الكوفة لا يدع شتم الامام على و الوقوع فيه، و كان حجر اذا سمع المغيرة يشتم الامام على لا يسكت، و انما كان هو و أنصاره، و هم جمهور أهل الكوفة، يردون عليه «بل اياكم قد ذمم الله و لعن»، و استمر الأمر كذلك المغيرة

[صفحه ۱۲۲]

شتم الامام على و أنصاره، و حجر يرد عليه ولى زياد الكوفة بعد المغيرة، و كان لحجر صديقا، فقربه و نصح له بايثار العافية، و حذره من بأسه، ان جعل على نفسه سبيلا، ولكن الأمر ما لبث أن فسد بين حجر و زياد، و ظهر هذا الفساد حين قتل عربى مسلم رجلا من أهل الذمة، فكره زياد أن يقيد من العربى المسلم لذمى، و قضى بالدية، و أبى أهل الذمى الدية و قالوا: كنا نخبر أن الاسلام يسوى بين الناس، و لا يفضل عربيا على غير عربى، و غضب حجر لقضاء زياد و أبى أن يسكت على امضائه، و قام الناس معه فى ذلك حتى أشفق زياد من الفتنة ان أمضى قضاءه، فأمر بالقصاص على كره منه، و كتب فى حجر و أصحابه الى معاوية يشكو صنيعهم، فكتب اليه معاوية أن ينتظر به و بأصحابه أول حجة تقوم عليه.

ثم سرعان ما ازدادت الأمور سوءا بين حجر و زياد بسبب شتم الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، ثم أظهر زياد، كما يقول ابن عبدالبر فى الاستيعاب، من الغلظة و سوء السيرة، ما أظهر خلعه حجر، و لم يخلع معاوية و تابعه جماعة من أصحاب على و شيعته و حصبه يوما فى تأخير الصلاة هو و أصحابه، فكتب فيه زياد الى معاوية فأمره أن يبعث به اليه، مع وائل بن حجر الحضرمى، فى اثنى عشر رجلا كلهم فى الحديد»، غير أن زيادا انما طلب من أهل الكوفة كذلك أن يشهدوا على حجر و أصحابه، و طبقا لروايه الطبرى، فلقد شهد رؤوس الأرباع (عمرو بن حريث و خالد بن عرفطة و قيس بن الوليد بن عبدشمس و أبوبردة بن أبى‌موسى) على أن حجرا جمع اليه الجموع و أظهر شتم الخليفة و دعا الى حرب أميرالمؤمنين، و زعم أن هذا الأمر لا- يصلح الا- فى آل أبى‌طالب، و وثب بالمصر، و أخرج عامل أميرالمؤمنين، و أظهر عذر أبى‌تراب (يعنى الامام على) و الترحم عليه و البراءة من عدوه، و أهل حربه، و أن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه، و على مثل رأيه و أمره»، و رغم ما فى هذه الشهادة الكذوب من أباطيل و افتراءات على حجر و أصحابه، فقد رأى زياد أن هذه الشهادة غير قاطعة، كما أحب أن يكون أكثر من أربعة، فكتب له ابن أبى

[صفحه ۱۲۳]

موسى الأشعرى شهادة أخرى، جاء فيها «هذا ما شهد عليه أبوبردة بن أبى‌موسى لله رب العالمين، شهد أن حجرا خلع الطاعة، و فارق الجماعة و لعن الخليفة، و دعا الى الحرب و الفتنة، و جمع اليه الجموع يدعوهم الى نكث البيعة و خلع أميرالمؤمنين معاوية، و كفر بالله عزوجل كفرة صلعاء» و هنا رضى زياد و طلب الى الناس أن يمضوا هذه الشهادة، فأمضاها خلق كثير، حتى بلغ الشهود سبعين رجلا- و كان منهم جماعة من أبناء المهاجرين، بينهم ثلاثة من بنى طلحة، و عمر بن سعد بن أبى‌وقاص و المنذر بن الزبير، و لم يتحرج زياد من أن يكتب أسماء نفر لم يشهدوا و لم يحضروا هذه الشهادة، فمن هؤلاء من برأ نفسه أمام الناس، و منهم من كتب الى معاوية يبرىء نفسه من هذه الشهادة الكذوب، و منهم شريح القاضى، الذى كتب الى معاوية يشهد أن حجرا رجل صالح من المسلمين، يقيم الصلاة و يؤتى الزكاة و يصوم و يحج و يعتمر، و أن دمه حرام، فلما قرأ معاوية كتاب شريح لم يزد على أن قال: «أما هذا فأخرج نفسه من الشهادة».

و حمل حجر و أصحابه الى معاوية، فأمر ألا يدخلوا دمشق و أن يحبسوا بمرج عذراء، و هى القرية التى كان حجر أول مسلم دخلها فكبر فى بواديها، ثم أمر معاوية بقراءة كتاب زياد و شهادة الشهود، ثم استشار فى الأمر من حضره من أشراف قريش و وجوه أهل الشام، فمنهم من أشار عليه بحبسهم، و منهم من أشار بتفريقهم فى قرى الشام، ولكن سرعان ما جاءه كتاب من زياد يقول: «ان كانت لك حاجة بالعراق فلا تردهم الى»، و هنا أمر معاوية نفر من أهل الشام أن يعرضوا عليهم البراءة من الامام على و اللعن له، فان فعلوا و الا قتلوا، و رفض حجر و سبعة معه، و هنا يروى الطبرى أن يزيد بن حجية أقبل حتى مر بهم بعذراء، فقال يا هؤلاء، أما و الله ما أرى

براءتكم، و لقد جئت بكتاب فيه الذبح، فمرونى بما أحببتم مما ترون أنه نافع لكم أعمل به لكم و أنطق به، فقال حجر: أبلغ معاوية أنا على بيعتنا، لا نستقيلها و لا نقيلها، و أنه انما شهد علينا الأعداء و الأظناء، فقدم يزيد بالكتاب الى معاوية فقراه، و بلغه يزيد مقالة حجر، فقال

[صفحه ۱۲۴]

معاوية: «زياد أصدق عندنا من حجر»، هذا كما أقبل كذلك عامر بن الأسود العجلى، و هو بعذراء، يريد معاوية، ليعلمه علم من بعث بهم زياد، فلما ولى ليمضى قام اليه حجر بن عدى يرسف فى القيود، فقال يا عامر: «اسمع منى، أبلغ معاوية أن دماءنا عليه حرام، و أخبره أنا قد أو منا و صالحناه، فليتق الله و لينظر فى أمرنا»، على أن رواية أخرى تذهب الى أن حجرا و أصحابه ذهبوا الى معاوية فى دمشق، و أن حجرا، فيما يروى ابن‌حجر فى الاصابة، و ابن عبدالبر فى الاستيعاب، قال لمعاوية: السلام عليك يا أميرالمؤمنين، فقال معاوية: أو أميرالمؤمنين أنا، قال حجر: نعم فأمر بقتله، فقال حجر: «لا تطلقوا عنى حديدا و لا تغسلوا عنى دما فانى لاق معاوية بالجادة و انى مخاصم، و روى الرويانى و الطبرانى و الحاكم من طريق أبى‌اسحاق، قال رأيت حجر بن عدى، و هو يقول: «ألا انى على بيعتى لا أقيلها و لا أستقيلها».

و قام جماعة من أهل الشام فشفعوا عند معاوية فى بعض أصحاب حجر، و قبل معاوية شفاعتهم، حتى لم يبق منهم الا ثمانية عرضت عليهم البراءة من الامام على فأبوا، ثم قبل رجل أن يعلن البراءة من الامام، فأظهرها بلسانه، ثم شفع فيه شافع من أهل الشام، فحبسه معاوية شهرا ثم ألزمة الاقامة فى الشام، و حرم عليه العراق، فأقام فى الموصل حتى مات، ثم عرضت البراءة على رجل آخر فأبى و أسمع معاوية فى نفسه ما يكره، فرده معاوية الى زياد و أمره أن يقتله شر قتلة، فأمر به زياد فدفن حيا، و أما حجر، و بقية أصحابه الستة، فقد أصر معاوية على قتلهم بدمشق أو بعذراء، رغم من تشفعوا فى حجر عند معاوية من خاصته و من كانوا معه فى حربه ضد الامام، و روى ابن‌حجر فى الاصابة عن ابراهيم بن الجنيد فى كتاب الأولياء أن حجر بن عدى أصابته جنابة، فقال للموكل به أعطنى شرابى أتطهر به، و لا تعطنى غدا شيئا، فقال: «أخاف أن تموت عطشا فيقتلنى معاوية، قال، فدعا الله فانسكبت له سحابة بالماء، فأخذ منها الذى احتاج اليه، فقال له أصحابه: ادع الله أن يخلصنا، فقال اللهم خر لنا، فقتل هو و طائفة منهم»، و روى الطبرى و ابن عبدالبر، أن حجرا طلب قبل

[صفحه ۱۲۵]

مقتله أن يتوضأ، فلما توضأ، قال: دعونى أصلى ركعتين، فأيمن الله ما توضأت قط الا صليت ركعتين، قالوا: لتصل، فصلى ثم انصرف فقال: و الله ما صليت صلاة قط أقصر منها، و لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال: اللهم انا نستعديك على أمتنا، فان أهل الكوفة شهدوا علينا، و أن أهل الشام يقتلوننا، أما و الله لئن قتلتمونى بها (أى عذراء) انى لأول فارس من المسلمين هلل فى واديها، و أول رجل من المسلمين نبحته كلابها، فمشى اليه الأعور بالسيف، فأرعدت خصائله، فقال كلا، زعمت أنك لا تجزع من الموت، فأنا أدعك، فابرأ من صاحبك (أى الامام على) فقال حجر: «ما لى لا أجزع و أنا أرى قبرا محفورا، و كفنا منشورا، و سبفا مشهورا، و انى و الله لئن جزعت من القتل، لا أقول ما يسخط الرب، فقتله، و أقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة»، و هكذا كان حجر بن عدى رضى الله عنه أول من قتل صبرا فى الاسلام.

و هكذا انتهت هذه المأساة المنكرة، مأساة حجر و أصحابه، و التى استباح فيها أمير من أمراء المسلمين أن يعاقب الناس على معارضة

لا اثم فيها، و أن يكره وجوه الناس و أشرافهم على أن يشهدوا عليهم زورا و بهتانا، و أن يكتب شهادة القاضى على غير علم من هذا القاضى و رضى، حتى قال حجر، كما رأينا، حين قدم لتضرب عنقه «الله بيننا و بين أمتنا، شهد علينا أهل الكوفة، و قتلنا أهل الشام»، استباح أمير من المسلمين لنفسه هذا الاثم، و استحل هذا البدع، و استباح خليفة المسلمين لنفسه أن يقضى بالموت على نفر من الذين عصم الله دماءهم، بشهادة كذوب، دون أن يراهم أو يسمع لهم أو حتى أن يأذن لهم فى الدفاع عن أنفسهم، و ما أكثر ما أرسلوا اليه أنهم على بيعتهم لا يقيلونها و لا يستقيلونها، و حين ألحوا فى قلوبهم هذا، أصر على قتلهم و قال، كما رأينا، «زياد أصدق عندنا من حجر»، و قد ذعر المسلمون فى أقطار الأرض لهذه الجريمة المنكرة، و تلك المقتلة الجزاف، و آية ذلك، فيما يرويه ابن عبدالبر و الطبرى و ابن‌الأثير، أن أم المؤمنين عائشة، رضى الله عنها، ما أن علمت

[صفحه ۱۲۶]

بتسيير هؤلاء الرهط من الكوفة حتى أرسلت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام الى معاوية يراجعه فى أمرهم، فوصل عبدالرحمن الى الشام فوجد القوم قد قتلوا، فقال لمعاوية: كيف ذهب عنك حلم أبى‌سفيان، فأجابه معاوية: «حين غاب عنى أمثالك من حلماء قومى، حملنى زياد فاحتملت»، فقال له، فيما يروى ابن عبدالبر: «و الله لا تعد لك العرب حلما بعد هذا أبدا، و لا رأيا، قتلت قوما بعث بهم اليك أسارى من المسلمين»، و آية ذلك أيضا أن الخبر بقتل هؤلاء الرهط قد انتهى الى المدينة و سمعه عبدالله بن عمر فأطلق حبوته، و تولى و الناس يسمعون نحيبه، روى ابن‌حجر فى الاصابة و ابن عبدالبر فى الاستيعاب عن أبى‌الدنيا و الحاكم و عمر بن شيبة عن نافع قال: لما انطلق بحجر بن عدى كان ابن‌عمر يتخبر عنه فأخبر بقتله و هو بالسوق فأطلق حبوته و ولى و هو يبكى، و روى ابن‌حجر فى الاصابة و السيوطى فى الخصائص عن يعقوب بن سفيان فى تاريخه و البيهقى و ابن‌عساكر عن أبى‌الأسود، قال: دخل معاوية على عائشة فعاتبته فى قتل حجر و أصحابه، و قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «يقتل بعدى أناس يغضب الله لهم و أهل السماء»، و فى رواية دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء، حجر بن عدى و أصحابه، قال رأيت قتلهم صلاحا للأمة، و بقاءهم فسادا للأمة، فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم و أهل السماء»، فقال معاوية: «لم يكن حولى رشيد»، و أخرج البيهقى و ابن‌عساكر عن على بن أبى‌طالب أنه قال: «يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود» فقتل حجر و أصحابه، و روى أن معاوية بن خديج انتهى اليه الخبر فى افريقية، فقال لقومه الذين كانوا معه من كندة: «ألا ترون أنا نقاتل لقريش، و نقتل أنفسنا لنثبت ملكها، و أنهم يثبون على بنى عمنا فيقتلونهم».
و هكذا اهتز العالم الاسلامى هزة عنيفة لمقتل حجر و أصحابه، أورثته مبغضة أعنف لدولة بنى‌أمية، و روى ابن عبدالبر عن ابن المبارك بسنده عن محمد بن سيرين أنه كان اذا سئل عن الركعتين عند القتل، قال «صلاهما خبيب

[صفحه ۱۲۷]

و حجر، و هما فاضلان»، و روى أن شبح الشهيد الوقور انما كان يساور معاوية الى يوم وفاته، فجاء فى رواية لابن سيرين أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول: «يومى منك يا حجر طويل». و روى البلاذرى أن معاوية كتب لزياد «أنه قد تلجلج فى صدرى شىء من أمر حجر، فابعث الى رجلا من أهل المصر، له فضل دين و علم»، فأشخص اليه عبدالرحمن بن أبى‌ليلى، و أوصاه ألا يقبح له رأيه فى حجر، و توعده بالقتل ان فعل، قال ابن أبى‌ليلى: فلما دخلت عليه رحب بى و قال: اخلع ثياب سفرك و البس ثياب حضرك، ففعلت، و أتيته، فقال: أما والله لوددت أنى لم أكن قتلت حجرا، و وددت أنى كنت حبسته و أصحابه و فرقتهم فى كور الشام فكفتنيهم

الطواعين أو مننت بهم على عشائرهم، فقلت: وددت و الله أنک فعلت واحدة من هذه الخلال، فوصلنى، فرجعت و ما شيء أبغض الى من لقاء زياد، فلما قدمت الكوفة صليت فى بعض المساجد، فلما انفتل الامام، اذا رجل يذكر موت زياد، فما سررت بشيء سرورى بموته، بل ان الرواة ليقولون ان قتل حجر كان له صدى حق فى أعماق دار معاوية، فقد حدثنا البلاذرى أن معاوية صلى يوما فأطال الصلاة، و امرأته تنظر اليه، فلما فرغ من صلاته قالت له امرأته: ما أحسن صلاتک يا أميرالمؤمنين لولا أنک قتلت حجرا و أصحابه.

هذا و كان ابن‌سيرين بعد مقتل حجر، اذا سئل عن الشهيد يغسل، حدثهم حديث حجر، مما يشير الى أن المسلمين كانوا يرون فى حجر، المسلم الصادق الآمر بالمعروف و الناهى عن المنكر، قضى شهيدا فى سبيل الجهر بالحق، ما خلع طاعة، و لا فارق جماعة، و انما أنكر على ولاة معاوية لعنهم خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب أن الامام أحمد قال قلت ليحيى بن سليمان: أبلغک أن حجرا كان مستجاب الدعوة، قال نعم، و كان من أفاضل أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم، و من ثم فقد هال قتل حجر و أصحابه كثيرا من الناس، حتى أن الربيع بن زياد الحارثى والى خراسان، قد بلغ من سخطه على قتل حجر أن قال: «لا تزال العرب تقتل صبرا بعده، ولو نفرت عند

[صفحه ۱۲۸]

قتله لم يقتل رجل منهم صبرا، ولكنها أقرت الذل فذلت»، و أنه مل الحياة حتى أنه خرج يوم جمعة فقال: أيها الناس، انى مللت الحياة، و انى داع بدعوة فأمنوا، ثم رفع يديه بعد الصلاة فقال: «اللهم ان كان لى عندک خير فأقبضنى اليک عاجلا»، و أمن الناس ثم خرج فما أن توارت ثيابه حتى سقط فحمل الى بيته فمات».

و لا ريب فى أن هذا انما يمثل ضيق الناس بعسف معاوية، فما وجدوا الا أن يسألوا الله للأمة أمنا، ثم لأنفسهم خروجا من الحياة، و كان الناس يقولون: أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن على، و قتل حجر، و دعوة زياد، و كان الامام الحسن البصرى يقول: أربع خصال كن فى معاوية، لولم تكن فيه الا واحدة، لكانت موبقة، انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة، و فيهم بقايا الصحابة و ذوو الفضيلة، و استخلافه بعده ابنه سكيرا خميرا يلبس الحرير و يضرب بالطنابير، و ادعاؤه زيادا، و قد قال: «رسول الله صلى الله عليه و سلم الولد للفراش و للعاهر الحجر» و قتله حجرا و أصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر و أصحاب حجر».

هذا و قد فات معاوية كل عذر فى مقتل حجر و أصحابه، حتى ما كان من عذر واه، كعذر ابنه فى مقتل الامام الحسين رضى الله عنه فان يزيد قد أحال الذنب على ابن‌زياد، و انعكست الآية فى أمر معاوية و حجر، فكان زياد هو الذى نفض يديه من وزر هؤلاء الشهداء، و ألقاه على معاوية، و ضاق معاوية فى انتحال المعذرة بعد حين، فكان جوابه لسائليه مما يخجل الطفل بين الصغار، فضلا عن العاهل بين الساسة، و فى ذمة التاريخ، قال له عبدالرحمن بن الحارث، كما رأينا، أين غاب عنک حلم أبى‌سفيان، فقال معاوية: حين غاب عنى مثلک من حلماء قومى، و حملنى ابن‌سمية فاحتملت، و سألته السيدة عائشة مثل هذا السؤال، فقال لم يكن حولى رشيد، و كانت السيدة عائشة، فيما يروى الطبرى، تقول: «لولا أنا لم نغير شيئا الا آلت بنا الأمور الى أشد مما كنا فيه، لغيرنا قتل حجر، أما و الله ان كان ما علمت لمسلما حجاجا معتمرا»، و روى ابن

[صفحه ۱۲۹]

عبدالبر فى الاستيعاب عن مسروق بن الأجدع قال: سمعت عائشة أم‌المؤمنين تقول: «أما و الله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجرا و أصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام، ولكن ابن آكلة الأكباد علم أنه قد ذهب الناس، أما و الله ان

كانوا لجمجمة العرب عزا و منعة و فقها».

و لعل الذين ينادون باجتهاد معاوية يصمتون، فانه هو نفس لم يدع الاجتهاد، و انما ارتضى من معاذيره أن يقوده ابن‌سمية فينقاد، لأنه لم يجد حوله رجلا رشيدا.

سم الامام الحسن

كان من شروط الصلح أن لا يبغى معاوية للحسن، و لا لأخيه الحسين و لا لأهل البيت غائلة سرا و لا جهرا، و لا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق، و قد أشرنا من قبل الى رواية أبى‌الفرج فى «مقاتل الطالبيين» من أن معاوية لما أراد البيعة لابنه يزيد انما كان يخشى الامام الحسن، و من ثم فقد دس له من سقاه السم فمات، و على أى حال، فان موت الامام الحسن مسموما انما هو أمر يتفق عليه أهل الحديث و التاريخ و السير، أو يكادون، و أما أن معاوية أو ولده يزيد هو الذى حرض على سم الحسن، فذلك موضع جدل طويل.

روى ابن‌الأثير أنه فى سنة (۴۹ ه) توفى الحسن، سمته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى، و روى أبوالفداء فى تاريخه توفى الحسن من سم سقته له زوجته جعدة بنت الأشعث، قيل فعلت بأمر معاوية، و قيل بأمر يزيد بن معاوية، و وعدها أن يتزوجها ان فعلت ذلك، فسقته السم و طالبت بأن يتزوجها فأبى، و قال الشيخ المفيد فى الارشاد عن جرير عن المغيرة قال: أرسل معاوية الى جعدة بنت الأشعث: انى مزوجك ابنى يزيد، على أن تسمى الحسن، و بعث اليها مائة ألف درهم ففعلت و سمت الحسن عليه‌السلام، فسوغها المال و لم يزوجها من يزيد، و فى رواية المسعودى: أن معاوية و فى لها بمال، و أرسل اليها: أنا نحب حياة يزيد، و لولا ذلك لوفينا لك بتزويجه، و ذكر

[صفحه ۱۳۰]

أن الحسن قال عند موته: لقد حاقت شربته، و الله لا وفى لها بما وعد، و لا صدق فيما قال. و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب بسنده عن قتادة قال: دخل الحسين و على الحسن، رحمهما الله تعالى، فقال يا أخى انى سقيت السم ثلاث مرار لم أسق مثل هذه المرة، انى لأضع كبدى، فقال الحسين من سقاك يا أخى، قال: «ما سؤالك عن هذا أتريد أن تقاتلهم، أكلهم الى الله»، و روى ابن‌حجر فى الاصابة عن عمير بن اسحاق بسنده قال: «دخلت أنا و صاحب لى على الحسن بن على، فقال لقد لفظت طائفة من كبدى، و انى قد سقيت السم مرارا، فلم أسق مثل هذا، فأتاه الحسين بن على فسأله من سقاك فأبى أن يخبره رحمه الله تعالى»، و قال الامام جعفر الصادق: اشترك الأشعث فى دم أسير المؤمنين على، و سمت ابنته جعدة الحسن، و اشترك ابنه محمد فى دم الحسين، و قال السيوطى فى تاريخ الخلفاء توفى الحسن مسموما بالمدينة سمته زوجته جعدة بنت الأشعث، و أورد ابن‌كثير ما رواه أبوبكر بن أبى‌الدنيا بسنده عن عمير بن اسحاق قال: دخلت أنا و رجل آخر من قريش على الحسن بن على، فقام فدخل المخرج ثم خرج فقال: لقد لفظت طائفة من كبدى أقلبها بهذا العود، و لقد سقيت السم مرارا، و ما سقيت مرة أشد من هذه، قال و جعل يقول لذلك الرجل: سلنى قبل أن لا تسألنى، فقال ما أسألك شيئا، يعافيك الله، قال: فخرجنا من عنده ثم عدنا اليه فى الغد، و قد أخذ فى السوق، فجاء حسين حتى قعد عند رأسه، فقال أى أخى: من صاحبك، قال تريد قتله، قال نعم، قال «لئن كان صاحبى الذى أظن، لله أشد نقمة، و فى رواية، فالله أشد بأسا و أشد تنكيلا، و ان لم يكنه ما أحب أن تقتل بى بريئا»، و روى الواقدى كذلك أن الامام الحسن مات مسموما، كما رواه كذلك محمد بن سعد عن أم‌موسى قالت: «ان جعدة بنت الأشعث بن قيس سقت الحسن السم، فاشتكى منه شكاة، فكان يوضع تحته طشت و يرفع آخر، نحوا من أربعين يوما»، و روى أبونعيم فى حلية الأولياء ما رويناه آنفا عن عمير بن اسحاق، و أخرج ابن‌كثير عن الواقدين و ابن‌سعد عن أم‌بكر بنت المسور قالت: الحسن سقى مرارا، كل ذلك يفلت منه، حتى كانت المرة الأخيرة التى مات فيها،

فانه كان يختلف

[صفحه ۱۳۱]

كبده، فلما مات أقام نساء بنى‌هاشم عليه النوح شهرا، و روى الواقدى عن عائشة قالت: حد نساء بنى‌هاشم على الحسن بن على سنة.
و روى الحاكم فى المستدرك عن عمران بن عبدالله قال: «رأى الحسن بن على، فيما يرى النائم، بين عينيه مكتوبا، قل هو الله أحد، فقصها على سعيد بن المسيب فقال: ان صدقت رؤياك فقد حضر أجلك، قال: فسم فى تلك السنة، و مات رحمة الله عليه».
على أن هناك خلافا بين الباحثين حول من قام بهذه الجريمة النكراء، فرغم أن الروايات تكاد تجمع على أن من سم ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم الحسن بن على انما هو زوجه جعدة بنت الأشعث، الا أن هناك رواية ضعيفة تجعلها هند بنت سهيل بن عمرو، ذلك الذى سفر عن قريش الى النبى صلى الله عليه و سلم فى صلح الحديبية، بينما ذهبت رواية ثالثة الى أنه خادم الحسن، فلقد أخرج ابن‌كثير بسنده عن عمران بن عبدالله قال: سمعت بعض من يقول: كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه (أى الحسن) أن يسقيه سما، على أن أكثر الآراء و ربما أرجحها تميل الى أن جعدة بنت الأشعث هى التى فعلت تلك الجريمة النكراء بسبط رسول الله صلى الله عليه و سلم، فهى من تلك الأسرة التى كثيرا ما تظهر الحب لآل البيت و تبطن غير ذلك، و قد روى عن الصادق، كما أشرنا آنفا، قوله: اشترك الأشعث فى دم أميرالمؤمنين على، و سمت ابنته جعدة الحسن، و اشترك ابنه محمد فى دم الحسين، ثم هى كذلك تحب المال و تهوى السلطان، و من ثم فقد استجابت لطلب يزيد، أو معاوية فى بعض الروايات، بسم الحسن، فى مقابل مائة ألف درهم و زواجها من يزيد، و بعد أن أخذت المواثيق و المواعيد على الوفاء لها بتلك الشروط، أخذت تدبر أمرها، و تضع خطتها، و كانت قد علمت أن الحسن قد تزوج من خولة بنت منظور، و أنها تعلقت به تعلقا شديدا، و من ثم فما أن جاء الحسن الى بيتها حتى بكت فى حضرته بكاء مرا، و أظهرت من ضروب الحب و الشوق و الاخلاص و اللوعة، ما جعله يقبل على الطعام و الشراب عندها، فلما أصبح الصباح أحس ألما فى أمعائه أخذ يزداد حتى خيل اليه أنه يلفظ كبده،

[صفحه ۱۳۲]

و قيل انه التفت اليها و قال: «يا عدوة الله قتلتنى قتلك الله، و الله لا تصيبين منى خلفا، و لقد غرك (يعنى معاوية) و سخر منك يخزيك الله و يخزيه»، و لقد أخزاها الله فأصبحت مضرب الأمثال للسوء و الخيانة و الخزى و الاثم، حتى أصبحت عارا لذريتها و أبنائها من غير الامام، فقد و صموا بأبناء «مسممة الأزواج» ثم سخر منها معاوية فلم يف لها بزواج يزيد، و قال «انا نحب حياة يزيد، و لولا ذلك لوفينا لك بتزويجه»، و أخيرا فان غالبية من قالوا بأن الحسن مات مسموما، انما نسبوا سمه الى جعدة هذه، قال بذلك ابن‌الأثير و الامام جعفر الصادق، و قاله ابن عبدالبر و السيوطى و أبوالفرج الأصفهانى، و رواه ابن‌كثير عن أم‌موسى، كما قال بذلك غير هؤلاء كثير.
و أما المحرض على سم الامام الحسن، فلا شك أنه صاحب المصلحة فى اختفاء الامام الحسن من الميدان، فى وقت بدأ فيه معاوية يعد العدة لبيعة ولده يزيد وليا للعهد، ناقضا بذلك أحد شروط الصلح التى تجعل الأمر من بعده للحسن، أو حتى تجعلها شورى بين المسلمين، و من ثم فقد حامت الشبهات حول معاوية و ولده يزيد، و قال ابن البر فى الاستيعاب: «و كان معاوية قد أشار بالبيعة ليزيد فى حياة الحسن و عرض بها، ولكنه لم يكشفها و لا غرم عليها الا بعد موت الحسن»، و كان أبوالفرج الأصفهانى، و هو من بنى‌أمية، من أوائل من رأوا أن معاوية هو الذى حرض على سم الحسن، فهو يروى بسنده عن مغيرة أنه قال: أرسل معاوية الى ابنة الأشعث انى مزوجك بيزيد ابنى، على أن تسمى الحسن بن على، و بعث اليها بمائة ألف درهم، فقبلت و سمت الحسن، فسوغها المال و لم

يزوجها منه، فخلف عليها من آل طلحة فأولدها، فكان اذا وقع بينهم و بين بطون قريش كلام عيروهم و قالوا: «يا بنى مسممة الأزواج»، كما يروى أبوالفرج كذلك عن أبى‌بكر بن حفص قال: «توفى الحسن بن على و سعد بن أبى‌وقاص فى أيام، بعد ما مضى من امارة معاوية عشر سنين، و كانوا يرون أنه سقاها سما». و روى الواقدى كذلك أن معاوية قد تلطف لبعض خدمه (أى الحسن) أن يسقيه سما.

[صفحه ۱۳۳]

و يروى المسعودى أن امرأته (أى الحسن) جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى سقته السم، و كان معاوية قد دس اليها: أنك ان احتلت فى قتل الحسن وجهت اليك بمائة ألف درهم، و زوجتك من يزيد، فكان ذلك الذى بعثها على سمه، فلما مات الحسن و فى لها معاوية بالمال، و أرسل اليها: اننا نحب حياة يزيد، و لولا ذلك لوفينا لك بتزويجه، و روى أن الحسن قال عند موته: «لقد حاقت شربته، و بلغ أمنيته، و الله لا وفى لها بما وعد، و لا صدق فيما قال»، و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب، قال: «قتادة و أبوبكر بن حفص، سم الحسن بن على، سمته امرأته بنت الأشعث بن قيس الكندى، و قالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس معاوية اليها و ما بذل فى ذلك»، و روى عن الحسن بن أبى‌العلى عن جعفر بن محمد، قال الحسن بن على لأهل بيته انى أموت بالسم، كما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أهل بيته، و من الذى يسمك، قال جاريتى أو امرأتى فقالوا له: أخرجها من ملكك، عليها لعنة الله، فقال هيهات من اخراجها و منيتى على يديها و ما لى منها محيص، و لو أخرجتها ما يقتلنى غيرها، و كان قضاء مقضيا و أمرا واجبا من الله، فما ذهبت الأيام حتى بعث معاوية الى امرأته قال، فقال الحسن: «هل عندك من شربة لبن، فقالت نعم و فيه ذلك السم بعث به معاوية، فلما شربه وجد مس السم فى جسده، فقال، يا عدوة الله قتلتنى قاتلك الله، أما و الله لا تصيبن منى خلفا، و لا تنالين من الفاسق عدو الله اللعين خيرا أبدا».

هذا و لعل الذين يذهبون الى أن معاوية هو المحرض على الامام الحسن، انما يعتمدون على أمور، منها ما رواه ابن عبدالبر فى الاستيعاب من أنه لما مات الحسن ورد البريد بموته على معاوية فقال: يا عجبا من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة فقضى نحبه، و منها ما رواه الزمخشرى فى «ربيع الأبرار» أنه قيل لما بلغ معاوية موت الحسن رضى الله عنه، سجد و سجد من حوله، و كبر و كبروا معه، و منها ما روى من أن ابن‌عباس كان قد وفد على معاوية و قال فوالله انى لفى المسجد، اذا كبر معاوية فى الخضراء (قصر معاوية) فكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل لمسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة لها

[صفحه ۱۳۴]

فقالت: سرك الله يا أميرالمؤمنين، ما هذا الذى بلغك فسررت له، قال موت الحسن بن على، قالت انا لله و انا اليه راجعون، ثم بكت و قالت: مات ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال معاوية: نعما و الله ما فعلت، انه كان كذلك أهلا لأن يبكى عليه، ثم بلغ الخبر ابن‌عباس رضى الله عنه فدخل على معاوية، فقال معاوية، علمت يا ابن‌عباس أن الحسن قد توفى، قال ابن‌عباس: ألذلك كبرت، قال نعم، قال ابن‌عباس، و الله ما موته بالذى يؤخر أجلك، و لا حفرته بسادة حفرتك، و لئن أصبنا به، فقد أصبنا بسيد الأوصياء، فجبر الله تلك المصيبة، و رفع تلك العبرة، فقال معاوية: «ويحك يا ابن‌عباس ما كلمتك الا وجدتك معدا»، و منها أن رواية المسعودى فى مروج الذهب و ابن‌خلكان فى وفيات الأعيان انما تشير بوضوح الى سرور معاوية بموت الحسن و اطمئنانه الى أن الأمور ستسير فى البيعة لولده يزيد، كما يريد، و قد زالت العقبة الكؤود أمام هذه البيعة، روى ابن‌خلكان أنه لما كتب مروان الى معاوية بشكاته (أى

الحسن) كتب اليه معاويـة أن أقبـل المطى الى بخبر الحسن، و لمـا بلغه موته سـمع تكبيرا من الخضـر، فكبر أهل الشام لـذلك التكبير، فقـالت فاختـة زوجـة معاويـة، أقر الله عينـك يـا أميرالمؤمنين، مـا الـذى كبرت له، قـال مات الحسن رضـى الله عنه، قالت: أعلى موت ابن‌فاطمـة تكبر، قـال: و الله مـا كبرت شـماتة بموته، ولكن استراح قلبى، و كـان ابن‌عبـاس بالشـام، فـدخل عليه، فقال يا ابن‌عباس هل تـدرى ما حـدث فى أهل بيتك، قال لا أدرى ما حـدث، الا أنى أراك مستبشـرا، و قـد بلغنى تكبيرك و سـجودك قال مات الحسـن رضـى الله عنه، قال انا الله و انا اليه راجعون، يرحم الله أبامحمد (ثلاثا) ثم قال: «و الله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك، و لا يزيد نقص عمره فى يومـك، و ان كنـا أصـبنا بـالحسن، لقـد أصـبنا بـابن امـام المتقين، و ابن خـاتم النبيين، فسـكن الله تلـك العبرة، و جبر تلك المصيبة، و كان الله الخلف علينا من بعده.».

و منها أن الموت بالسم قـد عرف على أيام معاويـة على نحو غريب مريب، مات الأشتر، فيما يقول المؤرخون، مسـموما فى طريقـة الى ولاية مصر، فخلصت مصر لمعاوية، و قال عمرو بن العاص «ان لله لجندا من عسل»، و مات عبد

[صفحه ۱۳۵]

الرحمن بن خالد بن الوليد مسـموما بحمص، و طبقا لرواية الطبرى و ابن‌الأثير، فان سـبب موته أن شأنه قد عظم عند أهل الشام و مالوا اليه، لمآثر أبيه و لغنائه فى بلاد الروم و شدة بأسه، فخافه معاوية و خشـى منه، فأمر ابن آثال النصـرانى أن يحتال فى قتل فسمه، و هكذا مات الحسن بن على و الأشتر و عبـدالرحمن بن خالـد، أعـداء معاويـة بغير علـة موصوفـة فى الموعد الذى يبغيه معاوية، و تترتب عليه سياسـته التى كان يرجئها الى مواعيدها، فالحسن يموت قبل بيعة يزيد كى لا يخرج معاوية على شـرطه المكتوب، و الأشتر يموت على أبواب مصر، و عبدالرحمن بن خالد يموت، و هو فى أوج سمعته بين قوم أعجبوا من قبل بأبيه، و يوشك أن يتجمع حوله الناقمون من أهل الشام و الكوفـة و الحجاز، و كثيرا ما يتحدث المؤرخون بأن الامام الحسن قال لبعض عائدية فى مرضه الأخير: «لقد سـقيت السـم مرات، ولكن لم أسق قط سـما أشد على من هذا الذى سقيته هذه المرة، و لقد لفظت آنفا قطعة من كبدى»، و منها ما روى أن الحسن فى لحظاته الأخيرة حضـر فى ذهنه غـدر معاويـة، فقال «لقـد حاقت شـربته،و الله ما وفى بما وعـد، و لا صـدق فيما قال»، و هكذا تكاد الروايات تتواتر بأن معاويـة أغرى جعدة امرأة الحسن بسـمه، و وعدها أن يزوجها يزيد، و يعطيها مائة ألف درهم، فوفى بوعد المال، و لم يوف بوعد الزواج.

على أن هناك من يـدفع التهمـة عن معاويـة، فابن خلـدون يقول: و ما ينقل أن معاويـة قد دس السم الى الامام الحسن على يد زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، و حاشا لمعاوية ذلك، و أنكر القاضى ابن العربى كذلك سم معاوية للحسن،لأن معاوية ما كان ليتقى من الحسن بأسا، و قد سلم الأمر، ثم ان ذلك أمر مغيب لا يعلمه الا الله، و الرأى عند ابن تيمية، كما فى منهاج السنة، أن ذلك لم يثبت ببينة شـرعية، و لا اقرار معتبر، و لا نقل يجزم به، ثم ان الحسن مات بالمدينة و معاوية بالشام، ثم افترض عدة احتمالات منها أن الحسن كان مطلاقا لا يدوم مع امرأة، و أضاف فى «المنتقى»، و (مختصـر منهاج السنة) فلعلها (أى امرأة الحسن) سمته لغرض، والله أعلم بحقيقة الحال، و قد قيل «ان أباها الأشعث بن قيس أمرها بذلك، فانه كان يتهم بالانحراف فى الباطن عن على و ابنه

[صفحه ۱۳۶]

الحسن، و اذا قيل ان معاوية أمر أباها كان ظنا محضا»، و أما ابن‌كثير فيرى أن سم الحسن عن طريق يزيد أو معاوية ليس بصحيح، و ان لم يذكر أسبابا لذلك.

و هكذا تتلخص حجج المعارضين فى أمور، منها أن معاوية ما كان ليتقى من الحسن بأسا و قد سلم الأمر اليه، و هذا غير صحيح فان شروط الصلح، كما أشرنا عدة مرات، تقضى بأن يسلم معاوية الأمر من بعده للحسن أو أن يجعله شورى بين المسلمين، و من ثم فلم يكن معاوية يستطيع أن يعهد بولاية العهد لولده يزيد، و الامام الحسن ما زال على قيد الحياة، و من ثم دس السم له، كما يقول أبوالفرج و غيره، و أما أنه أمر مغيب لا يعلمه الا الله، فتلك حقيقة، غير أن ظواهر الأمور انما تشير الى صاحب المصلحة فى موت الامام الحسن، و منها ما ذهب اليه ابن تيمية من أن ذلك لم يثبت ببينه شرعية و لا اقرار معتبر... الخ، فلست أدرى ماذا كان يريد الامام ابن تيمية، هل يريد اقرارا من معاوية أو يزيد، أو حتى من جعدة بذلك، ما أظن ذلك فى الامكان، فضلا عن تعارضه مع المنطق فمن أرادوا موت الحسن أرادوا منه مصلحة لانفسهم، و لن تتحقق لهم هذه المصلحة ان اعترفوا، بل العكس هو الصحيح، و أما أن معاوية كان بالشام و الحسن مات بالمدينة، فلم يقل أحد أنه أو يزيد هو الذى سم الحسن بنفسه، و انما قيل أنهما حرضا على ذلك، و بديهى أن المحرض ليس بالضرورة أن يكون فى مكان الجريمة، بل ربما كان من الحكمة أن يكون بعيدا حتى يبعد عن نفسه الشبهات، و أما قول ابن تيمية أن الحسن كان مطلاقا لا يدوم مع امرأة، و أن امرأته سمته لغرض، فتلك غمزات فى الامام الحسن، ما كنا نرجو أن يقع فيها ابن تيمية، ثم ان جعدة، أو حتى غيرها، لن تستفيد من سمه فى هذه الحالة، فهو لن يخلص لها وحدها، بل لن يخلص لها أبدا، ثم أليس ذلك ظنا محضا، و هذا ما رفضه ابن تيمية، اعتمادا على الحديث الشريف «اياكم و الظن فان الظن أكذب الحديث»، و أما أن أباها الأشعث هو الذى أمرها أو أن معاوية هو الذى أمر أباها، فهذا ما لم يقل به أحدا.

و على أى حال، فلا شك أن الامام الحسن، كما تقول الروايات المتعددة،

[صفحه ۱۳۷]

مات مسموما، و هنا كما يقول الدكتور طه حسين يختلف المؤرخون و الرواة، فأما الشيعة فيرون أن معاوية قد دس اليه من سمه، ليخلو له و لابنه وجه الخلافة، و أما مؤرخو الجماعة من أهل السنة فيرون ذلك و يكثرون من روايته، ولكنهم لا يقطعون به، و من المحدثين من يرويه ولكنه يراه بعيدا، و لا لشىء الا لأن معاوية قد صحب النبى صلى الله عليه و سلم فلا يليق به أن يأتى هذا الأمر البغيض.

على أن الامام السيوطى انما يذهب فى تاريخ الخلفاء الى أن الامام الحسن قد توفى مسموما بالمدينة، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، دس اليها يزيد بن معاوية أن تسمه فيتزوجها ففعلت، فلما مات الحسن بعثت الى يزيد تسأله الوفاء، فقال: «انا لم نرضك للحسن، أفنرضاك لأنفسنا»، و روى ابن كثير أن بعضهم روى أن يزيد بن معاوية بعث الى جعدة بنت الأشعث أن سمى الحسن و أنا أتزوجك بعده، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت اليه فقال: «انا و الله لم نرضك للحسن، أفنرضاك لأنفسنا»، و ذهب الأستاذ موسى محمد على أن سبب وفاة الامام الحسن رضى الله عنه ما كان يخشاه يزيد بن معاوية، من رجوع الأمر الى الحسن، بعد وفاة معاوية، ذلك أن معاهدة الصلح التى أبرمت بين الامام الحسن و معاوية، كانت كفيلة برجوع الأمر الى الحسن بعد موت معاوية، فشروط الصلح التى تمت بين الطرفين عليها امضاء معاوية و هو الخليفة، و كان ذلك تحت يد الامام الحسن رضى الله عنه حسبما تم الاتفاق بينهما على ذلك، و كان يزيد بن معاوية لا يتمتع بسمعة طيبة، عكس ما عليه الامام الحسن من حب الناس له، و تقديرهم اياه و قرابته لسيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، من أجل ذلك فكر يزيد و قدر، و رتب أموره و أحكم خطته، ودس لاحدى زوجات الامام الحسن رضى الله عنه و هى جعدة بنت الأشعث و عاهدها و وعدها و مناها أنها، ان أنفذت أمره و حققت رغبته، و قتلت الامام الحسن، ليتزوجها، و بذل لها يزيد مائة ألف درهم، و استجابت لنزعاته و أحكمت خطتها، و دبرت مكرها فأطعمته رضى الله عنه السم، فمرض لمدة أربعين يوما، ثم كان ما كان من وفاته، فمات حميدا شهيدا رضى الله عنه و بعثت ليزيد بعد موت الامام الحسن رضى الله عنه تطلب منه الوفاء

[صفحه ۱۳۸]

بما وعدها، ولكن الله لا يهدى كيد الخائنين، فقال لها يزيد لم تصنعى الخير مع ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم و من هو خير منى، فكيف تصنعينه معى، فباءت بالخيبة جزاء ما صنعت بالخيانة و جنت ثمار الغدر بما ارتكبته بالمكر و الاجرام.

هذا و يعتمد الذين يذهبون الى أن يزيد هو المحرض على سم الحسن، و ليس أبوه معاوية، على أمور، منها أنه لما عرف أن أباه معاوية يريد أن يقلب الخلافة الى ملك و يجعله و راثيا يتعاقبه ولد عن والده، و صادف ذلك هوى فى نفس يزيد لأنه يتوق اليه و يتمناه، و اختمرت الفكرة فى نفس يزيد و استبد به حب الملك عقب مقابلة المغيرة بن شعبة، و ترغيبه فى أن يكون ولى عهد أبيه، و من ثم فقد قصد أباه و قال له: «يا أبتاه ما أراك صنعت لبنيك شيئا من بعدك، و ما دبرت لهم أمرا، و عهدى بك داهية العجم و العرب و رجل السياسة و التجارب»، فابتسم له أبوه و قال: يا بنى لم أغفل عن أمر، ولكنى مرتبط بعهد كتابى بينى و بين الحسن بن على، على أن تكون له الخلافة بعدى، اذا أنا قبضت قبله، فانتظر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، و انصرف يزيد يفكر و يدبر، فهداه تفكيره الى أن يتخلص من العقبة التى تعترض ولايته للملك بعد أبيه، فأرسل يزيد من يفاوض جعدة بنت الأشعث زوج الحسن فى أن تسمه، مقابل مائة ألف درهم، و أن يتزوجها يزيد بعد موت الحسن، و بمعنى آخر أن يزيد انما هو صاحب المصلحة فى موت الحسن، و منها أن يزيد كان يتوعد الامام الحسن و يهدده، أخرج الحافظ ابن‌كثير بسنده عن زيد بن أسلم قال: دخل رجل على الحسن بن على، و هو بالمدينة، وفى يده صحيفة، فقال ما هذه، فقال: ابن‌معاوية يعدنيها و يتوعد، قال: «كنت على النصف منه، قال أجل، ولكن خشيت أن يجىء يوم القيامة سبعون ألفا، أو ثمانون ألفا أو أكثر أو أقل، تنضح أوداجهم دما، كلهم يستعدى الله فيم هريق دمه».

[صفحه ۱۳۹]

فى رحاب الامام الحسن

تواضعه و عفوه

عرف الامام الحسن، من بين ما عرف به من مكارم الأخلاق، بالتواضع، و هى صفة، تدل دون شك، على كمال النفس و سموها و شرفها، و فى الحديث الشريف «ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة، فتواضعوا يرحمكم الله»، و عملا بحديث جده صلى الله عليه و سلم كان امامنا الحسن، رغم ما كان له من مكانة فى النفوس و هيبة من الأعين، و متواضعا مع الناس جميعا، كأنه واحد منهم، روى الشيخ الصبان فى اسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى و آل بيته الطاهرين «أن الامام الاحسن مر ذات يوم بصبيان يأكلون كسرا من الخبز، فاستضافوه، فنزل و أكل معهم ثم حملهم الى منزله، و قدم لهم ألوانا من الطعام، و كساهم بألوان من الثياب و قال: اليد لهم (أى الفضل لهم) لأنهم لم يجدوا غير ما أطعمونا، و نحن نجد كثيرا مما أعطيناهم».

هذا و قد كان من مكارم الامام الحسن و حسن أخلاقه، و أنه كان يقابل الاساءة بالاحسان، فقد كان عنده شاة، فوجدها يوما قد كسرت رجلها، فقال لغلامه: من فعل هذا بها، قال أنا، قال و لم ذاك، قال: لأجلب لك الهم و الغم، فتبسم الامام الحسن، و قال له: لأسرك، فأعتقه و أجزل له فى العطاء، و أخرج الراغب الأصبهانى فى محاضراته، فقال: جنى غلام للحسن رضى الله عنه فأمر الحسن

بعقابه، فقال الغلام: يا مولاى ان الله قد مدح قوما مكن منهم، فقال

[صفحه ۱۴۰]

«و الكاظمين الغيظ، فقال الحسن: خلوا سبيله، قال و قد قال «والله يحب المحسنين»، قال الامام الحسن: «أنت حر لوجه الله، و لك من المال كذا»، و قد روى أن رجلا- من أهل الشام، ممن غذاهم معاوية الكراهة و الحقد على آل البيت الطاهرين، اجتاز على الامام الحسن، فأخذ يكيل له السب و الشتم، و الامام ساكت لم يرد عليه شيئا من مقالته، و بعد فراغه التفت الامام اليه فخاطبه بناعم القول ثم قال له: «أيها الشيخ أظنك غريبا، لو سألتنا أعطيناك، و لو استرشدتنا أرشدناك، و لو استحملتنا حملناك، و ان كنت جائعا أطعمناك، و ان كنت محتاجا أغنيناك، و ان كنت طريدا آويناك»، و ما زال الامام يلاطفه ليقلع روح الشر من نفسه، حتى ذهل، و بقى حائرا خجلا- لا- يعرف كيف يعتذر للامام، و طفق يقول «الله أعلم حيث يجعل رسالته»، و أخرج الفقيه ابن‌خلكان فى وفيات الأعيان بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: ان رجلا من أهل الشام قال: دخلت المدينة، على ساكنها أفضل الصلاة و السلام، فرأيت رجلا راكبا على بغلة، لم أر أحسن وجها و لا- سمتا و لا ثوبا و لا دابة منه، فمال قلبى اليه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن على بن أبى‌طالب، فامتلأ قلبى له بغضا، و حسدت عليا أن يكون له ابن مثله، فصرت اليه و قلت له: أأنت ابن على بن أبى‌طالب، قال: أنا ابنه، قلت فعل الله بك و بأبيك كذا و كذا، أسبهما، فلما انقضى كلامى، قال لى: أحسبك غريبا، قلت أجل، قال: «مل بنا، فان احتجت الى منزل أنزلناك، أو الى مال آسيناك أو الى حاجة عاوناك، قال: فانصرفت عنه، و ما على الأرض أحب الى منه، و ما فكرت فيما صنع و صنعت، الا شكرته و خزيت نفسى».

و روى أن الامام الحسن كان جالسا عند باب داره فى الكوفة، اذا جاء أعرابى فسبه و سب أباه و أمه، فنهض الحسن بن على قائلا: أيها الأعرابى: أجوعان أنت حتى أطعمك، أم ظمآن حتى أرويك، أم ماذا بك؟، فلم يلتفت الأعرابى اليه، بل استمر فى سبابه، فأمر الحسن عبده أن يأتى بكيس من الفضة، ثم أعطاه للرجل قائلا- «عفوا أيها الأعرابى، فليس لدى غيره، ولو كان لدى المزيد لأعطيتك»، و عندما سمع الأعرابى منه ذلك القول، صاح «أشهد أنك ابن بنت النبى صلى الله عليه و سلم فقد

[صفحه ۱۴۱]

جئت اختبرك»، ثم قال: «هكذا يكون أولياء الله الحقيقيون الذين لا- يهمهم أمدحهم الناس أم لاموهم، و الذين يستمعون اللوم هادئين، فيستوى عندهم مدح الخلق لهم أو قدحهم فيهم»، و هكذا كان الامام الحسن مثالا للانسانية الكريمة، و رمزا للخلق العظيم، لا يثيره الغضب، و لا يزعجه المكروه، قد وضع نصب عينيه قول الله تعالى «ادفع بالتى هى أحسن، فاذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم»، و قد قابل كل ما لاقاه من سوء أو أذى أو مكروه من الحاقدين عليه بالصبر و الصفح الجميل، حتى اعترف ألد خصومه، مروان بن الحكم، بسمو حلمه و عظيم خلقه، أخرج ابن‌حجر فى تهذيب التهذيب بسنده قال قال جويرة: لما مات الحسن بن على بكى مروان فى جنازته، فقال الحسين: أتبكيه و قد كنت تجرعه ما تجرعه، فقال: «انى كنت أفعل ذلك الى أحلم من هذا، و أشار بيده الى الجبل»، و وصف اليافعى الامام الحسن فى مرآة الجنان فقال: «و مناقبه بالأنساب و الاكتساب و القرابة و النجابة و المحاسن، فى الظاهر و الباطن، معروفة مشهورة، وفى تعدادها غير محصورة، و كان مع نهاية الشرف و الارتفاع فى غاية التلطف و الارتفاع».

كرمه و جوده

كان الامام الحسن، عليه‌السلام، كريما شجاعا، لا يعرف للمال قيمة، و لا يرى له أهمية، سوى ما يرد به جوع جائع أو يكسو به عاريا أو يغيث به ملهوفا، أو يفى به دين غارم، كان ندى الكف، مبسوط اليدين بالعطاء، و متمسكا بأهداف السخاء، بعيدا عن البخل و ضروبه، فقد كان السخاء عنصرا من عناصر ذات الحسن و مقوما من مقومات مراجه، و كان الكرم غريزة موصلة فيه، لاتنفك عنه و لا تنقطع منه، و كان الجود سجية وجدت مع وجوده، لا تبرح عنه لحظة و لا تتخلى عنه آونة، و قد أقر عنه أنه ما قال لسائل: لا، قط، و أخرج أبونعيم فى حلية الأولياء بسنده: «أن الحسن بن على رضى الله عنه خرج عن ماله مرتين، و قاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات».

و روى الشبلنجى فى نور الأبصار، و ابن‌خلكان فى وفيات الأعيان، أن

[صفحه ۱۴۲]

الامام الحسن سئل لأى شىء نراك لا ترد سائلا، و ان كنت على فاقة، فقال: «انى لله سائل، و فيه راغب، و أنا أستحى من أن أكون سائلا و أرد سائلا، و ان الله تعالى عودنى عادة، عودنى أن يفيض نعمة على، و عودته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى ان قطعت عادتى، أن يمنعنى عادته»، و أخرج ابن‌كثير عن محمد بن سيرين قال: «ربما أجاز الحسن بن على الرجل الواحد بمائة ألف»، و قال سعيد بن عبدالعزيز: سمع الحسن رجلا الى جانبه يدعو الله أن يملكه عشرة ألاف درهم، فقام الى منزلة فبعث بها اليه، و ذكروا أن الحسن رأى غلاما أسود يأكل من رغيف لقمة، و يطعم كلبا هناك لقمة، فقال له: ما حملك على هذا، فقال انى أستحى منه أن آكل و لا أطعمه، فقال له الحسن: لا تبرح من مكانك حتى آتيك، فذهب الى سيده فاشتراه، و اشترى الحائط (البستان) الذى هو فيه، فأعتقه و ملكه الحائط، فقال الغلام: «يا مولاى، قد وهبت الحائط للذى وهبتنى اليه».

و روى الشبلنجى أن رجلا شكا الى الامام الحسن حاله، فدعا الحسن رضى الله عنه وكيله، فجعل يحاسبه على نفقاته و مقبوضاته حتى استقصاها، و أحضر له ما فاض عن ذلك، و قدره خمسون ألف درهم، ثم قال له: «ما فعلت بالخمسمائة دينار التى معك، قال عندى، قال الحسن رضى الله عنه فأحضرها، فلما أحضرها دفع الدراهم و الدنانير الى رجل، و اعتذر منه»، و أخرج اليافعى فى مرآة الجنان: أن الامام الحسن قال للرجل: ايت بجمال تحمل لك فأتى بجمال فأعطاه طيلسانه و قال: «يكون كراء الجمال من قبلى».

هذا و قد روى أنه رضى الله عنه اشترى بستانا من الأنصار بأربعمائة ألف، ثم بلغه بعد ذلك أنهم قد احتاجوا الى ما فى أيدى الناس، فرده اليهم، و بذلك أنقذهم من ذل السؤال، و هذا من أفضل أنواع السخاء، هذا و روى أن جارية له قد حيته بطاقة من ريحان، فقال لها: أنت حرة لوجه الله، فلامه أنس بن مالك على ذلك فأجابه: أدبنا الله تعالى فقال «و اذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها»، و كان أحسن منها اعتاقها، و روى كتاب «الامام الحسن» أن الامام الحسن خرج مع سيدالشهداء الامام الحسين و ابن عمهما عبدالله بن جعفر، وافدين الى بيت.

[صفحه ۱۴۳]

الله الحرام فى مكة المكرمة، و فى أثناء الطريق أصابهم جوع و عطش، و قد سبقتهم أثقالهم، و ليس معهم شىء، فانعطفوا الى بيت فى الصحراء لم يروا فيه الا عجوزا، لم يك عندها سوى شاة، فاستضافتهم و قدمت لهم الشاة قائلة: دونكم هذه الشاة فاحلبوها و اشربوا لبنها، ثم أقسمت عليهم بعد ذلك أن يذبحها أحدهم حتى تهىء الحطب لشيها، و بعد الفراغ من تناول الطعام عزموا على الرحيل ثم عرفوها بأنفسهم قائلين: «يا أمة الله انا نفر من قريش نريد حج بيت الحرام، فاذا رجعنا سالمين فهلمى الينا لنكافئك على هذا الصنيع الجميل» و انصرفوا فأقبل زوجها، و ما أن علم بالأمر حتى أنبها قائلا: «ويلك أتذبحين الشاة لأناس لا تعرفينهم، ثم تقولين انهم نفر من

قريش»، و مضت الأيام، و أصاب البادية قحط شديد، و اضطرت المرأة و زوجها الى النزوح عن البادية الى المدينة، و لم يجدا عملا سوى التقاط البعر من الطرقات و بيعه للناس، و فى يوم من الأيام لمح الامام الحسن المرأة فعرفها، و قد حل وفاء الدين، و المعروف فى ذمة الأحرار دين، فأمر غلامه باحضارها ثم سألها: أتعرفيننى يا أمة الله، أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا، قالت لست أعرفك، قال: ان لم تعرفيننى فأنا أعرفك، ثم أمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة و أعطاها ألف دينار، ثم أمر غلامه أن يذهب بها الى الامام الحسين، فما أن دخلت عليه حتى عرفها، و قال للغلام: كم أعطاها أخى، فأخبره الغلام، فوصلها بمثل ذلك، ثم بعث بها الى عبدالله بن جعفر، فأمر لها بألفى شاة و ألفى دينار، فأخذت ذلك كله، و تغير حالها من فقر مدقع الى غنى و ثروة، كل ذلك من بر الامام الحسن و أخيه و ابن عمه و فضلهم آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم.

هذا و قد روى أن مروان بن الحكم قال يوما: انى لمشغوف ببغلة الحسن بن على فمن يأتينى بها، فقال ابن أبى‌عتيق، ان دفعتها اليك تقضى لى ثلاثين حاجة، قال نعم، قال: فاذا اجتمع الناس عندك العشية فانى آخذ من مآثر قريش، و أمسك عن الحسن، فلمنى على ذلك، فلما أخذ الناس مجالسهم أفاض فى أولية قريش، فقال مروان: ألا تذكر أولية أبى‌محمد (أى الحسن) و له فى هذا ما ليس

[صفحه ۱۴۴]

لأحد، فقال ابن أبى‌عتيق: انما كنا فى ذكر الأشراف، و لو كنا فى ذكر الأنبياء، لذكرنا فضائل أبى‌محمد، و لما خرج الامام الحسن ليركب تبعه ابن أبى‌عتيق، فقال له الحسن و تبسم: «ألك حاجة، قال نعم، البغلة، فنزل الامام عنها و دفعها اليه».

جرأته و شجاعته الادبية

اشتهر الامام الحسن بالحلم، حتى عرفه قوم بحليم آل البيت، و قد أشرنا من قبل كيف وصفه عدو آل‌البيت، مروان بأنه أحلم من الجبل، غير أن هذا الحلم سرعان ما ينقلب الى حده، و شدة، دونما خروج على الحق، أو ايغال فى الخصومة، خاصة اذا ما كان الأمر يتصل بأبيه الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة أو آل بيته الطاهرين المطهرين، أو يتصل بصون كرامته و مقامه بين الناس، روى ابن أبى‌الحديد فى شرح نهج‌البلاغة عن ابن‌عباس رضى الله عنه أنه قال: دخل الحسن على معاوية بعد عام الجماعة، و هو جالس فى مجلس ضيق، فجلس عند رجليه، فتحدث معاوية ما شاء الله له أن يتحدث، ثم قال: عجبا لعائشة تزعم أنى فى غير ما أنا أهله، و أن الذى أصبحت فيه ليس لى بحق، و ما لها و لهذا، يغفر الله لها، انما كان ينازعنا فى هذا الأمر، أبو هذا الجالس، وقد استأثر الله به، فقال الحسن: أو عجب ذلك يا معاوية، قال: أى و الله، و قال الحسن: أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا، قال ما هو، قال الحسن: جلوسك فى صدر المجلس و أنا عند رجليك، قال: فضحك معاوية و قال: يا ابن أخى بلغنى أن عليك دينا، قال: ان لعلى دينا، قال كم هو، قال: مائة ألف، قال: قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف، مائة منها لدينك، و مائة تقسمها فى أهل بيتك، و مائة لخاصة نفسك، فقم مكرما و اقبض صلتك، فلما خرج الحسن، عليه‌السلام قال يزيد لأبيه معاوية: تالله ما رأيت رجلا استقبلك بما استقبلك به، ثم أمرت له بثلاثمائة ألف، قال معاوية «يا بنى ان الحق حقهم، فمن أتاك منهم فاحث له».

هذا و قد روى أن معاوية قام خطيبا على المنبر، فتهكم على أميرالمؤمنين

[صفحه ۱۴۵]

الامام على، و قال: من على؟ فقام الامام الحسن و قال: ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له عدوا من المنافقين، و قال تعالى «و كذلك

جعلنا لكل نبى عـدوا من المجرمين»، و أنا ابن‌على، و أنت ابن‌صـخر، و أمك هنـد، و أمى فاطمة، وجدتك قتيلة، و جدتى خديجة، و جدى رسول الله صلى الله عليه و سلم و جدك عتبة بن ربيعة، فلعن الله ألأمنا حسبا، و أخملنا ذكرا، و أقدمنا كفرا و أشدنا نفاقا، فصاح أهـل المسـجد آميـن، قـال الفضـل، قـال يحيى بـن معين: و نحن نقـول آمين، قـال أبوعبيـد: و نحن أيضـا نقـول آمين، قـال أبـوالفرج الأصفهانى الأموى: «و أنا أقول آمين».

و لا ريب فى أن جرأة الامام الحسن انما هى صفة لازمته منذ الصغر، و قد أشرنا من قبل، الى أنه دخل مسجد جده رسول الله صلى الله عليه و سلم فى طفولته، لم يكن قـد بلغ الثامنـة من عمره، فرأى أبابكر الصديق رضـى الله عنه يخطب على المنبر، فهتف به: «ليس هذا منبر أبيك، أنزل عن منبر أبى»، فابتسم له الصديق رضـى الله عنه فى حنان «يا ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم صدقت و الله، ما كان لأبى منبر، و انه لمنبر أبيك».

و روى ابن عبـد ربه فى العقد الفريد أنه بينما معاوية جالس فى أصـحابه، اذ قيل له الحسن بالباب، فقال معاوية: ان دخل أفسد علينا ما نحن فيه، فقال له مروان بن حكم: ائـذن لى، فانى أسأله ما ليس عنـده فيه جواب، قال معاويـة: لا تفعل فانهم قوم قـد ألهموا الكلام، و أذن له، فلما دخل الحسن و جلس، قال له مروان: أسـرع الشـيب الى شاربك يا حسن و يقال أن ذلك من الخرف، فقال الحسن: ليس كما بلغك، ولكنا معشـر بنى‌هاشم، أفواهنا عذبة شفاهها، فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن و قبلهن، و أنتم معشر بنى‌أمية فيكم بخر شديد، فنساؤكم يصـرفن أفواههن و أنفاسـهن عنكم الى أصـداغكم، فانما يشـيب منكم موضع العـذار من أجل ذلك، قال مروان: ان فيكم يا بنى‌هـاشم خصـلة سوء، قـال و مـا هى، قال: الغلمـة (شـدة الشـهوة للجماع)، قال الحسن: أجل: نزعت الغلمـة من نساءئنا و وضـعت فى رجالنـا، و نزعت الغلمـة من رجـالكم و وضـعت فى نسائكم، فما قام لأمويـة الا هاشـمى، فغضب معاويـة و قال: «كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم، وقد أفسد عليكم مجلسكم».

[صفحه ۱۴۶]

و هناك الحوار العنيف المشـهور بين الامام الحسن و بطانة معاوية فى مجلس معاوية، ننقله عن ابن أبى‌الحديد فى شرح النهج [۳] ، و عن الطاهر بن عبدالسلام فى حصن السلام، و الزبير بن بكار فى كتاب المفاخرات.

روى أنه اجتمع الى معاويـة رهـط من شـيعته المناوئين للامام الحسن و آل البيت، و هم عمرو بن العاص و عمرو بن عثمان بن عفان و الوليـد بن عقبـة بن أبى‌معيط و عتبـة بن أبى‌سـفيان و المغيرة بن شـعبة، و كان قـد بلغهم عن الامام الحسن بعض قوارص، و بلغه عنهم مثـل ذلك، فقالوا لمعاويـة: ان الحسن قـد أحيا أباه و ذكره، قال فصـدق، و أمر فأطيع، و خففت له النعال، و ان ذلك لرافعه الى ما هو أعظم منه، و لاـ يزال يبلغنـا عنه مـا يسـىء الينـا، فـابعث اليه فليحضـر، لنسـبه و نسب أبـاه، و نوبخه و نخبره أن أبـاه قتل عثمان و نقرره بـذلك، فقـال لهم معاويـة: انى لا أرى ذلك و لا أفعله، فعزموا عليه فقال: لا تفعلوا، انى أخاف أن يقلـدكم قلائـد يبقى عليكم عارها حتى تدخلكم قبوركم، فوالله ما رأيته قط جالسا عندى، الا خفت مقامه و عيبه لى، ثم قال: انه ألسن بنى‌هاشم، قالوا ابعث اليه على كل حـال، قـال: ان بعثت اليه لأنصـفنه منكم، فقال عمرو بن العاص: أتخشـى أن يأتى باطله على حقنا، قال: أما أنى لو بعثت اليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله، و اعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب و لا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوه بحجره، تقولون له: أن أباك قتل عثمان و كره خلافة الخلفاء قبله.

و جاء رسول معاويـة الى الامام الحسن فقال له: يـدعوك معاويـة، قال و من عنده، قال: عنده فلان و فلان، و سـمى كلا منهم باسـمه، فقـال الحسن: مـا لهم، خر عليهم السـقف من فوقهم و أتاهم العـذاب من حيث لا يشـعرون، يا جاريـة أبلغينى ثيابى، ثم قال: اللهم انى أدرأ بك فى نحرهم و أعوذ بك من شـرورهم، و أسـتعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شـئت و أنى شـئت من حولك و قوتك يا أرحم

الراحمين، فلما دخل على معاوية أعظمه و أكرمه و أجلسه الى جانبه، و قد ارتاد القوم

[صفحه ۱۴۷]

و خطروا خطران الفحول بغيا فى أنفسهم و علوا، ثم قال معاوية: يا أبامحمد: ان هؤلاء بعثوا اليك و عصونى ليقرروك أن عثمان قتل مظلوما، و أن أباك قتله، فقال الامام الحسن: سبحان الله، الدار داركَ، و الاذن فيها انيك، و ان كنت أجبتهم لما أرادوا و ما فى أنفسهم، انى لأستحى لك من الفحش، و ان كانوا غلبوك على رأيك، انى لأستحى لك من الضعف، أما انى لو علمت بمكانهم جئت بمثلهم من بنى عبدالمطلب، و ما لى أن أكون مستوحشا منك و لا منهم، ان ولى الله الذى نزل الكتاب و هو يتولى الصالحين، فقال معاوية: انى كرهت أن أدعوك، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك، و ان لك منهم النصف و منى، و انما دعوناك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما، و أن أباك قتله فأجبهم و لا تمنعك وحدتك و اجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك.

فتكلم عمرو بن عفان، فقال: ما سمعت كاليوم أن بقى من بنى عبدالمطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان، و كان من ابن أختهم، و الفاضل فى الاسلام منزلة، و الخاص برسول الله صلى الله عليه و سلم أثرة، فسفكوا دمه اعتداء و طلبا للفتنة و حسدا و نفاسة، و طلب ما ليسوا بأهل لذلك، مع سوابقه و منزلته من الله و رسوله و من الاسلام، فيا ذلاه أن يكون حسن و سائر بنى عبدالمطلب و قتلة عثمان أحياء يمشون على مناكب الأرض، و عثمان مضرج بدمه، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دما بقتلى بنى‌أمية ببدر.

و قال عمرو بن العاص: أى يا ابن أبى‌تراب، بعثنا اليك لنقررك أن أباك شتم أبابكر الصديق، و اشترك فى قتل عمر الفاروق و قتل عثمان ذى النورين مظلوما، فادعى ما ليس بحق (أى الخلافة) و ذكر الفتنة وعيره بها، ثم قال: انكم بنى عبدالمطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك و على قتلكم الخلفاء و واستحلالكم ما حرم الله من الدماء و حرصكم على الملك و ايتانكم ما لا يحل ثم انك يا حسن تحدث نفسك أن الخلافة صائرة اليك، و ليس عندك عقل ذلك و لا لبه، فكيف و قد سلبته و تركت أحمق قريش، و انما دعوناك لنسبك و أباك، ثم أنت لا تستطيع أن تعتب علينا، و لا أن تكذبنا فى شىء به، فان كنت ترى أنا كذبناك فى شىء، و تقولنا عليك بالباطل، و ادعينا خلاف الحق فتكلم، و الا فاعلم أنك و أباك من شر

[صفحه ۱۴۸]

ما خلق الله، أما أبوك فقد كفانا الله قتله و تفرد به، و أما أنت فلو قتلناك ما كان علينا اثم من الله و لا عيب من الناس.

و قال الوليد بن عقبة: يا بنى‌هاشم: كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم، و كنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظالما، فكيف ترون الله طلب بدمه، و الله ان بنى‌أمية خير لبنى‌هاشم من بنى‌هاشم لبنى‌أمية.

و قال عتبة بن أبى‌سفيان: يا حسن كان أبوك شر قريش لقريش، أسفكه لدمائها و أقطعه لأرحامها، طويل السيف و اللسان، يقتل الحى و يعيب الميت، و أما رجاؤك الخلافة فلست فى زندها قادحا، و لا فى ميزانها راجحا، و انكم يا بنى‌هاشم قتلتم عثمان، و ان فى الحق أن نقتلك و أخاك به، و أما أبوك فقد كفانا الله أمره.

و تكلم المغيرة بن شعبة: فشتم عليا، و قال و الله ما أعيبه فى قضية يخون، و لا فى حكم يميل، ولكنه قتل عثمان، ورد الامام الحسن بن على فقال، بعد أن حمدالله و أثنى عليه، و صلى على رسوله صلى الله عليه و سلم، أنا بعد: يا معاوية، انه لعمر الله يا أزرق ما شتمنى غيرك، و ما هؤلاء شتمونى، و لا سبنى غيرك، و ما هؤلاء سبونى، ولكنك شتمتنى فحشا ألفته، و سوء رأى عرفت به، و خلقا سيئا ثبت عليه، و بغيا و عدوانا و حسدا علينا، و عداوة منك لمحمد صلى الله عليه و سلم و أهله، قديما و حديثا، و انه والله لو كنت أنا و

هؤلاء يا أزرق، مثاورين فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و حولنا المهاجرون و الأنصار، ما قدروا أن يتكلموا بمثل ما تكلموا به، و لا استقبلونى بما استقبلونى به، ولكن اسمع يا معاوية و اسمعوا، فلا قولن فيك و فيهم ما هو دون ما فيكم، أنشدكم الله أيها الرهط، هل تعلمون أن الذى شتمتوه منذ اليوم (يعنى الامام على كرم الله وجهه فى الجنة) صلى القبلتين كليهما، و أنت يا معاوية بهما كافر، تراها ضلالة و تعبد اللات و العزى غواية، و بايع البيعتين، بيعة الرضوان و بيعة الفتح، و أنت باحداهما كافر، و بالأخرى ناكث، و أنشدكم بالله، هل تعلمون أنه أول الناس ايمانا، و انك يا معاوية و أباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر و تظهرون

[صفحه ۱۴۹]

الاسلام و تستمالون بالأموال، و أنه كان صاحب راية النبى صلى الله عليه و سلم يوم بدر، و أن راية المشركين كانت مع معاوية، يعبد اللات و العزى، و يرى حرب رسول الله و المؤمنين فرضا واجبا، ثم لقيكم يوم أحد و يوم الأحزاب و معه راية رسول الله صلى الله عليه و سلم و معك و مع أبيك راية الشرك، و فى كل ذلك يفتح الله عليه، و يفلج حجته و ينصر دعوته و يصدق حديثه، و رسول الله صلى الله عليه و سلم فى كل تلك المواطن عنه راض، و عليك و على أبيك ساخط، و بات يحرس رسول الله صلى الله عليه و سلم من المشركين، و فداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل فيه (و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله)، و أنزل فيه (انما وليكم و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون).

«ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله، و يحبه الله و رسوله، كرارا غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فتعرض لها المهاجرون و الأنصار، و على يومئذ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله صلى الله عليه و سلم فتفل فى عينيه فبرىء من الرمد، فأعطاه الراية، فمضى و لم يثن حتى فتح الله عليه بمنه و طوله، و أنت يومئذ بمكة عدو لله و رسوله، فهل يسوى بين رجل نصح لله و رسوله، و رجل عادى الله و رسوله، ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك، و لا أسخطه ذلك و لا كرهه، و تكلم فيه المنافقون، فقال: لا تخلفنى يا رسول الله، فانى لم أتخلف عنك قط، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنت وصيى و خليفتى فى أهلى، و أنت منى بمنزلة هارون من موسى، الا أنه لا نبى بعدى، ثم أخذ بيد على ثم قال: أيها الناس من تولانى فقد تولى الله عزوجل، و من تولى عليا فقد تولانى، و من أطاعنى فقد أطاع الله، و من أطاع عليا فقد أطاعنى، و من أحبنى فقد أحب الله، و من أحب عليا فقد أحبنى، أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فى حجة الوداع: أيها الناس انى تركت فيكم ما لم تضلوا بعده، كتاب الله، فأحلوا حلاله و حرموا حرامه، و اعملوا بمحكمة و آمنوا بمتشابهه، و قولوا آمنا بما أنزل الله فى الكتاب، و أحبوا أهل بيتى و عترتى، و والوا من والاهم، و انصروهم على من عاداهم، و أنهما لم يزالا فيكم حتى يردا على الحوض يوم القيامة، ثم دعا عليا و هو

[صفحه ۱۵۰]

على المنبر، فاجتذبه بيده فقال: اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، اللهم من عادى عليا فلا تجعل له فى الأرض مقعدا، و لا فى السماء مصعدا، أنشدكم بالله هل تعلمون، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له: أنت الذائد عن حوضى يوم القيامة، تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط ابله، أنشدكم بالله هل تعلمون أن عليا دخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مرضه الذى توفى فيه، فبكى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال على: ما يبكيك يا رسول الله، فقال يبكينى أنى أعلم أن لك فى قلوب الرجال من أمتى ضغائن لا يبدونها حتى أتولى عنك، أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين حضرته الوفاة و اجتمع

أهل بيته قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى و عترتى: اللهم وال من والاهم، و انصرهم على من عاداهم، و قال: انما مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجا، و من تخلف عنها غرق، أنشدكم بالله هل تعلمون، و أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قد سلموا عليه (أى الامام على) بالولاية فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى حياته، أشهدكم بالله هل تعلمون أن عليا أول من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله عزوجل «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تعتدوا ان الله يحب المعتدين، و كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا و اتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون»، و كان عنده علم المنايا و علم القضايا و فصل الخطاب و رسوخ العلم و منزل القرآن، و كان فى رهط و لا نعلمهم يتمون عشرة أنهم مؤمنون، و أنتم فى رهط قريب من عدة أولئك لعنوا على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم.

ثم التفت الى معاوية و قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث اليك لتكتب لبنى خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد، فانصرف اليك الرسول، فقال: هو يأكل، فأعاد اليك الرسول ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول و هو يقول: هو يأكل، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم لا تشبع بطنه، فهى و الله فى نهمتك و أكلك الى يوم القيامة، و أنشدكم بالله هل تعلمون انما أقول حقا أنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، و يقوده أخوك هذا القاعد، و هذا يوم الأحزاب، فرآكم رسول الله صلى الله عليه و سلم، فلعن الراكب و القائد و السائق، فكان أبوك

[صفحه ۱۵۱]

الراكب، و أنت يا أزرق السائق، و أخوك هذا القاعد القائد، ثم أتنسى يا معاوية الشعر الذى كتبته لأبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن الاسلام.

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا
بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

خالى و عمى و عم الأم ثالثهم
و حنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركن الى أمر تقلدنا
و الراقصات به فى مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة لقد
حاد ابن‌حرب عن العزى اذا فرقا

و أنتم أيها الرهط: أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لعن أباسفيان فى سبعة مواطن، لا تستطيعون ردها: أولها: يوم لقى رسول الله صلى الله عليه و سلم خارجا من مكة الى الطائف يدعو ثقيفا الى الدين، فوقع به و سبه و سفهه و كذبه و توعده و هم أن يبطش به، و الثانية يوم العير، اذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه و سلم و هى جاثية من الشام، فطردها أبوسفيان و

ساحل بها و لم يظفر بها المسلمون، و لعنه رسول الله صلى الله عليه و سلم و دعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها، و الثالثة يوم أحد، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم الله مولانا، و لا مولى لكم، و قال أبوسفيان: اعل هبل مرارا، لنا العزى و لا عزى لكم، فلعنه رسول الله صلى الله عليه و سلم عشر مرات و لعنه المسلمون، و الرابعة يوم الأحزاب، اذ جاء أبوسفيان يجمع قريش و هوازن، و جاء عيينة بغطفان و اليهود، فلعنه رسول الله صلى الله عليه و سلم و ابتهل، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا، هذا قول الله عزوجل فى سورتين كلتيهما يسمى أباسفيان و أصحابه كفارا، و أنت يومئذ يا معاوية مشرك على رأى أبيك بمكة، و على يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و على رأيه و دينه، و الخامسة يوم الحديبية، يوم جاء أبوسفيان فى قريش يوم صدوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن المسجد الحرام، و الهدى معكوفا أن يبلغ محله، فلعن رسول الله صلى الله عليه و سلم القادة و الأتباع، فقيل يا رسول الله: أفما يرجى الاسلام لأحد منهم، قال: لا تصيب اللعنة أحدا من الأتباع يسلم، و أما القادة فلا يفلح منهم أحد، و السادسة يوم الجمل الأحمر، و السابعة يوم وقفوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الثنية فى العقبة ليستنفروا ناقته، و كانوا اثنى عشر رجلا، منهم أبوسفيان، هذا لك يا معاوية.

و أما أنت يا عمرو بن عثمان، فلم تكن حقيقا لحمقك أن تتبع هذه الأمور،

[صفحه ۱۵۲]

و انى و الله ما شعرت أنك تحسن أن تعادى لى، فيشق على ذلك، و انى لمجيبك فى الذى قلت، ان سبك عليا أبنقص فى حسبه أو تباعده من رسول الله صلى الله عليه و سلم أو بسوء بلاء فى الاسلام، أو بجور فى حكم أو رغبة فى الدنيا، فان قلت واحدة منها فقد كذبت، و أما قولك ان لك فينا تسعة عشر دما بقتلى بدر من مشركى بنى‌أمية، فان الله و رسوله قتلهم، و لعمرى ليقتلن من بنى‌هاشم تسعة عشر، و ثلاثة بعد تسعة عشر، ثم يقتل من بنى‌أمية تسعة عشر، و تسعة عشر فى موطن واحد، سوى ما قتل من بنى‌أمية لا يحصى عددهم الا الله، فان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: اذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلا، أخذوا مال الله بينهم دولا، و عباده خولا، و كتابه دغلا، فاذا بلغوا ثلاثمائة و عشرا حقت عليهم اللعنة و لهم، فاذا بلغوا أربعمائة و خمسة و سبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة، فأقبل الحكم بن أبى‌العاص، و هم فى ذلك الذكر و الكلام، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اخفضوا أصواتكم فان الوزغ يسمع، و ذلك حين رآهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و من يملك بعده منهم أمر هذه الأمة (يعنى فى الرؤيا) وساءه ذلك و شق عليه، فأنزل الله عزوجل فى كتابه «ليلة القدر من ألف شهر»، فأشهد لكم و أشهد عليكم، ما سطلانكم بعد قتل على، الا ألف شهر، التى أجلها الله فى كتابه.

و أما أنت يا ابن النابغة (عمرو بن العاص) فأول أمرك ان أمك لبغية، و أنك ولدت على فراش مشترك، فتحاكمت فيك أهل قريش، منهم أبوسفيان بن حرب و الوليد بن المغيرة و عثمان بن الحارث و النضر بن الحارث بن كلدة، و العاص بن وائل، كلهم يزعم أنك ابنه، فغلبهم عليك من بنى‌قريش ألأمهم حسبا، و أخبثهم منصبا و أعظمهم بغية، ثم قام أبوك فقال أنا شانىء محمد الأبتر، فأنزل الله فيه (ان شانئك هو الأبتر)، و قاتلت رسول الله صلى الله عليه و سلم فى جميع المشاهد و هجوته و آذيته بمكة و كدته، و كنت من أشد الناس له تكذيبا و عداوة، ثم خرجت تريد النجاشى لتأتى بجعفر و أصحابه، فلما أخطأك ما رجوت و رجعك الله خائبا و أكذبك واشيا، جعلت جدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به الى النجاشى، ففضحك الله و فضح صاحبك، فأنت عدو بنى‌هاشم فى الجاهلية

[صفحه ۱۵۳]

و الاسلام، و هجوت رسول الله صلى الله عليه و سلم بسبعين بيتا من الشعر، فقال اللهم انى لا أقول الشعر و لا ينبغى لى، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة، فعليك اذا من الله ما لا يحصى من اللعن، و أما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا نارا، ثم لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله قلت: «أنا أبوعبدالله اذا نكأت قرحة أدميتها»، ثم حبست نفسك الى معاوية و بعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض و لا نعاتبك على ود، و الله ما نصرت عثمان حيا و لا غضبت له مقتولا، ويحك يا ابن العاص، ألست القائل لما خرجت الى النجاشى:

تقول ابنتى أين هذا الرحيل
و ما السير منى بمستنكر

فقلت ذريتى فانى امرؤ
أريد النجاشى فى جعفر

لأكويه عنده كيه
أقيم بها نخوة الأصعر

و شآنىء أحمد من بينهم
و أقولهم فيه بالمنكرا

و أجرى الى عتبة جاهدا
و لو كان كالذهب الأحمر

و لا أنثنى عن بنى‌هاشم
و ما استطعت فى الغيب و المحضر

فان قبل العتب منى له
و الا لويت له مشغرى

و أما أنت يا وليد بن عقبة: فما أنت و ذكر قريش، انما أنت علج من أهل صفورية، يقال له ذكوان، ولو سألت أمك من أبوك، اذ تركت ذكوان و ألصقتك بعقبة بن أبى‌معيط، فاكتست بذلك عند نفسها سناء و رفعة، مع ما أعد الله لك و لأبيك و أمك من الخزى و العار فى الدنيا و الآخرة، و لأنت و الله أكبر فى السن ممن تدعى له فى النسب، و أما قولك انا قتلنا عثمان، فوالله ما استطاع طلحة و الزبير و عائشة أن يقولوا ذلك لعلى بن أبى‌طالب، و أنا و الله ما ألومك على بغض على، و قد قتل أباك بين يدى رسول الله صلى الله عليه و سلم صبرا، و جلدك ثمانين فى الخمر، لما صليت بالمسلمين سكران، و فيك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه
ان الوليد أحق بالغدر

نادى و قد تمت صلاتهم
أأزيدكم سكرا و ما يدرى

[صفحه ۱۵۴]

ليزيدهم اخرى و لو قبلوا
لأتت صلاتهم على العشر

فأبوا أباوهب و لو قبلوا
لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانك اذ جريت ولو
تركوا عنانك لم تزل تجرى

و سماك الله فى كتابه فاسقا، و سمى أميرالمؤمنين (الامام على) مؤمنا، حيث تفاخرتما فقلت له: أسكت يا على، فأنا أشجع منك جنانا، و أطول منك لسانا، فقال لك على: أسكت يا وليد فأنا مؤمن و أنت فاسق، فأنزل الله تعالى فى موافقته قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون)، ثم أنزل فيك (ان جاءكم فاسق ينبأ فتبينوا)، و مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك و فيه:

أنزل الله و الكتاب عزيز
فى العلى و فى الوليد قرآنا

فتبوأ الوليد اذ ذاك فاسقا
و على مبؤا ايمانا

ليس من كان مؤمنا - عمرك الله -
كمن كان فاسقا خوانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل

و على الى الحساب عيانا

فعلى يجزى بذاك جنانا
و وليد يجزى بذاك هوانا

رب جد لعقبة بن ابان
لابس فى بلادنا تبانا

و أما أنت يا عتبة بن سفيان، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، و لا عاقل فأحاورك و أعاتبك، و ما عندك خير يرجى، و لا شر يتقى، و ما عقلك و عقل أمتك الا سواء، و ما يضر عليا لو سبته على رؤوس الأشهاد، و أما وعيدك اياى بالقتل، فهلا قتلت اللحيانى اذ وجدته على فراشك، فقال فيك نصر بن حجاج:

يا للرجال و حادث الأزمان
و لسبة تخزى أباسفيان

نبئت عتبة خانة فى عرسه
جبس لئيم الأصل من لحيان

ألفاه معها فى الفراش فلم يكن
فحلا و أمسك خشية النسوان

لا تعتبن يا عتب نفسك حبها
ان النساء حبائل الشيطان

و كيف ألومك على بغض على، و قد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، و شرك حمزة فى قتل جدك عتبة، و أوجدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد».

[صفحه ۱۵۵]

و أما أنت يا مغيرة بن شعبة، فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا و شبهه، و انما مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنخلة استمسكى فانى طائرة عنك، فقالت النخلة: هل علمت بك واقعة على، فاعلم بك طائرة عنى، و الله ما نشعر بعداوتك ايانا، و لا اغتممنا اذ علمنا بها، و لا يشق علينا كلامك، و ان حد الله عليك فى الزنا و لقد درأ عنك عمر حقا لله، و لقد سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم هل ينظر الرجل الى المرأة يريد أن يتزوجها، فقال صلى الله عليه و سلم لا بأس بذلك يا مغيرة، ما لم ينو الزنا، لعلمه بأنك زان.

و أما فخركم علينا بالامارة، فقد ملك فرعون مصر، و موسى و هارون نبيان يلقيان و ما يلقيان، و هو ملك يعطيه الله للبر و الفاجر، و قد قال تعالى (و ان أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى الحين) و قال (و اذ أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا).

ثم قال الامام الحسن فنفض ثيابه و انصرف، فتعلق عمرو بن العاص بثوبه، و قال يا أميرالمؤمنين: قد شهدت قوله فى قذف أمى بالزنا، و أنا مطالب بحد القذف، فقال معاوية: خل عنه لا جزاك الله خيرا، فتركه و انصرف الامام الحسن و تركهم يتميزون غيظا و يحسون كمدا، و قال معاوية: قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته و نهيتكم أن تسبوه، و الله ما قام حتى أظام على البيت، قوموا عنى فقد فضحكم الله و أخزاكم بترككم الجزم، و عدو لكم عم أى الناصح المشفق.

و عام مروان بن الحكم بما حدث، فأتى القوم و طلب منهم أن يدعو الحسن ليسبه و يسب أباه و أهل بيته، فأرسلوا الى الامام الحسن، فلما جاءه الرسول قال: ماذا يريد هذا الطاغية منى، و الله لئن أعاد الكلام لأوقرن مسامعه، ما يبقى عليه عاره و شناره الى يوم القيامة، فلما أن جاءهم وجدهم بالمجلس على حالتهم التى تركهم عليها، غير أن مروان قد حضر، ثم مشى الحسن الى السرير فجلس مع معاوية و عمرو، و قال لمعاوية: لم أرسلت الى، فقال لست أنا، ولكن مروان هو الذى أرسل اليك، فقال مروان: أنت يا حسن السباب رجال قريش، فقال الامام: و ماذا أردت، فقال مروان لأسبنك و أباك و أهل بيتك.

فقال الامام الحسن: أما أنت يا مروان، فلست أنا سببتك و لا سببت أباك،

[صفحه ۱۵۶]

ولكن الله عزوجل لعنك و لعن أباك و أهل بيتك و ما خرج من صلب أبيك الى يوم القيامة على لسان نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و الله يا مروان ما تنكر أنت و لا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلى الله عليه و سلم لك و لأبيك من قبلك، و ما زادك الله بما خوفك الا طغيانا كبيرا، صدق الله و رسوله، اذ يقول تعالى (و الشجرة الملعونة فى القرآن و نخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا)، و أنت يا مروان و ذريتك الشجرة الملعونة فى القرآن، عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، فوثب معاوية فوضع يده على فم الحسن عليه‌السلام، و قال: يا أبامحمد ما كنت فاحشا، فنفض الحسن ثوبه و خرج، فتفرق القوم عن المجلس بغيظ و حزن، و وجوه سود.

هيبته و وقاره

كان الامام الحسن سيدا فى حداثته، سيدا فى شبابه، سيدا فى رجولته و شيخوخته، بل كان سيدا فى الدنيا، و سيكون سيدا فى الآخرة، فلقد روى البخارى بسنده عن أبى‌بكرة قال: أخرج النبى صلى الله عليه و سلم ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر، فقال: «ابنى هذا سيد، و لعلى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، و أخرج الترمذى عن أبى‌بكرة قال: صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم المنبر فقال: «ان ابنى هذا سيد، يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين»، و يعلق ابن عبدالبر فى الاستيعاب على هذين الحديثين الشريفين بقوله: تواترت الآثار الصحاح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال للحسن بن على ان ابنى هذا سيد «و لا أسود ممن سماه رسول الله صلى الله عليه و سلم سيدا»، و عن سعيد المقبرى قال: كنا مع أبى‌هريرة فمر الحسن فسلم، فرددنا عليه، و لم يعلم به أبوهريرة فقلنا له: هذا الحسن بن على، فتبعه فلحقه و قال له: و عليك السلام يا سيدى، و انى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: انه سيد، و فى رواية: «انه لسيد»، و روى الطبرانى فى الأوسط عن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم أنها أتت بالحسن و الحسين الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شكواه التى توفى فيها، فقالت يا رسول الله: هذان ابناك فورثهما شيئا، فقال: «أما حسن فله هيبتى و

سؤدى، و أما حسين فله جرأتى وجودى».

[صفحه ۱۵۷]

و أما عن سيادة سيدنا الامام الحسن فى الأخرة، فلقد أخرج الترمذى المناقب و الامام أحمد فى المسند، عن أبى‌سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة».

و فى الواقع فلقد كانت شخصية سيدنا الامام الحسن تملأ العيون و تهيمن على النفوس، فقد التقت به عناصر الامامة، و تمثلت فيه هيبة النبى صلى الله عليه و سلم، حتى لقد كان معاوية، و هو فى سلطانه، يهابه و يخشاه، و حتى كان ابن‌عباس، على جلاله و هيبته و صحبته، يأخذ له الركاب اذا ركب، و يرى فى ذلك فرصة يتبرك بها هو و أرفع الصحابة كعبا و أدناهم من جده صلى الله عليه و سلم منزلة، روى الحافظ ابن كثير، أن ابن‌عباس (و هو الشريف الهاشمى، و ابن عم النبى) و كان يأخذ الركاب للحسن و الحسين اذا ركبا، و يرى هذا من النعم عليه، و كانا (الحسن و الحسين) اذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما مما يزدحمون عليهما للسلام عليهما، رضى الله عنهما، و كان ابن‌الزبير يقول: «والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن على»، فلقد كان الامام الحسن يتمتع منذ طفولته الرشيدة بفطنة حادة، و حمية مهذبة متزنة، تميزة أشياء لا تتوافر فى غير ابن النبى صلى الله عليه و سلم، بل تفرض على محمد بن اسحاق (صاحب السيرة النبوية) أن يقول: «ما تكلم أحد كان أحب الى اذا تكلم ألا يسكت من الحسن بن على، و ما سمعت منه كلمة فحش قط».

و روى الشبلنجى فى نور الأبصار، أن الامام الحسن خرج ذات يوم من داره، و عليه حلة فاخرة، و وفرة ظاهرة و محاسن سافرة، و قد ركب بغلة فارهة، و وجهه الشريف يشرق حسنا و جمالا، و هيبة و جلالا، و قد حفت به خدمه و حاشيته، فعرض له فى طريقه شخص من محاويج اليهود، و عليه مسح من جلود، قد أنهكته العلة و ركبته القلة و الذلة، و قد شوته شمس الظهيرة، و هو حامل جرة ما على قفاه، فاستوقف الحسن رضى الله عنه و قال: يابن رسول الله، سؤال، قال ما هو، قال جدك يقول «الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر»، و أنت مؤمن، و أنا كافر، فما أرى الدينا الا جنة لك تنعم بها، و ما أراها الا سجنا على، قد أهلكنى ضرها و أجهدنى فقرها، فأجابه الامام الحسن: «يا هذا، لو نظرت الى ما أعد الله

[صفحه ۱۵۸]

لى فى الآخرة، لعلمت أنى فى هذه الحالة بالنسبة الى تلك، فى سجن، و لو نظرت الى ما أعد الله لك فى الآخرة من العذاب الأليم، لرأيت أنك الآن فى جنة واسعة»، فبهت اليهودى و لم يجد جوابا.

هذا و قد بلغ من هيبة الامام الحسن أنه كان يفرش له على باب البيت، فاذا خرج و جلس انقطع الطريق، لأنه لا يمر أحد الا جلس اجلالا ـ و اكبارا له، فاذا علم ذلك قام و دخل البيت، و أخرج اليعقوبى فى تاريخه بسنده عن رجاء بن ربيعة قال: كنت بالمدينة بمسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حلقة فيها أبوسعيد و عبدالله بن عمرو، فمر الحسن بن على فسلم فرد عليه القوم، و سكت عبدالله بن عمرو، ثم أتبعه فقال: و عليك السلام و رحمة الله، ثم قال: هذا أحب أهل الأرض الى السماء، و الله ما كلمته منذ ليال صفين، فقال أبوسعيد: ألا تنطلق اليه فتعتذر اليه، قال نعم، قال فقام فدخل أبوسعيد فاستأذن له، ثم استأذن لعبدالله بن عمرو، فدخل فقال أبوسعيد لعبدالله بن عمرو، حدثنا بالذى حدثتنا به حيث مر الحسن، فقال نعم: أنا أحدثكم به، أنه أحب أهل الأرض الى السماء، قال فقال له الحسن: اذا علمت أنى أحب أهل الأرض الى السماء، فلم قاتلتنا أو أكثرت يوم صفين، قال، أما أنى والله ما أكثرت سوادا

و لا ضربت معهم بسيف، ولكنى حضرت مع أبى أو كلمة نحوها، قال أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، قال بلى، ولكنى كنت أسرد الصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فشكانى أبى الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله: ان عبدالله بن عمرو يصوم النهار، و يقوم الليل، قال صلى الله عليه و سلم صم و افطر، و صل و نم، فانى أنا أصلى و أنام و أصوم و أفطر، ثم قال لى: يا عبدالله، أطع أباك، فخرج يوم صفين و خرجت معه. (أى خرج عبدالله مع أبيه عمرو بن العاص فى جانب معاوية، و ضد الامام على و آل البيت).

هذا و قد كان من عظيم هيبة سيدنا الامام الحسن و مكانته فى نفوس المسلمين أنه ما اجتاز مع أخيه الامام الحسين، على ركب فى حال سفرهما الى بيت الله الحرام ماشين، الا ترجل ذلك الراكب تعظيما و اكبارا لهما، حتى ثقل المشى على

[صفحه ۱۵۹]

جماهير الحجاج، فكلموا سعد بن أبىوقاص رضى الله عنه فى ذلك، فبادر الى الامام الحسن و قال له: يا أبامحمد ان المشى قد ثقل على الحجاج لأنهم اذا رأوكما لم تطب نفوسهم بالركوب، فلو ركبتما رحمة لهم، فأجابه الامام: «لا نركب فقد عاهدنا الله أن نؤم بيته ماشين، ولكن نتنكب الطريق»، هذا و قد رأى هيبة الامام الحسن و وقاره بعض الأغبياء من الحاقدين على آل البيت الطاهرين المطهرين فقال له: ان فيك عظمة، فأجابه الامام: ان فى عزة، ثم تلا قوله تعالى (و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين)، و جاء فى المناقب: أن الحسن كان يحاكى جده صلى الله عليه و سلم فى هيبته و وقاره، و سؤدده، و صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث يقول «أما الحسن فان له هيبتى سؤددى، و أما الحسين فان له جرأتى و جودى»، و لعل من أوضح ما يفسر لنا ما قال ابن‌عباس رضى الله عنه حين مات الامام الحسن «ان أول ذل دخل على العرب موت الحسن عليه‌السلام»، الأمر الذى يشير الى ما كان للامام الحسن من مكانة فى المجتمع الاسلامى.

و فى الواقع فان تلك المكانة، و تلك الكرامة، لم تكن للامام الحسن عند الناس فحسب، و انما كانت قبل ذلك و بعده، عندالله سبحانه و تعالى، و عند رسوله صلى الله عليه و سلم، و من ذلك قصته مع معاوية، عندما أراد أن يمنع عنه عطاءه فى بيت المال، فلم يرسله له فى حينه، و احتاج الحسن الى المال، وكان من أكرم الناس، و خطر بباله أن يكتب لمعاوية فى ذلك، ولكنه، فيما يروى البيهقى و الحاكم و ابن‌عساكر و السيوطى و القاضى النبهانى، رأى، فيما يرى النائم، جده صلى الله عليه و سلم يقول له: يا بنى أتكتب لمخلوق فى حاجتك، و علمه دعاء يدعو به، جاء فيه «اللهم اقذف فى قلبى رجاءك و اقطع رجائى عمن سواك، حتى لا أرجو أحدا غيرك، اللهم ما ضعفت عنه قوتى، و قصر عنه عملى، و لم تنته اليه رغبتى و لم تبلغه مسألتى و لم يجر على لسانى، مما أعطيت أحدا من الأولين و الآخرين من اليقين، فخصنى به يا أرحم الراحمين»، فلم يمض أسبوع يدعو فيه بهذا الدعاء، حتى بعث اليه معاوية بألف ألف و خمسمائة ألف (و قيل بمائتى ألف، و هذا ما نميل اليه) فقال: الحمدلله الذى لا ينسى من ذكره، و لا يخيب من دعاه، فرأى النبى صلى الله عليه و سلم فقال له: يا حسن

[صفحه ۱۶۰]

كيف أنت، قال بخير يا رسول الله، فقال صلى الله عليه و سلم: «يا بنى هكذا من رجا الخالق، و لم يرج المخلوق» هذا و لم تقف كرامة الامام الحسن على الله و رسوله عند حد الدنيا، بل انها امتدت الى ما بعد انتقاله منها، فلقد ذكر القاضى النبهانى فى جامع كرامات الأولياء أن المناوى روى فى الطبقات، قال: أخرج أبونعيم و ابن‌عساكر عن الأعمش: أن رجلا تغوط على قبره فجن، و جعل ينبح كما

ينبح الكلب ثم مات فسمع يعوى فى قبره.

زهده و ورعه

كان الامام الحسن عابدا تقيا، زهدا ورعا، روى ابن‌عساكر فى تاريخه، و أبونعيم فى حلية الأولياء، و ابن‌كثير فى البداية و النهاية، أنه رضوان الله عليه، و قاسم الله ماله ثلاث مرات، و خرج من ماله مرتين، و حج خمسا و عشرين مرة ماشيا، و ان النجائب لتقاد بين يديه، كما روى ذلك البيهقى عن ابن‌عباس، و قد علق البخارى فى صحيحه أنه حج ماشيا، و النجائب تقاد بين يديه، و روى عن الامام جعفر الصادق عن أبيه الامام الباقر عن أبيه الامام زين العابدين، أنه قال: حج الحسن بن على ماشيا، النجائب تقاد بين يديه، و نجائبه تقاد الى جنبه، و عن الامام الباقر عن أبيه الامام على زين العابدين أنه قال، قال الحسن بن على: أنى لأستحى من الله أن ألقاه و لم أمش الى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه، و أخرج الحاكم عن عبدالله بن عبيد بن عمير، قال: لقد حج الحسن و خمسا و عشرين حجة ماشيا، و أن النجائب لتقاد معه، و روى ابن‌كثير أنه كان يقرأ فى بعض خطبه سورة ابراهيم، و كان يقرأ فى كل ليلة سورة الكهف قبل أن ينام، يقرؤها من لوح كان يدور معه حيث كان فى بيوت نسائه، فيقرؤه بعد ما يدخل فى الفراش قبل أن ينام رضى الله عنه.

و كان الامام الحسن اذا دخل المسجد رفع صوته قائلا: «الهى ضيفك ببابك يا محسن، قد أتاك المسىء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم»، و اذا شرع فى الصلاة بدأ عليه الخوف و الخضوع و الخشوع حتى ترتعد جميع

[صفحه ۱۶۱]

فرائصه، ومن مظاهر عبادته وخوفه من الله أنه اذا ذكر الجنة و النار و اضطرب و اضطراب السليم، فسأل الله الجنة، و تعوذ من النار، و اذا ذكر الموت و ما يعقبه من بعث و نشور، بكى بكاء الخائفين والمنيبين، و اذا ذكر العرض على الله شهق شهقة يغشى عليه منها، و أخرج ابن خلكان فى وفيات الاعيان: كان الحسن اذا فزع من الوضوء تغير لونه، فقيل له فى ذلك فقال: «حق على من اراد ان يدخل على ذى العرش ان يتغير لونه»، و اخرج ابن كثير أن الامام الحسن كان اذا صلى الغداة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم يجلس فى مصلاة يذكر الله حتى ترتفع الشمس و يجلس اليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده، ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن و ربما أتحفنه (أو قد يهدى اليهن و يهدين اليه) ثم ينصرف الى منزله.

و أخرج ابن عبد البر فى الاستيعاب: كان الحسن بن على رضى الله عنه حليما كريما، ورعا فاضلا، دعاه ورعه و فضله الى ترك الملك و الدنيا، رغبة فيما عند الله، و كان يقول «والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى و ما يضرنى أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه و سلم على أن يهراق فى ذلك محجمة دم»، و من ثم نراه، حين ولى الخلافة بعد أبيه الامام على، رضى الله عنهما، استقبل معاوية بكتائب كالجبال، لكثرتها و قوة بأسها، و مع أنه كان أحق الناس بالخلافة، و أقدرهم عليها، فقد رأى أنه لن يستقر له الأمر، الا بعد سفك دماء غزيرة، فتنازل عن الخلافة لمعاوية، زهدا فيها، و تورعا من سفك دماء المسلمين بسببها، و حقق بذلك نبوءة جده المصطفى صلى الله عليه و سلم من أن الله سيصلح به بين فئتين كبيرتين من المسلمين، هذا وقد بلغ من رضائه و بالله تعالى فى كل حال، أن قيل له، فيما أخرجه ابن عساكر فى تاريخه، واليافعى فى مرآته، و الذهبى فى سير أعلام النبلاء، أن أباذر رضى الله عنه يقول «الفقر أحب الى من الغنى، والقسم أحب الى من الصحة، فقال الامام الحسن: رحم الله أباذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختارها الله له»، و يعلق ابن عساكر على هذا بقوله: «و هذا حد الوقوف على الرضا بما يتصرف به القضاء»، و وصفه أبو نعيم فى حلية الأولياء بقوله: «فأما السيد المحبب، و الحكيم المقرب، الحسن بن على رضى الله عنه فله معانى

المتصوفة الكلام المشرق المرتب، و المقام المؤنق المهذب».

[صفحه ۱۶۲]

مكانته العلمية

نشأ الامام الحسن فى بيت الوحى، و تربى فى مدرسة النبوة، فتتلمذ أولا على يدى جده سيد الاولين و الآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم أكمل تربيته أبوه الامام على، كرم الله وجهه فى الجنة، و كفاه فخرا و أن يكون تلميذ النبى ثم الوصى، و صدق رسول الله صلى الله عليه و آله حيث يقول «أنا مدينة العلم، و على بابها» (رواه الطبرانى و البزار و الترمذى و السيوطى)، هذا و قد روى الامام الحسن عن جده صلى الله عليه و سلم، فيما يقول ابن حجر فى الاصابة، أحاديث حفظها عنه، منها ما جاء فى السنن الاربعة، فلقد اخرج الامام احمد فى مسنده، و الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الاصابة بسنده الى أبى الحوراء: قال الحسن بن على: علمنى رسول الله صلى الله عليه و سلم كلمات أقولهن فى الوتر «رب اهدنى فيمن هديت، و عافنى فيمن عافيت، و تولنى فيمن توليت، و بارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، انك تقضى و لا يقضى عليك، و انه لا يذل من واليت، تباركت ربنا و تعاليت»، و أخرج الامام أحمد و ابن ماجة و أبو داود و الترمذى، من حديث أبو هريرة، و الحافظ ابن الحجر عن أبى الحوراء، قال قلت للحسن: ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أذكر أنى أخذت تمرة من تمر الصدقة فجعلتها فى فى، فنزعها رسول الله صلى الله عليه و سلم بلعا بها، فجعلها فى التمر، فقيل يا رسول الله، و ما كان عليك من هذه التمرة لهذا الصبى، قال صلى الله عليه و سلم: «انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة»، كما أخرج فى رواية أخرى من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه و سلم قال: «كخ كخ، ارم بها، أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»، و منها ما أخرجه الامام أحمد و النسائى أن الحسن روى عن جده صلى الله عليه و سلم قوله «دع ما يريبك الى ما يريبك، فان الصدق طمأنينة، و أن الكذب ريبة»، و منها قول الحسن: «و عقلت عنه صلى الله عليه و سلم الصلوات الخمس»، و من الأحاديث الصحيحة التى رواها الحسن عن جده صلى الله عليه و سلم عن سفيان الثورى بسنده عن عمير قال: سمعت الحسن بن على يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من صلى صلاة فجلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس، كان له حجابا من النار».

هذا وقد وعى الامام الحسن أحاديث جده رسول الله صلى الله عليه و سلم، مع أنه كان فى

[صفحه ۱۶۳]

الثامنة من عمره، و بدهى أنه كان للبيئة التى نشأ فيها الامام الحسن دورا كبيرا فى ذلك، و لا غرو فهو شجرة النبوة، و عضو أهل بيت الرسالة و غصن أهل بيت الرحمة، و نقطة معدن العلم، آثره جده المصطفى صلى الله عليه و سلم بالتوحيد و الارشاد منذ نعومة الرحمة، و نقطة معدن العلم، آثره جده المصطفى صلى الله عليه و سلم بالتوجيه و الارشاد منذ نعومة أظفاره، فكان لذلك أكبر الأثر و أعظمه فى تكوينه العلمى، و ثقافته الواسعة، ثم تولاه بعده أبوه الامام على، فأكمل ثقافته و أتم تربيته، و الامام على، كما نعلم، نشأ منذ طفولته و تربى فى حجر النبى صلى الله عليه و سلم و غرق علمه فى بحر النبوة الأصفى حتى امتلأ و صار، كما يقول الحسن البصرى، «ربانى هذه الأمة»، و كان الامام على يتحدث بنعمة ربه فيقول «أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى، فوالله ما من آية فى كتاب الله عزوجل، الا- و أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، فى سهل أم فى جبل»، و هكذا كان علم الامام الحسن علما موروثا بحق، و مغروفا من المنبع الأصفى، فكان علما خالصا، حرص الامام عليه، و نفع به الناس، و قدره حق قدره حتى روى عنه أنه كان يقول لبنيه و بنى أخيه

الامام الحسين «تعلموا العلم، فان لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه وضعوه فى بيوتكم».

و هكذا روى الامام الحسن الحديث الشريف عن صاحبه جده سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم، و عن أبيه الامام على، و عن أخيه الامام الحسين، ابنه الحسن و عائشة أم المؤمنين و ابن أخيه على بن الحسين، و ابناه و عبدالله و الباقر، و عكرمة و ابن سيرين و جبير بن نفير، و أبو الحوراء ربيعة بن شيبان و أبو مجلز، و هبيرة بن يريم و شيبان بن الليل و غيرهم.

و أخرج ابن عساكر بسنده: أن الحسن بن على رضى الله عنه كان يجلس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و يجتمع الناس حوله و يتكلم و بما يشفى غليل السائلين، و يقطع و حجج القائلين، من ذلك ما رواه الواحدى فى تفسيره، أن رجلا قال: دخلت مسجد المدينة، فاذا أنا برجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و الناس حوله، فقلت له: أخبرنى عن شاهد و مشهود، فقال نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، و أما المشهود فيوم النحر، فجزته الى غلام كأن وجهه الدينار، و هو يحدث عن رسول

[صفحه ۱۶۴]

الله صلى الله عليه و سلم فقلت له: أخبرنى عن شاهد و مشهود، فقال نعم، أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه و سلم و أما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته تعالى يقول «يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا»، و قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود)، فسألت عن الأول، فقالوا: ابن عباس، و سألت عن الثانى فقالوا الحسن بن على، رضى الله عنهما، و روى الشبلنجى القصة فى نور الأبصار، و ان نسب تفسير ابن عباس الى ابن عمر، و أن ابن عباس وافقه فى الشاهد و خالفه فى المشهود، حيث رأى أنه يوم عرفة، واتفق مع ابن عساكر فى تفسير الامام الحسن فى أن الشاهد جده رسول الله صلى الله عليه و سلم و المشهود يوم القيامة، و أن الله قد وهب الحسن بصيرة و علما و هداية، فلقد عوضه سبحانه و تعالى عن الخلافة الظاهرة، التى تنازل عنها طائعا مختارا، و هو فى مكان القوة و القدرة، حقنا لدماء المسلمين، و ذلك بالخلافة الباطنة، حتى ذهب قوم الى أن قطب الأولياء فى كل زمان، لا يكون الا من أهل البيت الطاهرين المطهرين، و قد ناقشنا ذلك فى الجزء الاول من هذه السلسلة بالتفصيل، و أوردنا الآراء المختلفة فيها، و منها أن قوما ذهبوا الى أن القطب فى كل عصر لابد أن يكون من أهل البيت النبوى الشريف، و ان رأى ابوالعباس المرسى، كما نقل عنه تلميذه ابن عطاء، أن القطب قد يكون منهم، و قد يكون من غيرهم، و لكن قطب الأقطاب لا يكون الا منهم، لأنهم أزكى الناس أصلا، و أوفرهم فضلا، لأن مقام أهل البيت من غيرهم، مقام النجوم فى السماء من أهل الأرض، فهم بيت النبوة و ذرية سيد الأولين و الآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

هذا وقد كتب الحسن البصرى رضى الله عنه الى الامام الحسن يسأله عن القضاء و القدر، فكتب اليه ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من لم يؤمن بقضاء الله و قدره، خيره و شره، فقد كفر، و من حمل ذنبه ربه فقد فجر، و ان الله تعالى لا يطاع استكراها، و لا يعصى بغلبه، لأنه تعالى مالك لما ملكهم، و قادر على ما أقدرهم، فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم و بين ما عملوا، فان لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك، و لو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب، و لو أهملهم فان ذلك عجز فى القدرة، و لكن الله له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم، فان

[صفحه ۱۶۵]

عملوا بالطاعة، و ان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم».

و روى الشعرانى فى كشق الغمة، أن الامام الحسن قال فى فضل القرآن: ان القرآن فيه مصابيح النور و شفاء الصدور، فليجل جال

بضوئه، و ليلجم الصفة قلبه، فان التفكير حياة القلب البصير، كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور»، و روى الشبلنجى فى نور الأبصار أن الامام الحسن قال: هلاك الناس فى ثلاث: «الكبر و الحرص و الحسد، فالكبر به هلاك الدين و به لعن ابليس، و الحرص عدو النفس، و به أخرج آدم من الجنة، و الحسد رائد السوء، و به قتل هابيل و قابيل»، و روى أن الامام الحسن قال فى المساجد: من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب ثمان خصال: آية محكمة، و أخا مستفادا، و علما مستطرفا، و رحمة منتظرة، و كلمة تدل على هدى أو تردى عن ردى، و ترك الذنوب حياء أو خشية»، و قال فى الدعاء: «ما فتح الله عزوجل على احد باب مسألة فحزن (أغلق) عنه باب الاجابة، و لا فتح على رجل باب عمل، فخزن عنه باب القبول، و لا فتح لعبد باب شكر، فخزن عنه باب المزيد»، و سئل الامام الحسن: من أحسن الناس عيشا، و فقال: من أشرك الناس فى عيشه، فقيل من أشر الناس عيشا، قال: «من لا يعيش فى عيشه أحد»، و قال الامام «فوت الحاجة خير من طلبهما الى غير أهلها، و أشد من المصيبة سوء الخلق، و العبادة انتظار الفرج».

و قال الامام الحسن فى تقوى الله: ان الله لم يخلفكم عبثا، و ليس بتاركم سدى، كتب آجالكم و قسم بينكم معائشكم ليعرف كل ذى منزلة منزلته، و أن ما قدر له أصابه، و ما صرف عنه فلن يصيبه، قد كفاكم مؤنة الدنيا و فرغكم لعبادته، وحثكم على الشكر، و افترض عليكم و أوصاكم بالتقوى، و جعل التقوى منتهى رضاه، و التقوى باب كل توبة، و رأس كل حكمة، و شرف كل عمل بالتقوى، فاز من فاز من المتقين، قال تبارك و تعالى: «ان للمتقين مفازا» و قال: «و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء و لا هم يحزنون)، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من يتق الله يجعل له مخرجا من

[صفحه ۱۶۶]

الفتن، و يسدده فى أمره، و يهىء له رشده، و يفلحه بحجته، و يبيض وجهه، و يعطيه رغبته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا». وقال: «يا بنى آدم عف عن محارم الله تكن عابدا، و أرض بما قسم الله تكن غنيا، و أحسن جوار من جاورك تكن مسلما، و صاحب الناس بما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا، انه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرا، و يبنون مشيد أو يأملون بعيدا، أصبح جمعهم بورا، و عملهم غرورا، و مساكنهم قبورا، يا بن آدم انك لم تزل فى هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، فجد بما فى يديك، فان المؤمن يتزود، و الكافر يتمتع، و كان يتلو عقب كلامه هذا أقوله تعالى: «و تزودوا فان خير الزاد التقوى».

و من حكمه رضى الله عنه: و «لا ادب لمن لا عقل له، و لا مودة لمن لا همة له، و لا حياء لمن لا دين له، و رأس العقل معاشرة الناس بالجميل، و بالعقل تدرك الدارين جميعا، و من حرم العقل حرمهما جميعا»، و روى جابر أنه سمع الامام الحسن يقول: «مكارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، و صدق البأس، واعطاء السائل، و حسن الخلق، و المكافاة بالصنائع، و صلة الرحم، و التذمم على الجار، و معرفة الحق للصاحب، و قرى الضيف، و رأسهن الحياء»، و أخرج اليعقوبى فى تاريخه بسنده أن معاوية قال للامام الحسن رضى الله عنه يا أبا محمد ثلاث خصال ما وجدت من يخبرنى عنهن، قال الامام: و ما هن، قال: المروءة و الكرم و النجدة، قال الامام: «أما المروءة فاصلاح الرجل أمر دينه، و حسن قيامه على ماله، و لين الكف، و افشاء السلام، و التحبب الى الناس، و أما الكرم، فالعطية قبل السؤال، و التبرع بالمعروف، و الاطعام فى المحل، ثم النجدة: الذب عن الجار، و المحاماة فى الكريهة، و الصبر عند الشدائد»، و زاد بعضهم الحزم، و هو طول الأناة، و الاحتراز من جميع الناس».

و روى أن معاوية قال فى مجلسه يوما: «اذا لم يكن الهاشمى سخيا لم يشبه حسبه، و اذا لم يكن الزبيرى شجاعا لم يشبه حسبه، و اذا لم يكن المخزومى تائها لم يشبه حسبه، و اذا لم يكن الأموى حليما لم يشبه حسبه،

[صفحه ۱۶۷]

فبلغ ذلك الامام الحسن فقال: والله ما أراد الحق، و لكنه أراد أن يغرى بنى هاشم بالسخاء فيفنون أموالهم و يحتاجون اليه، و يغرى آل الزبير بالشجاعة فيفنون بالقتل، و يغرى بنى مخزوم بالتيه فيبغضهم الناس، و يغرى بنى أمية بالحلم فيحبهم الناس»، و من حكمه رضى الله عنه: «ما تشاور قوم الا هدوا الى رشدهم»، و قال: «اللؤم أن لا تشكر النعمة»، و قال لبعض ولده: «يا بنى لا تآخ أحد حتى تعرف موارده و مصادره، فاذا استنبطت الخبرة، و رضيت العثرة، فآخه على اقالة العثرة، والمواساة فى العسرة»، و قال رضى الله عنه: «القريب من قربته المودة، و ان بعد نسبه، و البعيد من باعدته المودة، و ان قرب نسبه، لا شىء اقرب من يد الى جسد، و ان اليد تفل فتقطع و تحسم». و قال رضى الله عنه الخير الذى لا شر فيه، الشكر مع النعمة، و الصبر على النازلة».

اسرة الامام الحسن

عرف الامام الحسن بحسن عشرته لأزواجه، فكان يمسكهن بمعروف، و يسرحهن باحسان، و كان الناس يرغبون فى مصاهرته، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لانه كان بارا باهله، كريما فى معاملته لهن، لا تفارقه امرأة، الا و هى تحبه و تصبوا اليه، و من عجب أن المؤرخين و الرواة انما يزعمون أن للامام الحسن انما كان مزواجا مطلاقا، حتى أنكر أبو عليه ذلك و نهى الناس عن تزويجه فلم ينتهوا، فقد كانوا يرون فى الاصهار الى سبط النبى صلى الله عليه و سلم و ابن اميرالمؤمنين على، شرفا أى شرف، و أن رجلا من همدان قال للامام على: «و الله يا أميرالمؤمنين، لو خطب الينا كل يوم لزوجناه منا من شاء، ابتغاء صهر رسول الله صلى الله عليه و سلم»، و قام آخر فقال: «والله لنزوجنه، فما رضى أمسك، و ما كره طلق، و تابعه الجميع على ذلك»، و هكذا زعم البعض أن زوجات الامام ربما بلغن التسعين، بل ان بعض المؤرخين و المحدثين لم يتورع فى أن ينقل كعادته عن المستشرقين أن وفاته لعلها كانت بسبب اسرافه فى حياة اللهو، و لست أدرى من أين جاء هؤلاء المؤرخون بهذه الكثرة من الزوجات للامام الحسن، مع أن ما أخصوه هم أنفسهم، لم يزد عن خمسة عشر امرأة، و ليس سبعين أو تسعين، أو مائة، و هو

[صفحه ۱۶۸]

عدد لا يمت الى الكثرة المزعومة بصلة (قارن ذلك بما قيل مثلا عن المغيرة بن شعبة، حيث زعم المكثرون أنه تزوج ألف امرأة فى حياته الطويلة، و زعم المقلون أنه تزوج مائة أو تسعا و تسعين، و توسط المعتدلون فزعموا أنه تزوج ثلاثمائة).

و أيا ما كان الأمر، و أيا ما كان عدد زوجات الامام الحسن، فلا ريب أن حفيد النبى صلى الله عليه و سلم لم يفعل ذلك، على وجه اليقين، اشباعا لخط النفس، و هو المعروف بأنه التقى الورع، المشهود له بالزهد فى الدنيا و العزوف عنها، و انما كان زواجه لأسباب منها أن عدد مرات زواجه عاديا مثل الذى كان يحدث فى عصره، و منها أن الزواج فى ذلك العصر انما كان يربط العصبيات و يزيد فى قوة القبائل، كما كان تعدد الزواج أمرا مألوفا، بل مستحبا و هو فى بيت النبوة أكثر استحبابا، و ليس مع الحلال تهمة، و من ثم فان الامام الحسن اذا كان قد تزوج أكثر من مرة، فيجب الحكم على ذلك فى ظل الظروف التى كان يعيش فيها الامام، و أعنى بذلك أنه انما كان يهدف الى تعدد الاصهار الى كثير من القبائل، لأن الحاكم، على حد تعبير ابن‌خلدون انما يستند الى عصبية، و منها أن الامام الحسن انما كان حريصا على تكثير نسل النبى صلى الله عليه و سلم و ذريته، و لعله رأى، بما وهبه الله من نور البصيرة، ما سوف يتعرض له أهل البيت من تقتيل و تشريد، لا يحفظ منه سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم من الاندثار و الانقراض، الا تعدد الزواج و كثرة النسل، و من ثم فقد أشفق على الذرية الطاهرة من الفناء، هؤلاء الذين جعل الله وجودهم فى الأرض رحمة للناس، و ما أشد

حاجة الناس لائمة الهدى من ذرية النبى صلى الله عليه و سلم بنور الايمان الذى يرقونه من عرقهم الطاهر المطهر، و ينمونه فى بيئتهم النقية الصالحة، و صدق الامام على حينما قال فى السادة الأشراف آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون فى العلم دوننا، كذبا و بغيا علينا، أن رفعنا الله و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يستعطى الهدى و يستجلى العمى»، و صدق الفرزدق حين قال:

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

[صفحه ۱۶۹]

و أما زوجات الامام الحسن فهن: سلمى بنت امرىء القيس بن عدى الكلبى (و قد تزوج الامام على أختها المحياة، و تزوج الامام الحسين أختها الثانية الرباب)، و خولة بنت منظور الفزارية، و كانت من سيدات النساء فى وفور عقلها و كمالها، و قد بقيت عند الامام حتى توفى فجزعت عليه جزعا و شديدا، ثم جعدة بنت الأشعث بن قيس، و هى التى يكاد يجمع المؤرخون و المحدثون أنها هى التى سمت الامام الحسن، بايعاز من معاوية أو ولده يزيد، و منهن عائشة الخثعمية، و قد طلقها الامام لاظهارها الشماتة فى وفاة سيدنا الامام على، حيث قالت للحسن: «لتهنك الخلافة»، فلما علم بشماتتها قال لها: «ألقتل على تظهرين و الشماتة، اذهبى فأنت طالق»، و لم يذكر التاريخ أن الامام طلق غيرها، سوى أم كلثوم بنت الفضل بن عباس، التى تزوجها بعده أبوموسى الأشعرى، و كذا امرأة من بنى‌شيبان، و من زوجات الامام كذلك أم‌اسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التميمى، و أم‌بشير بنت أبى‌مسعود الأنصارى، و هند بنت عبدالرحمن بن أبى‌بكر، ثم امرأة من بنات عمرو بن أهيم المنقرى، و امرأة من ثقيف، و امرأة من بنات زارة، و امرأة من بنى‌شيبان من آل‌همام بن مرة، و قد طلقها لأنها كانت ترى رأى الخوارج، فقال: «انى أكره أن أضم الى نحرى جمرة، من جمر جهنم»، ثم أم عبدالله بنت الشليل أخى جرير بن عبدالله البجلى، و أم القاسم، و هكذا يكون مجموع ما تزوجه الامام الحسن هذا العدد من النساء، و هو عدد لا يمت الى الكثرة المزعومة بصلة، و من ثم فلنا أن نتساءل: «أين كثرة الزواج و الطلاق التى طبل لها المؤرخون» و أما أولاد الامام الحسن فقد اختلف المؤرخون فى عددهم، ما بين اثنى عشر و ستة عشر، و ان اتفقوا أنه لم يعقب منهم سوى الحسن بن الحسن، و زيد بن الحسن، و أما القاسم و أبوبكر و عبدالله، و فقد استشهدوا فى مذبحة كربلاء، مع عمهم سيدالشهداء الامام الحسين، و أما بقية الأبناء فماتوا دون عقب.

وفاة الامام الحسن

اختلف المؤرخون فى سنة وفاة الامام الحسن، و بالتالى فى عمره يوم

[صفحه ۱۷۰]

وفاته، و على أى حال، فهم يرونها فى الأعوام ۵۹، ۵۸، ۵۱، ۵۰، ۴۹، ۴۸ ه، و يرجح البعض أنه توفى بالمدينة فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة (مارس ۶۷۰ م)،و كان موقف بن أمية من تشييع جنازته موقفا مزريا، لا يصدر الا من بنى‌أمية،

مع أن المفروض أن يذكروا للامام فضل تنازله عن الخلافة، و بالتالى فقد سالمهم و حقن دماءهم و دماء المسلمين، و طبقا لرواية ابن عبدالبر فى الاستيعاب، فلم يشهد جنازته من بنى‌أمية الا سعيد بن العاص، و كان يومئذ أميرا للمدينة، فقدمه الحسين للصلاة عليه، و قال: «هى السنة، ثم خالد بن الوليد بن عقبة، ناشد بنى‌أمية أن يخلوه يشاهد الجنازة فتركوه، فشهد دفنه»، و ان ذهبت بعض الروايات أن مروان شهدها كذلك، و ان كانت الأحداث لا تؤيدها،د كما سنرى.

و روى الحاكم فى المستدرك عن سالم بن أبى‌حفصة قال: سمعت أباحازم يقول: انى لشاهد يوم مات الحسن بن على، فرأيت الحسين بن على يقول لسعيد بن العاص، و يطعن فى عنقه و يقول: تقدم فلولا أنها سنة ما قدمتك، و كان بينهم شىء، فقال أبوهريرة: أتنفسون على ابن نبيكم صلى الله عليه و سلم بتربة تدفنونه فيها، و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «من أحبهما فقد أحبنى، و من أبغضهما فقد أبغضنى».

على أن حقد بنى‌أمية و بغضهم لسيد بنى‌هاشم و آل البيت الأطهار، لم يقف عند هذا الحد، روى المؤرخون أن الامام وصى أن يدفن عند النبى صلى الله عليه و سلم الا أن تخاف فتنة فينقل الى مقابر المسلمين، و روى ابن عبدالبر فى الاستيعاب أن الامام الحسن أوصى أخاه الحسين قائلا: قد كنت طلبت الى عائشة أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت نعم، و انى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياء، فاذا مت فاطلب ذلك اليها، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها، و ما أظن القوم الا سيمنعوك اذا أردت ذلك، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك و ادفنى فى بقيع الغرقد، فان فيمن فيه أسوة، فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة فطلب ذلك اليها فقالت نعم و كرامة، فبلغ ذلك مروان، فقال مروان: «كذب و كذبت

[صفحه ۱۷۱]

و الله لا يدفن هناك أبدا، منعوا عثمان من دفنه فى المقبرة، و يريدون دفن حسن فى بيت عائشة»، و هذا ما نميل اليه و نرجحه، غير أن رواية المفيد ربما تشير الى أن السيدة أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) عارضت فى دفنه مع جده صلى الله عليه و سلم، و ربما أشارت كذلك رواية يحيى بن الحسن التى جاءت فى «مقاتل الطالبين»، و الأمر كذلك بالنسبة الى رواية لليعقوبى، جاء فيها: أن عائشة ركبت بغلة شهباء و قالت: «بيتى لا آذن فيه لأحد، فأتاها القاسم بن محمد بن أبى‌بكر، فقال لها: يا عمة، ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء؟ فرجعت».

غير أن أباالفرج الأصفهانى نفسه يذهب الى أن الحسن بن على أرسل الى عائشة أن تأذن له أن يدفن مع النبى صلى الله عليه و سلم فقالت: نعم ما كان بقى الا موضع قبر واحد، فلما سمعت بذلك بنوأمية اشتملوا بالسلاح هم و بنوهاشم للقتال، و قالت بنوأمية: «و الله لا يدفن مع النبى صلى الله عليه و سلم أبدا»، و قال: و جعل مروان يقول يا رب هيجا هى خير من دعة، أيدفن عثمان فى أقصى البقيع، و يدفن الحسن فى بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الله لا- يكون ذلك أبدا، و أنا أحمل السلاح، فكادت تقع الفتنة، و أبى‌الحسين الا أن يدفنه مع النبى صلى الله عليه و سلم، فقال له عبدالله بن جعفر: عزمت عليك بحقى ألا تكلم بكلمة فمضى به الى البقيع، و انصرف مروان بن الحكم.

و أخرج ابن‌عساكر فى تاريخه أن الامام الحسن كان قد عهد الى أخيه أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فان خاف أن يكون فى ذلك شىء فليدفنه بالبقيع، فأبى مروان أن يدعه و قال: ما كنت لأدع ابن أبى‌تراب يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد دفن عثمان بالبقيع، و مروان يومئذ معزول، يريد أن يرضى معاوية بذلك، فلم يزل عدوا لبنى‌هاشم حتى مات، و لما امتنع مروان من أن يدفن الحسن رضى الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه و سلم لامه أبوهريرة و ذكر له فضل على و الحسن، فقال له مروان: أنت و الله أكثرت على رسول الله صلى الله عليه و سلم الحديث، فلا نسمع منك ما تقول، فهل من غيرك يعلم ما تقول، فقال له: هذا

أبوسعيد الخدرى، فقال

[صفحه ۱۷۲]

مروان: «لقد ضاع حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم حين لا يرويه الا أنت و أبوسعيد، و الله ما أبوسعيد حين مات رسول الله صلى الله عليه و سلم الا غلام، و لقد جئت أنت من جبال دوس قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم بيسير، فاتق الله يا أباهريرة، فقال له نعم، ما أوصيت به، و سكت عنه»، و فى رواية ابن عبدالبر أن أباهريرة قال: «والله ما هو الا ظلم يمنع حسن أن يدفن مع أبيه، و الله انه لابن رسول الله».

و روى الحافظ الذهبى فى سير أعلام النبلاء، بعد أن روى وصية الحسن، و موافقة السيدة عائشة، و معارضة بنى‌أمية، روى عن الحسن بن محمد بن الحنفية أنه قال: جعل الحسن يوعز للحسين رضى الله عنه قائلا: يا أخى اياك أن تسفك دما، فان الناس سراع الى الفتنة، فلما مات قالت عائشة: نعم و كرامه، فبلغ ذلك مروان الى معاوية بخبره، و أنهم يريدون دفنه مع النبى صلى الله عليه و سلم و لا يصلون الى ذلك أبدا و أنا حى، فانتهى حسين الى قبر النبى صلى الله عليه و سلم فقال: أحفروا، فنكب عنه سعيد بن العاص، أمير المدينة، فاعتزل، و صاح مروان فى بنى‌أمية و لبسوا السلاح، فقال له الحسين: يا ابن‌الزرقاء، ما لك و لهذا، أوال أنت؟ فقال مروان: لا تخلص الى هذا و أنا حى، فصاح الحسين بحلف الفضول، فاجتمعت بنوهاشم و زهرة و تيم و أسد فى السلاح، و عقد مروان لواء، و كانت بينهم مراماة، و جعل عبدالله بن جعفر يلح على الحسين و يقول: يا ابن عم، ألم تسمع الى عهد أخيك، أذكر الله أن تسفك الدماء، و هو يأبى، قال الحسن بن محمد بن الحنفية، فسمعت أبى يقول «لقد رأيتنى يومئذ، و انى لأريد أن أضرب عنق مروان، ما حال بينى و بين ذلك، الا أن أكون أراه مستوجبا لذلك، ثم دفعت بأخى و ذكرته وصية الحسن فأطاعنى».

و أخرج الحافظ ابن‌كثير عن الواقدى بسنده عن جابر بن عبدالله، قال: شهدنا الحسن بن على يوم مات، و كادت الفتنة تقع بين الحسين بن على و مروان بن الحكم، و كان الحسن قد عهد الى أخيه أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فان خاف أن يكون فى ذلك قتال أو شر فليدفن فى البقيع، فأبى مروان أن يدعه، و مروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاوية، و لم يزل مروان عدوا لبنى

[صفحه ۱۷۳]

هاشم حتى مات، قال جابر، فكلمت يؤمئذ حسين بن على فقلت: «يا أباعبدالله، اتق الله و لا تثر فتنة، فان أخاك كان لا يحب ما ترى، فادفنه بالبقيع»، و روى أن الامام الحسين قال يؤمئذ «والله لولا عهد الحسن و بحقن الدماء، و أن لا أهريق فى أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، و قد نقضتم العهد بيننا، و أبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا»، و مضوا بالامام الشهيد الحسن بن على، عليه‌السلام، فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد أم الامام على.

و هكذا عمل كبار الصحابة، و على رأسهم سعد بن أبى‌وقاص و عبدالله بن عمر و جابر بن عبدالله و أبوهريرة، على تهدئة الامام الحسين، فقبل رجاءهم، و تغاضى عن السفالة الأموية، و الخسة المروانية، التى ما كان فى استطاعتها، لولا السلطة، و لولا وصية الامام الحسن، من أن تمنع ابن رسول الله من أن يدفن مع أبيه صلى الله عليه و سلم، و كما قال أبوهريرة: «أرأيتم لو مات ابن‌موسى عليه‌السلام، أما كان يدفن مع أبيه»، خاصة و أن صاحبة الدار أم‌المؤمنين عائشة قد رضيت مكان القبر الوحيد الذى ما يزال باقيا، و هكذا بدأ طغيان بنى‌أمية يثير النفوس الأبيه ولكن الناس كانت تخشى الفتنة، و قد اكتوا بنارها سنين من قبل، مما زاد فى طغيات الأمويين، حتى قيل لأبى‌اسحاق: متى ذل الناس، قال: «حين مات الحسن، و ادعى زياد، و قتل حجر بن عدى»، و على أى حال، فلقد

بعث بنوهاشم صائحا الى العوالى يصيح فى كل قرية من قرى الأنصار بموت الحسن، فنزل أهل العوالى و لم يتخلف أحد عنه، و روى أن الامام الحسين دعا بعض بنى‌هاشم، ابن‌عباس [۴] و عبدالرحمن بن جعفر و على بن

[صفحه ۱۷۴]

عبدالله بن عباس، فأعانوه على غسل أخيه الامام الحسن و حنطوه و ألبسوه أكفانه، و خرجوا به الى المسجد فصلوا عليه، و أخرج ابن‌كثير عن سفيان الثورى بسنده عن أبى‌حازم قال: رأيت الحسين بن على قدم يومئذ سعيد بن العاص، فصلى على الحسن، و قال: «لولا أنها سنة ما قدمته»، و عن ابن‌اسحاق عن مساور قال: رأيت أباهريرة قائما على مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم مات الحسن بن على، و هو ينادى بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله فابكوا، وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحدا من الزحام، و قد بكاه الرجال و النساء سبعا، قال ثعلبة بن مالك: رأيت الناس بالبقيع، و لو طرحت ابرة ما وقعت الا على انسان، و بكى عليه النساء و الرجال و الصبيان سبعة أيام بمكة و المدينة، و روى الحاكم فى المستدرك أنه لما توفى الامام الحسن أقام نساء بنى‌هاشم النوح عليه شهرا، و عن أبى‌جعفر قال: مكث الناس يبكون على الحسن بن على، و عطلت الأسواق، و روى الواقدى عن عائشة قالت: حد نساء بنى‌هاشم على الحسن بن على سنة.

[صفحه ۱۷۵]

مناقب الامام الحسن

اشاره

من البدهى أن الامام الحسن انما هو من أهل البيت الذين فضلهم الله على كثير من عباده تفضيلا، و من البدهى كذلك انما قد أكرمه الله سبحانه و تعالى بكل ما أكرم به أهل البيت، و من ثم فهو تنطبق عليه كل فضائل آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم التى أشار اليها القرآن الكريم، و فصلتها الأحاديث النبوية الشريفة، الأمر الذى فصلناه فى الجزء الأول من هذه السلسلة، و بالتالى فهو واحد من هؤلاء الطاهرين المطهرين الذين جاءت فى حقهم آيتا الأحزاب (۵۶، ۳۳) و آية الشورى ۲۳، و غيرها من آيات الذكر الحكيم، فضلا عن الأحاديث النبوية الشريفة التى تبين فضل آل البيت، و تحض المسلمين على مودتهم و موالاتهم، و تنفر من بغضهم و كراهيتهم، بل و تعلن بوضوح و جلاء أن حب آل النبى من حب النبى صلى الله عليه و سلم، أن بغضهم من بغضه، و أنه لا أمل لمن يكره آ ل النبى صلى الله عليه و سلم فى رضا المصطفى صلى الله عليه و سلم فى الدنيا، و شفاعته فى الآخرة، و أن مصيره أسوا مصير، و سوف نشرف هنا فقط يذكر الأحاديث النبوية الشريفة التى جاءت فى فضل الامام الحسن، ثم تلك التى جاءت فى فضل الحسن و الحسين معا، رضى الله عن سبطى رسول الله صلى الله عليه و سلم و ريحانتيه فى الدنيا.

فضائل الامام الحسن

روى عن سيدنا و مولانا وجدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم عدة أحاديث فى فضل سيدنا

[صفحه ۱۷۶]

الامام الحسن، عليه‌السلام، منها (اولا) روى البخارى و مسلم من طريق اسماعيل، و الامام أحمد و الطبرانى عن أبى‌جحيفة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان الحسن بن على يشبهه»، و منها (ثانيا) روى البخارى و مسلم و ابن‌ماجة من طريق عبيدالله بن زيد، و الامام أحمد فى المسند و الفضائل عن أبى‌هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال للحسن: «اللهم انى أحبه فأحبه، و أحب من يحبه»، و أخرج ابن كثير عن البراء بن عازب بسنده، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الحسن بن على على عاتقه، و هو يقول «اللهم انى أحبه فأحبه»، و زاد على بن الجعد بسنده عن البراء «و أحب من أحبه» و قال الترمذى حسن صحيح، و فى رواية البخارى فى صحيحه عن البراء قال: رأيت النبى صلى الله عليه و سلم، و الحسن بن على على عاتقه يقول: «اللهم انى أحبه فأحبه»، و منها (ثالثا) أخرج البخارى و الحاكم و الطبرانى و العجلى و الامام أحمد فى المسند و الفضائل عن عقبة بن الحارث، قال: خرجت مع أبى‌بكر فى صلاة العصر بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم بليال، و على يمشى الى جنبه، فمر بحسن بن على يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته، و هو يقول: و أبى شبه النبى، ليس شبيها بعلى، قال: و على يضحك، و فى رواية البخارى: صلى أبوبكر رضى الله عنه العصر، ثم خرج يمشى فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، و قال: «بأبى‌شبيه النبى صلى الله عليه و سلم لا شبيه بعلى، وعلى يضحك»، و فى رواية: «بأبى شبيه بالنبى صلى الله عليه و سلم و ليس شبيها بعلى، و على يضحك».

و فى رواية أخرى فى صحيح البخارى عن أنس قال: «لم يكن أحد أشبه النبى صلى الله عليه و سلم من الحسن بن على»، و روى الترمذى عن أبى‌جحيفة قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان الحسن بن على يشبهه»، و روى الترمذى عن على قال: «الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين الصدر الى الرأس، و الحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان أسفل من ذلك»، و روى الحاكم فى المستدرك عن أنس بن مالك قال: «لم يكن فى ولد على أشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم من الحسن» و منها (رابعا) روى البخارى (فى الصحيح و الأدب المفرد) و أبوداود الطيالسى و الترمذى و الطبرانى فى الكبير، و الامام أحمد فى المسند و الفضائل عن البراء قال رأيت النبى صلى الله عليه و سلم

[صفحه ۱۷۷]

واضعا الحسن بن على على عاتقه و هو يقول «اللهم انى أحبه فأحبه»، و منها (خامسا) روى البخارى و الترمذى و النسائى و أبوداود و عبدالرازق و الطبرانى و الامام أحمد عن أبى‌بكرة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم على المنبر، و حسن معه، و هو يقبل على الناس مرة، و يقول: «ان ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، و أخرج الترمذى عن أبى‌بكرة قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم المنبر، فقال: ان ابنى هذا سيد، يصلح الله على يديه فئتين - يعنى الحسن بن على».

و روى الامام أحمد و الروياني و ابن‌عساكر عن أبى‌بكرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى بالناس، فاذا سجد وثب الحسن على ظهره أو على عنقه، فرفع رأسه فيضعه وضعا رقيقا لئلا يصرع، فعل ذلك غير مرة، فلما قضى صلاته ضمه اليه و جعل يقبله، فقالوا: يا رسول الله انك لتفعل بهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد، فقال: «ان ابنى هذا ريحانتى من الدنيا، و ان ابنى هذا سيد، و سيصلح الله به بين فئتين من مسلمين».

و منها (سادسا) أخرج الامام أحمد فى الفضائل عن أنس يعنى ابن‌سيرين قال قال الحسن بن على يوم كلم معاوية، ما بين جابرس و جابرق (مدينتان بأقصى المشرق و المغرب) رجل جده نبى غيرى، و انى رأيت أن أصلح بين أمة محمد صلى الله عليه و سلم و كنت أحقهم بذلك، ألا- انا قد بايعنا معاوية، و لا أدرى لعله فتنة لكم و متاع الى حين»، و منها (سابعا) أخرج الامام أحمد فى المسند و

الفضائل بسنده عن أبى‌هريرة (و ابن‌ماجة من طريق وكيع) قال: «رأيت النبى صلى الله عليه و سلم حامل الحسن بن على على عاتقه، و لعابه يسيل عليه»، و أخرج الامام أحمد عن البراء بن عازب بسنده قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الحسن على عاتقه، و هو يقول: «اللهم انى أحبه فأحبه»، و روى مسلم فى صحيحه عن أبى‌هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال لحسن: «اللهم انى أحبه فأحبه، و أحبب من يحبه».

و منها (ثامنا) أخرج الامام أحمد و الطبرانى و ابن‌حبان و ابن الاعرابى و الحاكم عن ابن‌عون عمير بن اسحاق، قال: كنت مع الحسن بن على،

[صفحه ۱۷۸]

فلقينا أبى‌هريرة فقال: أرنى أقبل منك حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقبل، قال فقال بقميصه، قال: «فقبل سرته».

و روى الحاكم عن أبى‌هريرة رضى الله عنه أنه لقى الحسن بن على فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم قبل بطنك، فاكشف الموضع الذى قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أقبله، و كشف له الحسن فقبله».

و منها (تاسعا) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل و الطحاوى فى شرح الآثار، و الهيثمى فى مجمع الزوائد، و الطبرانى فى الكبير بسنده عن عيسى بن عبدالرحمن عن أبيه عن جده، قال: كنا عند النبى صلى الله عليه و سلم فجاء الحسن بن على، عليه‌السلام، يحبو حتى صعد على صدره، فبال عليه فابتدرناه لنأخذه، فقال النبى صلى الله عليه و سلم «ابنى ابنى، قال: ثم دعا بماء فصبه عليه».

و روى الطبرانى عن أنس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه و سلم راقد، اذ جاء الحسن يدرج حتى قعد على صدره، ثم بال عليه، فجئت أميطه، فقال صلى الله عليه و سلم «ويحك يا أنس، دع ابنى و ثمرة فؤادى، فان من آذى هذا، فقد آذانى، و من آذانى فقد آذى الله.»

و منها (عاشرا) روى الامام أحمد فى المسند و الفضائل و الطبرانى فى الكبير و الحاكم فى المستدرك عن شعبة عن عمرو، قال سمعت عبدالله بن الحارث يحدث عن زهير بن الأقمر قال: بينما الحسن بن على يخطب، اذ قام رجل فقال: انى رأيت النبى صلى الله عليه و سلم واضعه فى حبوته، و هو يقول: «من أحبنى فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب، و لولا عزيمة رسول الله صلى الله عليه و سلم لما حدثت» و فى رواية الحاكم: «و لولا كرامة رسول الله صلى الله عليه و سلم لما حدثت».

و منها (حادى عشر) أخرج الامام أحمد فى الفضائل عن على بن زيد أن فتية من قريش خطبوا بنت سهيل بن عمرو، و خطبها الحسن بن على، فشاورت أباهريرة، و كان لنا صديقا، فقال أبوهريرة: «رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقبل فاه، فان استطعتى أن تقبلى مقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم فافعلى، فتزوجته»، و منها (ثانى عشر) أخرج الامام أحمد و البخارى و مسلم عن أبى‌هريرة قال: ما رأيت حسن قط الا

[صفحه ۱۷۹]

و دمعت عينى، جلس النبى صلى الله عليه و سلم فى المسجد و أنا معه، فقال ادعوا لى لكع أو أين لكع (أى الصغير) فجاء الحسن يشتد حتى أدخل يده فى لحية النبى صلى الله عليه و سلم فوضع النبى صلى الله عليه و سلم فمه على فمه أو فمه على فيه، ثم قال: «اللهم انى أحبه فأحب من يحبه».

و منها (ثالث عشر) أخرج الحافظ ابن‌كثير بسنده عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من سره أن ينظر الى

سيد شباب أهل الجنة، فلينظر الى الحسن بن على»، و منها (رابع عشر) أخرج الحافظ ابن كثير بسنده عن عكرمة عن ابن‌عباس (و رواه الترمذى عن ابن‌عباس أيضا) قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو حامل الحسن على عاتقه، فقال له رجل: «يا غلام نعم المركب ركبت، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم و نعم الراكب هو»، و منها (خامس عشر) أخرج الحافظ ابن كثير بسنده عن عبدالرحمن أبى‌عوف الجرشى عن معاوية قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يمص لسانه أو قال شفته، و يعنى الحسن بن على، و أنه لن يعذب لسان او شفتان يمصهما رسول الله صلى الله عليه و سلم».

و روى ابن‌عساكر عن عبدالرحمن بن عوف قال: قال عمرو بن العاص و أيوب الأعور السلمى لمعاوية: «ان الحسن بن على رجل عى، فقال معاوية: لا تقولا ذلك، فان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد تفل فى فيه، و من تفل رسول الله صلى الله عليه و سلم فى فيه، فليس بعى».

و منها (سادس عشر) أخرج البخارى عن أبى‌موسى قال: سمعت الحسن (البصرى) يقول: استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: انى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية، و كان و الله خير الرجلين، أى عمرو، ان قتل هؤلاء هؤلاء، و هؤلاء هؤلاء، من لى بأمور الناس، من لى بنسائهم، من لى بضيعتهم، فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبدشمس، عبدالرحمن بن سمرة، و عبدالله بن عامر بن كريز، فقال اذهبا الى هذا الرجل، فاعرضا عليه و قولا له و اطلبا اليه، فقال لهم الحسن بن على: انا بنوعبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال، و ان هذه الأمة قد

[صفحه ۱۸۰]

عاثت فى دمائها، قالا: فانه يعرض عليك كذا و كذا، و يطلب اليك و يسألك، قال فمن لى بهذا، قالا نحن لك به، فما سألهما و شيئا الا قالا: نحن لك به، فصالحه، قال الحسن (البصرى) و لقد سمعت أبابكرة يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم على المنبر، و الحسن بن على الى جنبه، و هو يقبل على الناس مرة، و على أخرى، و يقول: «ان ابنى هذا سيد، و لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، و فى رواية للبخارى: «و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

و منها (سابع عشر) أخرج الامام أحمد فى مسنده عن أبى‌بكرة قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى بالناس، و كان الحسن بن على يثب على ظهره اذا سجد، ففعل ذلك غير مرة، قالوا له: و الله انك لتفعل لهذا شيئا ما رأيناك تفعله بأحد، قال المبارك، فذكر شيئا ثم قال: و ان ابنى هذا سيد و سيصلح الله تبارك و تعالى به، فئتين من المسلمين، فقال الحسن (أى الحسن البصرى) فوالله والله بعد أن ولى لم يهرق فى خلافته ملء محجمة دم»، و منها (ثامن عشر) أخرج الامام أحمد و فى مسنده عن أبى‌بكرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يصلى، فاذا سجد و ثب الحسن على ظهره و على عنقه، فيرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم رفعا رقيقا لئلا يصرع، قال: فعل ذلك غير مرة، فلما قضى صلاته، قالوا يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئا ما رأيناك صنعته، قال صلى الله عليه و سلم «انه ريحانتى من الدنيا، و ان ابنى هذا سيد، و عسى الله تبارك و تعالى أن يصلح به فئتين من المسلمين».

و منها (تاسع عشر) روى الحاكم فى المستدرك عن سعيد بن سعيد المقبرى قال: كنا مع أبى‌هريرة، فجاء الحسن بن على بن أبى‌طالب علينا فسلم، فرددنا عليه‌السلام، و لم يعلم به أبوهريرة فقلنا له: يا أباهريرة هذا الحسن بن على قد سلم علينا، فلحقه و قال: و عليك السلام يا سيدى،ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «انه سيد»، و منها (عشرون) روى ابن‌عساكر عن أبى‌جعفر قال: «بينما الحسن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم اذ عطش ظمأه، فطلب له النبى صلى الله عليه و سلم ماء فلم يجد، فأعطاه لسانه، فمصه حتى روى.»

[صفحه ۱۸۱]

و منها (واحد و عشرون) روى ابن‌مندهٔ و أبونعيم و ابن‌عساكر، و رجاله ثقات، عن سودهٔ بنت مسرح و الكنديهٔ قالت: كنت فيمن حضر فاطمهٔ حين ضربها المخاض، فجاء النبى صلى الله عليه و سلم كيف هى؟ ابنتى فديتها، قلت: انها لتجهد يا رسول الله، قال: فاذا وضعت فلا تحدثى شيئا حتى تؤذنينى، وفى لفظ فلا تسبقينى به بشىء، قالت فوضعته فسررته و لففته فى خرقهٔ صفراء، فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ما فعلت ابنتى فديتها و ما حالها و كيف هى؟ فقلت يا رسول الله: وضعته و سررته و جعلته فى خرقهٔ صفراء، قال لقد عصيتنى، قلت: أعوذ بالله من معصيهٔ الله و معصيهٔ رسوله، سررته يا رسول الله و لم أجد من ذلك بدا، قال: ائتنى به، فأتيته به، فألقى عنه الخرقهٔ الصفراء، و لفه فى خرقهٔ بيضاء، و تفل فى فيه، و ألبأه بريقه، ثم قال: أدعى لى عليا، فدعوته فقال: ما سميته يا على، قال: سميته جعفر يا رسول الله، قال: «لا، ولكنه حسن، و بعده حسين، و أنت أبوالحسن و الحسين».

و روى الحاكم فى المستدرك عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: «لقد حج الحسن بن على خمسا و عشرين حجهٔ ماشيا، و ان النجائب لتقاد معه»، و روى الحاكم عن عمران بن عبدالله قال: رأى الحسن بن على، فيما يرى النائم، بين عينيه مكتوبا: قل هو الله أحد، فقصها على سعيد بن المسيب فقال: ان صدقت رؤياك فقد حضر أجلك، قال: «فسم الحسن فى تلك السنهٔ و مات رحمهٔ الله عليه».

و روى الخطيب و ابن‌عساكر عن ابن‌مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «خير رجالكم على، و خير شبابكم الحسن و الحسين، و خير نسائكم فاطمهٔ».

فضائل الامامين الحسن و الحسين

هناك الكثير من الأحاديث النبويهٔ التى قالها سيدنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حق سبطيه الحسن و الحسين معا، منها (أولا) أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن أبى نم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «ان الحسن و الحسين هما ريحانتاى

[صفحه ۱۸۲]

فى الدنيا»، و روى الذهبى عن أبى‌أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم و الحسن و الحسين يلعبان على صدره، فقلت يا رسول الله: أتحبهما، قال: «كيف لا أحبهما، و هما ريحانتاى فى الدنيا».

و روى أبونعيم عن سعد بن مالك قال: دخلت على النبى صلى الله عليه و سلم و الحسن و الحسين يلعبان على ظهره، فقلت يا رسول الله: أتحبهما، فقال: «و ما لى لا أحبهما، و انهما ريحانتاى فى الدنيا».

و روى البخارى فى صحيحه عن ابن أبى‌نعم قال: سمعت عبدالله بن عمر، و سأله رجل عن المحرم، قال شعبهٔ و أحسبه يقتل الذباب، فقال: أهل العراق يسألون عن قتل الذباب، و قد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال النبى صلى الله عليه و سلم، هما ريحانتاى فى الدنيا» (يعنى الحسن و الحسين).

و منها (ثانيا) أخرج الامام أحمد و الترمذى عن أنس بن مالك بسنده قال سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم أى أهل البيت أحب اليك، قال: «الحسن و الحسين، و كان يقول لفاطمهٔ: ادعى لى ابنى فيشمهما و يضمهما اليه»، و أخرج الطبرانى عن ابن‌مسعود عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «من أحبنى فليحب هذين - يعنى الحسن و الحسين»، و منها (ثالثا) أخرج الامام أحمد و الطبرانى عن أبى‌هريرهٔ قال: نظر رسول الله صلى الله عليه و سلم الى على و الحسن و الحسين و فاطمهٔ، صلوات الله عليهم، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، سلم لمن سالمكم» و فى روايهٔ لأحمد الترمذى عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعلى و فاطمهٔ و

الحسن و الحسين: «أنا حرب لمن حاربتم، سلم لمن سالمتم»، و منها (رابعا) روى الامام أحمد فى المسند و الفضائل و الترمذى عن على أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ بيد الحسن و الحسين، فقال: «من أحبنى و أحب هذين و أباهما و أمهما، كان معى فى درجتى يوم القيامة»، و منها (خامسا) أخرج ابن عساكر عن أنس عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «لا يقومن أحد من مجلسه، الا للحسن و الحسين أو ذريتهما».

و منها (سادسا) أخرج الحارث بن أبى‌أسامة عن الباقر رضى الله عنه قال «اصطرح الحسن و الحسين عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فجعل رسول الله يقول: هى

[صفحه ۱۸۳]

حسن، فقالت فاطمة يا رسول الله: تعين الحسن كأنه أحب اليك من الحسين، قال صلى الله عليه و سلم ان جبريل يعين الحسين، أنا أحب أن أعين الحسن (رواه السيوطى فى الخصائص) و منها (سابعا) أخرج الامام أحمد و البزار و أبوداود الطيالسى و أبويعلى و الطبرانى، بطرق مختلفة، عن على أنه قال: دخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن أو الحسين، قال: فقام النبى صلى الله عليه و سلم الى شاة لنا بكىء فحلبها فدرت، فجاء الحسن فنحاه النبى صلى الله عليه و سلم فقالت فاطمة يا رسول الله، كأنه أحبهما اليك، قال لا، ولكنه استسقى قبله، ثم قال: أنا و اياك و هذان و هذا الراقد فى مكان واحد يوم القيامة، و منها (ثامنا) أخرج ابن‌سعد عن على أنه قال: خبرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أول من يدخل الجنة، أنا و فاطمة و الحسن و الحسين، قلت يا رسول الله: فمحبونا، قال: «من ورائكم»، و منها (تاسعا) أخرج الطبرانى فى المعجم الكبير عن واثلة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «اللهم انك جعلت صلواتك و رحمتك و مغفرتك و رضوانك على ابراهيم و آل ابراهيم، اللهم انهم منى و أنا منهم، فاجعل صلواتك و رحمتك و مغفرتك و رضوانك على وعيهم»، قال «يعنى عليا و فامطة و حسنا و حسينا».

و منها (عاشرا) أخرج الترمذى عن أسامة بن زيد قال: طرقت النبى ذات ليلة فى بعض الحاجة، فخرج النبى صلى الله عليه و سلم و هو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو، فلما فرغت من حاجتى، قلت ما هذا الذى أنت مشتمل عليه، قال فكشفه فاذا حسن و حسين، عليهماالسلام، على و ركيه، فقال: «هذان ابناى، و ابنا ابنتى، اللهم انى أحبهما فأحبهما، و أحب من يحبهما»، و منها (حادى عشر) أخرج الامام أحمد و ابن‌ماجة و الهيثمى عن أبى‌هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «من أحبهما فقد أحبنى، و من أبغضهما فقد أبغضنى، يعنى حسنا و حسينا»، و منها (ثانى عشر) أخرج الترمذى و الامام أحمد عن أبى‌سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة»، و روى ابن‌ماجة فى السنن عن ابن‌عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، و أبوهما خير منهما» (رواه أيضا الحاكم فى المستدرك)، و فى

[صفحه ۱۸۴]

رواية لابن‌عساكر عن على و ابن عمر عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «ابناى هذان الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، و أبوهما خير منهما»، و أخرج الطبرانى و أبونعيم فى فضائل الصحابة عن فاطمة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: «ما من نبى الا و ولد الأنبياء غيرى، و ان ابنيك سيدا شباب أهل الجنة، الا ابنى الخالة، يحيى و عيسى».

و منها (ثالث عشر) أخرج الامام أحمد عن أبى‌سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الحسن و الحسين سيدا شباب

أهل الجنة، و فاطمة سيدة نسائهم، الا ما كان لمريم بنت عمران»، و روى الخطيب و ابن‌عساكر عن ابن‌مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «خير رجالكم على، و خير شبابكم الحسن و الحسين، و خير نسائكم فاطمة».

و منها (رابع عشر) أخرج الامام أحمد، و الت مذى عن حذيفة قال: سألتنى أمى منذ متى عهدك بالنبى صلى الله عليه و سلم قال فقلت لها: منذ كذا و كذا، قال فنالت منى و سبتنى، قال فقلت لها: دعينى فانى آتى النبى صلى الله عليه و سلم فأصلى معه المغرب، ثم لا أدعه حتى يستغفر لى و لك، قال فأتيت النبى صلى الله عليه و سلم فصليت معه المغرب، فصلى النبى صلى الله عليه و سلم العشاء ثم انفتل فتبعته، فعرض له عارض فناجاه ثم ذهب فاتبعته فسمع صوتى فقال: من هذا، فقلت حذيفة، قال مالك فحدثته بالأمر، فقال غفر الله لك و لأمك، ثم قال: «أما رأيت العارض الذى عرض لى قبيل، قال قلت بلى، قال فهو ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل هذه الليلة، فاستأذن ربه أن يسلم على و يبشرنى أن الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، أن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة رضى الله عنهم»، و فى رواية للامام أحمد عن الشعبى أن هذا الملك هو جبريل، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «فان جبريل جاء يبشرنى أن الحسن و الحسين سيدا أهل الجنة».

و منها (خامس عشر) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل، و أبوداود و الترمذى و النسائى و ابن‌ماجة، و ابن‌حبان بسنده عن عبدالله بن بريدة، قال سمعت أبا بريدة يقول: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطبنا فجاء الحسن و الحسين،

[صفحه ۱۸۵]

و عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم من المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله و رسوله «انما أموالكم و أولادكم فتنة» نظرت الى هذين الصبيين يمشيان و يعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثى و رفعتهما»، و منها (سادس عشر) أخرج الامام أحمد و الترمذى عن ابن‌عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعوذ حسنا و حسينا فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة، و من كل عين لأمة، ثم يقول: «هكذا كان ابراهيم عليه‌السلام، يعوذ اسماعيل و اسحاق، عليهماالسلام»، و منها (سابع عشر) أخرج الطبرانى فى الأوسط، و الهيثمى عن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم أنها أتت بالحسن و الحسين الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى شكواه التى توفى فيها، فقالت يا رسول الله: هذان ابناك فورثهما شيئا، فقال: «أما حسن فله هيبتى و سؤددى، و أما الحسين فله جرأتى وجودى»، و روى الطبرى مثله أيضا بلفظ «و أما حسين فان له حزامتى وجودى».

و منها (ثامن عشر) أخرج الامام مسلم فى صحيحه فى باب فضائل أهل بيت النبى صلى الله عليه و سلم عن صفية بنت شيبة، قالت، قالت عائشة: خرج النبى صلى الله عليه و سلم غداة، و عليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه،ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»، و منها (تاسع عشر) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل و ابن‌جرير فى تفسيره و الترمذى و الحاكم و السيوطى فى تفسيره و الهيثمى فى مجمع الزوائد، بطرق كثيرة (و الرواية هنا لأحمد فى الفضائل) عن شداد أبى‌عمار، قال دخلت على واثلة بن الأسقع، و عنده قوم فذكروا عليا فشتموه فشتمته معهم، قال لى: لم شتمت هذا الرجل، قلت رأيت القوم شتموه فشتمته معهم، فقال ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه و سلم قلت بلى، فقال أتيت فاطمة أسألها عن على، فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه على و حسن و حسين، آخذا كل واحد منهما بيده حتى دخل، فأدنى عليا و فاطمة

[صفحه ۱۸۶]

فأجلسهما بين يديه، و أجلس حسنا و حسينا، كل واحد منهما على فخذه، ثم لف عليهم ثوبا أو قال كساء، ثم تلا هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى، و أهل بيتى أحق».

و منها (عشرون) أخرج البزار و أبويعلى عن عبدالله بن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلى، فاذا سجد و ثب الحسن و الحسين على ظهره، فاذا أرادوا أن يمنعوهما أشار اليهم أن دعوهما، فاذا قضى الصلاة وضعهما فى حجره، و قال: «من أحبنى فليحب هذين»، و منها (واحد و عشرون) روى أبويعلى بسنده عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يسجد،، فيجىء الحسن و الحسين فيركب ظهره، فيطيل السجود، فيقال يا نبى الله: أطلت السجود، فيقول: «ارتحلنى ابنى فكرهت أن أعجله»، و روى النسائى فى السنن عن عبدالله بن شداد رضى الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى احدى صلاتى العشى، و هو حامل حسنا أو حسينا، فتقدم النبى صلى الله عليه و سلم فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى، فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها، قال أبى: فرفعت رأسى فاذا الصبى على ظهر رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو ساجد، فرجعت الى سجودى، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و سلم الصلاة، قال الناس: يا رسول الله صلى الله عليه و سلم انك سجدت بين ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى اليك قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابنى ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته».

و منها (اثنان و عشرون) أخرج الامام أحمد و البزار و الهيثمى عن أبى‌هريرة قال: كنا نصلى مع رسول الله صلى الله عليه و سلم العشاء، فاذا سجد و ثب الحسن و الحسين على ظهره، فاذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رقيقا و يضعهما على الأرض، فاذا عاد عادا حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال فقمت اليه فقلت يا رسول الله: أردهما، فبرقت برقة، فقال لهما: الحقا بأمكما، قال: «فمكث ضؤها (يعنى البرقة) حتى دخلا».

و منها (ثلاثة و عشرون) أخرج الامام أحمد فى المسند و الفضائل،

[صفحه ۱۸۷]

و البيهقى و فى سننه و الحاكم فى المستدرك و الطبرانى و البزار بسنده عن يعلى بن مرة، أنه جاء حسن و حسين يستبقان الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فضمهما اليه و قال: ان الولد مبخلة و مجبنة، و منها (أربعة و عشرون) أخرج الامام أحمد فى الفضائل و أبونعيم فى الدلائل و الواحدى فى أسباب النزول و السيوطى فى الدر المنثور و الحاكم فى المستدرك، بطرق مختلفة، عن يونس عن الحسن قال: جاء راهبا نجران الى النبى صلى الله عليه و سلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه و سلم أسلما تسليما، فقالا قد أسلمنا قبلك، فقال النبى صلى الله عليه و سلم كذبتما، منعكما من الاسلام ثلاث: سجودكما للصليب، و قولكما اتخذ الله ولدا، و شربكما الخمر، فقالا- فيما تقول فى عيسى، قال فسكت النبى صلى الله عليه و سلم و نزل القرآن (ذلك نتلوه عليك من الآيات...) الى قوله تعالى (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (آل عمران ۶۱ - ۵۸) قال فدعاهما رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الملاعنة قال و جاء بالحسن و الحسين و فاطمة أهله و ولده، قال فلما خرجا من عنده، قال أحدهما لصاحبه: أقرر بالجزية و لا تلاعنه، قال فرجعا، فقالا: نقر بالجزية و لا نلاعنك، قال «فأقر بالجزية»، و منها (خمسة و عشرون) أخرج مسلم فى صحيحه أنه لما نزلت آية المباهلة (آية ۶۱ آل عمران) «فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نرح أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و أنفسنا و أنفسكم و ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم عليا و فاطمة و الحسن و الحسين، رضى الله عنهم، و قال: «اللهم هؤلاء أهلى» (و روى ذلك القاضى عياض فى الشفاء و مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى‌وقاص، و رواه ابن‌مردوية و الحاكم و الطيالسى

عن الشعبى مرسلا، و رواه الزمخشرى فى الكشاف و غيره)، و منها (ستة و عشرون) روى الامام أحمد و ابن‌ماجة و الحاكم و الهيثمى و البزار عنذ أبى‌هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه حسن و حسين، هذا على عاتقه، و هذا على عاتقه، و هو يلثم هذا مرة، و يلثم هذا مرة، حتى انتهى الينا، فقال له رجل يا رسول الله: انك لتحبهما، فقال صلى الله عليه و سلم «نعم، من أحبهما فقد أحبنى،، و من أبغضهما فقد أبغضنى».

و منها (سبعة و عشرون) أخرج الطبرانى و ابن‌عساكر بسنده عن النبى صلى الله عليه و سلم

[صفحه ۱۸۸]

أنه قال: «ألا أخبركم بخير الناس جدا و جدة، ألا أخبركم بخير الناس عما و عمة، ألا أخبركم بخير الناس خالا و خالة، و ألا أخبركم بخير الناس و أبا و أما الحسن و الحسين، جدهما رسول الله صلى الله عليه و سلم، وجدتهما خديجة، و أمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبوهما على بن أبى‌طالب، و عمهما جعفر بن أبى‌طالب، و خالهما القاسم بن رسول الله صلى الله عليه و سلم و خالاتهما زينب و رقية و أم‌كلثوم بنات رسول الله صلى الله عليه و سلم، وجدهما فى الجنة، و أبوهما فى الجنة، و أمهما فى الجنة، و عمهما فى الجنة و عمتهما و خالاتهما فى الجنة، و هما فى الجنة، و من أحبهما فى الجنة».

و منها (ثمانية و عشرون) روى ابن‌حبان فى صحيحه عن أسامة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (عن الحسن و الحسين) هذان ابناى، و ابنا ابنتى، «اللهم انى أحبهما فأحبهما، و أحب من يحبهما» و منها (تسعة و عشرون) أخرج الطبرانى فى الأوسط عن عقبة عن النبى صلى الله عليه و سلم الحسن و الحسين سيفا العرش، و ليسا بمعلقين»، و منها (ثلاثون) أخرج الطبرانى عن فاطمة، رضى الله عنها، عن أبيها النبى صلى الله عليه و سلم «كل بنى‌آدم ينتمون الى عصبة، الا ولد فاطمة، فأنا وليهم، و أنا عصبتهم»، و فى رواية للطبرانى عن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم: كل بنى أنثى، فان عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فانى انا عصبتهم، و انا أبوهم.»

و منها (واحد و ثلاثون) أخرج أبويعلى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «من سره أن ينظر الى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر الى الحسين بن على»، و فى رواية للحافظ ابن‌كثير عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من سره أن ينظر الى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر الى الحسن بن على».

و منها (اثنان و ثلاثون) أخرج ابن‌عساكر عن سلمة عن النبى صلى الله عليه و سلم: «ويح الفراخ فراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف»، و أخرج الطبرانى عن زيد بن أرقم مرفوعا: «اللهم انى استودعكهما و صالح المؤمنين، يعنى الحسن و الحسين»، و منها (ثلاثة و ثلاثون) أخرج الطبرانى عن سلمان عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: «من أحب الحسن و الحسين أحببته، و من أحببته أحبه الله، و من أحبه الله

[صفحه ۱۸۹]

أدخله جنات النعيم، و من أبغضهما أو بغى عليهما، أبغضته، و من أبغضته أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله جهنم، و له عذاب مقيم».

و منها (أربعة و ثلاثون) روى ابن‌مردوية عن على عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: فى الجنة درجة تدعى الوسيلة، فاذا سألتم الله، فسلو الى الوسيلة، قالوا: يا رسول الله من يسكن معك فيها، قال: «على و فاطمة و الحسن و الحسين»، و منها (خمسة وثلاثون) روى أبويعلى و أبوشاهين فى السنة عن عمر قال: رأيت الحسن و الحسين على عاتقى النبى صلى الله عليه و سلم فقلت: نعم الفرس تحتكما،

فقال النبى صلى الله عليه و سلم «نعم الفارسان هما»، و منها (ستة و ثلاثون) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: جعل عمر بن خطاب عطاء الحسن و الحسين مثل عطاء أبيهما (رواه أبوعبيد فى الأموال و ابن‌سعد)و منها (سبعة و ثلاثون) ما رواه ابن‌سعد فى الطبقات عن جعفر بن محمد (أى جعفر الصادق شيخ علماء الأمة ابن‌تيمية) عن أبيه محمد الباقر، قال: قدم على عمر حلل من اليمن فكسا الناس، فراحوا فى الحلل، و هو بين القبر و المنبر جالس، و الناس يأتونه فيسلمون عليه و يدعون له، فخرج الحسن و الحسين من بيت أمهما فاطمة يتخطيان الناس، و ليس عليهما من تلك شىء، و عمر قاطب صار بين عينيه، ثم قال: و الله ما هنأ لى ما كسوتكم، قالوا: يا أميرالمؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: «من أجل الغلامين يتخطيان الناس، و ليس عليهما منها شىء، كبرت عنهما و صغرا عنها، ثم كتب الى اليمن أن ابعث بحلتين لحسن و حسين و عجل، فبعث اليه بحلتين فكساهما».

و منها (ثمانية و ثلاثون) روى الطبرانى فى الكبير عن سلمان عن البراء بن عازب قال: كنا حول النبى صلى الله عليه و سلم فجاءت أم‌أيمن فقالت: يا رسول الله، لقد ضل الحسن و الحسين، و ذلك راد النهار، يقول ارتفاع النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: قوموا فاطلبوا ابنى، و أخذ كل رجل تجاه وجهه، و أخذت نحو النبى صلى الله عليه و سلم فلم يزل حتى أتى سفح جبل، و اذا الحسن و الحسين يلتزق كل واحد منهما صاحبه، و اذا شجاع قائم على ذنبه فيخرج من فيه من شبه النار، فأسرع اليه رسول الله صلى الله عليه و سلم

[صفحه ۱۹۰]

فالتفت مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم انساب فدخل بعض الأجحرة، ثم أتاهما فأفرق بينهم، و مسح وجوهما و قال: بأبى و أمى أنتما ما أكرمكما على الله ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن، و الآخر على عاتقه الأيسر، فقلت: طوبى لكما، نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «نعم الراكبان هما، و أبوهما خير منهما».

و منهم (تسعة و ثلاثون) روى ابن‌عساكر و ابن‌عدى فى الكامل عن جابر قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو يمشى على أربع، و على ظهره الحسن و الحسين، و هو يقول: «نعم الجمل جملكما، و نعم العدلان أنتما»، و فى رواية أخرى لابن‌عساكر عن جابر قال: دخلت على النبى صلى الله عليه و سلم و هو حامل الحسن و الحسين على ظهره، و هو يمشى بهما، فقلت: نعم الجمل جملكما، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم «و نعم الراكبان».

و منها (أربعون) روى ابن‌عساكر عن ابن‌عباس قال: جاء العباس يعود النبى صلى الله عليه و سلم فى مرضه، فرفعه فأجلسه على السرير، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم رفعك الله يا عم، ثم قال العباس: هذا على يستأذن، فدخل و دخل معه الحسن و الحسين، فقال له العباس: هؤلاء ولدك يا رسول الله، قال: و هم ولدك يا عم، فقال: أتحبهم، فقال «أحبك الله كما أحببتهما».

و آخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين

و الصلاة و السلام على المبعوث رحمة للعالمين

سيدنا و مولانا و جدنا محمد رسول الله

و على آله الطاهرين الطيبين

پاورقى

[۱] روى عن الامام الباقر أنه قال: ان لكل قوم نجبة، و ان لكل قوم بنى‌أمية عمر بن عبدالعزيز، و أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده، و قالت فاطمة الامام الحسين: لو كان بقى لنا عمر بن عبدالعزيز، ما احتجنا بعده الى شىء، و من المعروف أن عمر بن عبدالعزيز هو

الذى أبطل البدعة الخسيسة التى ابتدعها معاوية بن أبى‌سفيان، و بسب الامام على بن أبى‌طالب، كرم الله وجهه، على منابر المسلمين، و أنها سارت فى بلاد الاسلام حتى وقحت، فكشفت عن وجهها، ثم سارت تطأ كل المنابر، و تصرخ فى كل الآذان، و لم تستح فصعدت فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين أهله و على منبره، منذ أن ابتدعها معاوية، و أصدر أمره الى الولاة أن يجعلوها تقليدا فى خطب الجمعة، ثم قدم معاوية الخطبة على صلاة العيد، لأن الناس كانوا يكرهون سماع اللعن، فكانوا اذا أدوا الصلاة خرجوا من المسجد، فألزمهم بتقديم الخطبة، و سماع اللعن (انظر التفصيلان فى مكانهما من هذه الدراسة، و كتاب عبدالعزيز سيد الأهل: الخليفة الزاهد - عمر بن عبدالعزيز - المملكة العربية السعودية - ط ۱۴۰۲ ص ۲۱۵ - ۲۰۵) ثم ان عمر بن عبدالعزيز هو الذى رد فدك الى ولد فاطمة عليهاالسلام، لما رد الى موالى الامام على حقوقهم، التى لغيرهم من المسلمين.

[۲] انظر عباس العقاد: معاوية بن أبى‌سفيان فى الميزان ص ۱۹۳ - ۱۹۰.

[۳] انظر النص الأصلى (ابن أبى‌الحديد: شرح نهج‌البلاغة ۶: ۲۹۴ - ۲۸۵ - بيروت ۱۹۶۵). و انظر: الطاهر عبدالسلام: حصن السلام ص ۱۱۱ - ۹۹ - الدار البيضاء ۱۹۷۸.

[۴] تذهب كثير من الروايات الى أن ابن‌عباس (اعنى عبدالله بن عباس) كان فى الشام عند موت الامام الحسن، و أن معاوية لما أتاه موت الحسن قال لابن‌عباس: ان حسنا مات، قال: انا لله و انا اليه راجعون، على عظم الخطب، و جليل المصاب، أما و الله يا معاوية، لئن كان الحسن مات فما ينسىء موته فى أجلك، و لا يسد جسمه حفرتك، و لقد مضى الى خير، و بقيت على شر، قال: لا أحسبه عد خلف الا صبية صغارا، قال: كلنا كان صغيرا فكبر، قال معاوية: بخ بخ يا ابن‌عباس، أصبحت سيد قومك، قال: «أما ما أبقى الله أباعبدالله الحسين بن رسول الله، فلا»، و قد أشرنا الى ذلك من قبل، و الى فرح معاوية بموت الامام الحسن و تكبيره، فارجع اليه.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا - علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ - إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ - بأصبَهانَ، إيرانَ - قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ - دامَ عِزّهُ - و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة - مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السّلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹